الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الدعوة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام ٢٧٣
رقم التسجيل الخاص
التاريخ / / ١٤٠٠هـ

خصائص الدعوة الإسلامية

مصادرها عالميتها شمولها

دراسة مقارنة

لنيل الشهادة العالمية
(الماجستير)

إعداد الطالب
محمد أمين حسن محمد

إشراف الدكتور
جمعة علي الطولي

١٤٠٠ / ١٤٠١هـ
١٩٨٠ / ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

((بسم اللّه الرحمن الرحيم))

قال تعالى :-

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) . آل عمران آيه ١٠٤

(يا أيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون) .

الأنفال آيه ٢٤

(قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) . يوسف آيه ١٠٨

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله ، وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) . فصلت آيه ٣٣

شکر و تقدیر

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(شكر وتقدير)

الحمد لله حمدا لا ينفد وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والسائرين على نهجه الى يوم الدين .

وبعد :

لقد كان من تمام المنة الالهيه أن هيأ الله لي دراسة الشريعة الاسلامية تلك الدراسة التي تعرف المسلم بدينه ، وتبين له أحكامه ، وتقوده الى الهدى والرشاد ، وتجنبه الغواية والضلال . أشكره تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ومن تلك النعم ما منّ به علي من اتمام هذه الرسالة ، أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم .

ثم انني أتوجه بالشكر والتقدير لفضيلة الدكتور جمعه علي الخولي الذي تفضل بالأشراف على رسالتي ، وبذل جهده في توجيهي أثناء عملي بالرسالة كما أتوجه ببالغ الشكر الى فضيلة أستاذي الدكتور ابراهيم الصباغ الذي تفضل بمساعدتي وقراءة رسالتي . أسأل الله تعالى أن يجزيه خيرا على صنيعه .

كما أتقدم بالشكر الى فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية ، والى القائمين على هذه الجامعه لما قدموه لنا من رعاية ، وتيسير المراجع والمصادر العلمية التي مهدت الصعاب أمامنا وأزالت العقبات من طريقنا .

وأقدم شكري الى فضيلة الدكتور أكرم ضياء العمري رئيس قسم الدراسات العليا على ماتفضل به علينا من نصائح وتوجيهات . كما أشكر جميع من ساهم وساعد في اخراج هذه الرسالة سائلا المولى عز وجل للجميع التوفيق والسداد .

ثم لا أنسى أن أشكر كل من كان له فضل باهداء زيادة نفيسة أو ارشاد اعارة كتاب . شكر الله للجميع وجزاهم عني خير الجزاء وصلى الله على نبي الرحمة محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

المقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(المقدمة -

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم تنزيله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[1] ، (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[2] .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، كلمة قامت بها الأرض والسموات ، وفطرت عليها جميع المخلوقات ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وحجته على عباده ، وأمينه على وحيه أرسله رحمة للعالمين (وما أرسناك الا رحمة للعالمين)[3] وقدوة للمقتدين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)[4] .

أما بعد :

فمنذ أن اهبط آدم عليه السلام على هذه الأرض ، ومصابيح الهدى تنير الطريق أمام الناس ، كلما أنطفأ مصباح أضاء آخر ، ولما كانت الدعوات السماوية تنبع من مشكاة واحدة ، وتنزل على الناس بقدر مقتضيات الاحوال ودواعيها ، كانت الدعوة الاسلامية امتدادا لرسالات السماء السابقة ، وختاما لها ، قال تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان)[5] .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة النحل آيه ٨٩ .
(٣) سورة الانبياء آية ١٠٧ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٢١ .
(٥) سورة آل عمران آية ٣ ، ٤ .

فالله تعالى جعل الدعوة الاسلامية خاتمة الدعوات وجعل كتابها حجة قائمة على الدهر ، محفوظا بحفظ الله له ، لا يعتريه تحريف ولا تغيير ، ولا تصل اليه أيدى العداة الحاقدين (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(١) .

بخلاف الكتب السماوية السابقة التى تعرضت لاعاصير الفتن فدخلها التحريف والتبديل ، لأن الله تعالى لم يتعهد بحفظها قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(٢) .

وقد جاء القرآن باعتباره خاتم الكتب السماوية مجددا لدعوتها الى أصول العقيدة والشريعة ، ومؤكدا لوحدتها فى جوهر الدعوة الى الله ، ومتميزا عنها بما تفرد به من نظام التشريع وألوان العبادات ، وكيفية المعاملات التى تلائم العصور البشرية المختلفة ، وتتفق مع مصالح الانسانية حتى النهاية ، فهو مجمع الحقائق الثابته ، والمصدق لما تقدمه من كتب .

وليس معنى التصديق الشهادة بصحة كل ما أنتهى اليه من هذه الكتب كما زعم ذلك أعداء الاسلام ، لأن هذه الكتب دخلها التحريف والتبديل . قال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)(٣) .

---

(١) سورة فصلت آيه ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٣) سورة المائدة آيه ٤٨ .

فالهيمنة هى الحراسة الأمينة على ماتقدمه من كتب يقول الدكتور محمد عبد الله دراز (ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب أن لا يكتفى الحارس بتأييد ماخلده التاريخ فيها من حق وخير ، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل الذى عساه أن يضاف بغير حق ، وأن يبرز ماتمس اليه الحاجه من الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها ، وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفى عنها الزوائد ، وأن يتحدى من يدعى وجودها فى تلك الكتب(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين)(١) . كما كان من مهمته أن يبين ماينبغى تبيينه مما كتموه منها)(٢) .

وقد أنزل الله تعالى هذا الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى وقت أكفهرت سماؤه وتلبدت غيومه ، حيث كانت البشرية تتعثر بين وحشية ضارية ، وهمجية ضالة ، واستبداد مروع ، ومذاهب فاسدة ، وعبادات باطله ، وتقاليد باليه ، فحيثما نظرت فهناك الطغاة المستبدون والملأ الكافرون بحق الشعوب فى الأمن والحرية والحياة السعيده ، فهم يعيشون فى الأرض الفساد . وينشرون الرعب والدمار .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٣ .

(٢) الدين د . / محمد عبد الله دراز ص ١٨١ ط ٢ / ١٣٩٠ .

في هذا الوقت أنزل الله تعالى دعوته على نبيه ، وأمره بتبليغ الرسالة وإيصالها الى أمم الأرض (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدى القوم الكافرين)[1] . فأنعم الله بذلك على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكورا .

ولقد مرت الدعوة الاسلامية بمراحل عده ، حتى بلغت للناس في الأرض فأشرقت بها بعد ظلمتها ، وامتلأت بها عدلا واشراقا ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فهي دعوة عالمية الزمان والمكان ، لا يختص بها جيل دون جيل ولا أمة دون أمة ، ولا جنس دون جنس وانما هي دعوة تسع الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، وتباين أوطانهم وامتداد زمانهم ، وبما أنها دعوة عالمية فقد جاءت شرائعها شاملة لنظام الحياة وقوانين المجتمع فلا تقتصر على النواحي الاعتقادية والتعبدية فقط ، ولكنها تشمل النواحي السياسيه والاجتماعية والاقتصاديه كلها .

هذه بعض خصائص الدعوة الاسلاميه التي تميزت بها عن غيرها . وهي موضوع رسالتي هذه .

---

(١) سورة المائدة آيه ٦٧ .

سبب اختيار البحث :-

وكان مما دفعنى الى الكتابة فى هذا البحث أننى أحد أبناء كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلاميه ومن المتخرجين من شعبة الدعوة فى الدراسات العليا . لذلك فكرت فى اختيار موضوع يناسب تخصص دراستى الجامعيـــة فوقع اختيارى على هذا الموضوع . . . ثم إنه لما كان كثير من أعداء الاســـلام يعملون جاهدين على طمس محاسن الدعوة الاسلامية ، وينكرون خصائصهـــا كما أن كثيرا من الناس يجهلونها ، لذلك رأيت أن أوجه بعض جهدى ووقتى ، لبيان خصائص الدعوة الاسلاميه التى تميزت بها عن غيرها من الدعوات ، فـــى هذا الزمن ، الذى اضطربت غيوم سمائه ، وتكاثر غبار أرضه ، وتطاير شرر أفله ، فأصبح الناس فى دوامة من الحيرة والاضطراب ، ونحن نعتقد أن الاســـلام هو الذى يحمل البلسم الشافى والعلاج النافع ، لما أصاب الانسانية اليـوم من تدهور وانحلال .

لقد بدأت الدعوة الاسلامية فى وقت تفككت فيه البشرية ، وانحلت فيـــه عراها ، وكان كل شىء سائر فى غير طريقه فانقذتها من دمار محقق ، والتاريخ الآن يعيد نفسه ، فقوى الشر والطغيان فى كل مكان تتأهـــب للكيد للاسلام ودعوته ، وتتحفز للوثوب على أهله ، ومن هنا كان لا بد مـــن تقديم الدعوة الاسلامية بخصائصها ومثلها للعالم فى صورة جيدة من البحـــث والدراسة .

لهذه الأمور فكرت أن أكتب رسالة في خصائص الدعوة الاسلامية أخدم بها ديني ، ذلك الدين الذي يشبه الغيث الذي يرسل من السماء الى الأرض المجدبة فتهتز وتربو ، وتخرج من كل زوج بهيج .

وقد تحريت في موضوعي هذا الدقة والصواب ما أمكنني مراعيا الاختصار غير المخل ، والتطويل غير الممل .

والرسالة تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة فأما التمهيد فيشتمل على :-

التعريف بالدعوه لغة ، واصطلاحا - وحكم تبليغ الدعوة .

وأما الباب الأول فيبحث في مصادر الدعوة الاسلامية ، الكتاب والسنة دون غيرهما من المصادر ، ويشتمل على مدخل وفصلين وقد بينت في الفصل الأول ما حضيت به مصادر الدعوة من عناية ورعاية .

ومن توثيق لنصوصهما ، وأوردت بعض شهادات الغربيين على ذلك ، كما بينت بعض الجهود المبذولة لحفظ ألسنة من كل دخيل ، وكيف أن الأمة الاسلامية اختصت رواياتها بالأسانيد .

وأما الفصل الثاني: فيبحث في مصادر الدعوات الأخرى - اليهودية والنصارنية - ويشتمل على ثلاثة مباحث .

الأول : يبحث فى التوراة ، وما أصابها من تحريف وتغيير وتبديل على يد أحبار اليهود ، وسقت شهادة التاريخ على ذلك وشهادة العلماء المحققين ، وشهادة القرآن الذى هو مهيمن ما تقدمه من كتب ، وأوردت بعض مظاهر التحريف فيها والأداء على ذلك ... كالكذب والافتراء على الله والرسل ، وانكار اليوم الآخر ، وإباحة الرذائل ، والتناقض بين أسفارها .

والثانى : ويشتمل على بشارة النصرانية - الاناجيل الاربعه - فقبل دون الرسائل حيث بينت بعض ما أصاب الانجيل من تحريف ويكفى أنها أربعة ، والكتاب المنزل واحد ، وسقت شهادة القرآن على ذلك وشهادة العلماء المنصفين ، وذكرت ما يجب توفره فى الكتاب المقدس ، وأوردت لمحة عن كل الخلافات التى دارت حول كل انجيل من حيث اللغة التى كتب بها ، وتاريخ تدوينه ، ومؤلفه ، ومترجمه ... الخ ، وتوصلت الى أن سلسلة البحث العلمى لهذه الاناجيل مقطوعة كما أن التوراة كذلك . فالاناجيل لم تظهر فى عصر المسيح ولا فى عهد الحواريين ، وانما ظهرت بعد رفع المسيح بنحو (١٧٥) عاما ، وأن تدوينها كان فى عصر الاضطهاد والتجسس الرومانى ، وأن دعوى الالهام باطلة ، للتناقض الموجود فى الاناجيل فى الشكل والموضوع ، ووجود بعض العبارات التى يستحيل نسبتها الى نبى مرسل .

المبحث الثالث : ويشتمل على الروايات اللسانية عند اليهود والنصارى والاحتجاج بها عندهم فاليهود يقدمونها على التوراة ، والنصارى يعتبرونها مساوية للاناجيل .

الباب الثاني :-

ويبحث في عالمية الدعوة الاسلامية . ويشتمل على ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : وفيه أربعة مباحث :

الأول : معنى العالمية لغة واصطلاحا .

الثاني : أدلة العالمية من الكتاب والسنة والاجماع ، ونهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده .

الثالث : ويشتمل على شمول الدعوة الاسلامية للجن .

الرابع : ويشتمل على مواصفات العالمية في الدعوة والداعية . من حيث وفاء الدعوة الاسلامية بحاجات المجتمع ومتطلبات الحياة ، في كل زمان ومكان وصلاحيتها لشئون الحياة ، وعدم تصادم نصوصها مع الحقائق العلمية الثابتة .

وفي الداعية : أن تكون سيرته تاريخية ، وكاملة - أي متصله السند من غير انقطاع ، وجامعة ، وعملية - وحياته قدوة للناس .

الفصل الثاني : ويشتمل على اقليمية الدعوات السابقة للدعوة المحمدية .

الفصل الثالث : ويشتمل على بعض الشبهات التي أثارها المستشرقون حول عالمية الدعوه - مناقشتها والرد عليها .

الباب الثالث :-

وهو شمول الدعوة الاسلامية لأنظمة الحياة ، وقد اخترت بعض الأنظمة التي جاء بها الاسلام ، وفي هذا الباب ثلاثة فصول .

الأول : الجانب السياسي وفيه مبحثان .

أ - المبحث الأول : الأسس التي يقوم عليها النظام السياسي في الاسلام .

ب - المبحث الثاني : تنظيم الاسلام للجوانب السياسية ، الداخلية وتشمل : تنظيم العلاقة بين الراعي والرعية ، واعداد العدة وتنظيم شئون الأمن ، وتنظيم القضاء .

والخارجية : وتشمل :

١ - تنظيم الناحية الجهادية .

٢ - تنظيم العلاقات الدولية .

الفصل الثاني : النظام الاجتماعي / وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : مفهوم النظام الاجتماعي وأهميته ، ولمحة عن المجتمعات السابقة وضرورة قيام المجتمع السليم .

المبحث الثاني : دعائم المجتمع الاسلامي - العقيدة - وأزالة الفوارق الطبقية ، والتكافل الروحي والمادي .

المبحث الثالث: مكانة المرأة في النظام الاجتماعي ، وحال المرأة في المجتمعات السابقة ، وتكوين الأسرة - وموقف الاسلام من دعوة الرهبنة ووضع العلاج الشافي لحل مشاكل الأسرة .

الفصل الثالث : **النظام الاقتصادى** :/ وفيه خمسة مباحث :-

المبحث الأول : ويبحث فى تعريف النظام الاقتصادى ، وبعض ميزات الاقتصاد الاسلامى ، وأهدافه ، وثمرة تطبيقه .

المبحث الثانى : موقف الاسلام من الملكيه ، وطرق التملك المشروعة وغير المشروعة .

المبحث **الثالث** : المال : ونظرة الاسلام أليه ، وتصوير القرآن له،والمال فى نظر اليهودية والنصرانية ، ومبادىء الاسلام فى توزيع الثروات ،السلبية ،والايجابية ،والمصادر المالية فى الاسلام .

المبحث الرابع : مهمة الدولة فى النظام الاقتصادى .

المبحث الخامس: بين الاسلام والمذاهب الحديثه .

ثم الخاتمه ؛ وفيها تلخيص لأهم نتائج هذا البحث .

تمہید

تمهيـــــــــد

- تعريف بالدعـــــوة -

ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم ، في آيات كثيرة ، وبمعان متعددة يهمنا منها هنا المعنيين التاليين :

الأول : الدعوة بمعنى التبليغ والبيان ، ونقل هداية الله الى النـــاس

وقد ورد بهذا المعنى آيات كثيرة منها :-

قوله تعالى :

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله ، وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)(١) .

وقوله : (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا)(٢) .

وقوله : (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)(٣) .

والدعوة بمعنى التبليغ : اسم من الفعل دعا ، ومصدره دعـــاء .

والدعاء في اللغة : الرغبة الى الله فيما عنده من الخير والابتهال اليه بالسؤال ، ومنه قوله تعالى (ادعو ربكم تضرعا وخفيه)(٤) .

والدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، وفيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (فان دعوتهم تحيط من ورائهم)(٥) .

والجمع : دعاة ، وداعون ، وداعيـــات .

---

(١) سورة فصلت آية ٢٤ .
(٢) سورة نوح آية ٥ .
(٣) سورة يوسف آية ١٠٨
(٤) سورة الاعراف آية ٥٥ .
(٥) ابن ماجه / باب المناسك / ٧٦ جـ٢ / ١٠١٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقـــي ط / ١٣٦٥ .

والداعي : هو الذي يقوم بأمر الدعوة ويتحمل أعباءها ومسئولياتها وهو اسم فاعل ، ومنها تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا .

وداعية : اسم فاعل والتاء فيه للمبالغة (١) .

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة أن (الدال والعين ، والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء اليك بصوت وكلام يكون منك ، تقول دعوت ، أدعو ، دعاء .

والدعوة الى الطعام بالفتح ، والدعوة في النسب بالكسر . ومنه داعية اللبن ، وهو مايترك في الضرع ليطلب مابعده ، ومنه تداعت الحيطان اذا سقط واحد وآخر بعده ،فكأن الاول يدعو الثاني .

وتداعي الدهر : صروفه ، لانها تأتي متعاقبة ، وكأن الأول يدعو الثاني فيميله وهكذا (٢) .

ولفظ الدعوة لفظ صالح لأن يستعمل في الخير والشر ، ولذا فان التعريف الأصطلاحي يميزها .

---

(١) لسان العرب / لابن منظور جـ١٤/ ٢٥٨ طبعة بيروت دار صادر تاج العروس / محمد مرتضى الزبيدي جـ١٠/ ١٢٧ بيروت / دار مكتبة الحياة - القاموس المحيط / للفيروز آبادي جـ٤/ ٣٢٩ - دار الجيل .

(٢) معجم مقاييس اللغة / لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا جـ٢/ ٢٨٩ - ٢٨٠ - تحقيق عبد السلام محمد هارون .

الدعوة فى الاصطلاح :-

للدعوة فى المصطلح الاسلامى تعريفات متعددة نورد بعضها :-

١ - عرفها ابن تيمية بقوله :-

(الدعوة الى الله هى الدعوة الى الايمان به ، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة الى الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والايمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة الى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)(١) .

٢ - وعرفها الاستاذ البهى الخولى فى كتابه تذكرة الدعاه بقوله :-

(هى نقل الأمة من محيط الى محيط ، تلك هى مهمة الداعية ، فيها يندرج مجمل منهاجه ، ومفصله ، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته)(٢).

٣ - وعرفها الدكتور رؤوف شلبى بقوله :-

(الدعوة الاسلامية حركة احياء للنظام الالهى ، الذى أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم)(٣) .

---

(١) الفتاوى الكبرى / لابن تيمية جـ١٥ / ١٥٨ - ط١ / مطابع الرياض .

(٢) تذكرة الدعاة / للبهى الخولى ص٣٥ ط٥ / ١٣٩٧ - دار القلم / بيروت دمشق .

(٣) الدعوة الاسلاميه فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها / رؤوف شلبى ص ٣٢ .

٤ - وعرفها الشيخ أبوبكر زكرى فى كتابه الدعوة الى الاسلام بقوله : (هى قيام العلماء المستنيرين فى الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يضرهم بأمور دينهم ، ودنياهم على قدر الطاقة (١)) .

ونخلص من هذه التعاريف بأن الدعوة الى الله هى :-

تبليغ الناس جميعا دعوة الاسلام ، وهدايتهم اليها قولا وعملا فى كل زمان ومكان ، بأساليب ووسائل عامة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم) .

حكم تبليغ الدعوة :-

يدور حكم تبليغ الدعوة بين الواجب العينى ، والواجب الكفائى وبكل قال جماعة من العلماء .

فالذين قالوا : ان تبليغ الدعوة واجب كفائى اذا قام به البعض سقط التكليف عن الآخرين استدلوا على ذلك بقوله تعالى :-

١ - (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (٢)) .

---

(١) الدعوة الى الاسلام / أبوبكر زكرى ص ٨ مكتبة دار العروبه مصر .

(٢) سورة آل عمران آيه ١٠٤ .

على أن من فحوى هذه الآية للتبعيض أى لتكن منكم طائفة منتصبة للدعوة الى الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهنا يجب على الأمة أن تقوم باعداد هذه الطائفة المعينة ، لكنه يتحقق الغرض الكفائى ، وقد ذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية قوله (ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة الى الخير، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(١) .

ومما يؤيد هذا القول أيضا قوله تعالى :-

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)(٢) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير هذه الآيه :-

(والآية تدل على وجوب تعميم العلم ، والتفقه فى الدين والاستعداد لتعليمه فى مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه على الوجه الذى يصح به حالهم ، ويكونون به هداة لغيرهم)(٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ / ٣٩٠ - دار احياء الكتب العربية / عيسى البابى الحلبى

(٢) سورة التوبه آيه ١٢٢ .

(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ١١ / ٧٨ - دار المعرفة / بيروت .

فالآية تحرض المؤمنين على أن تنفر منهم فرقة لطلب العلم من أجل هداية غيرهم من أقوامهم الذين لم يتعلموا ؛ عند رجوعهم اليهم ، ولا يخرجوا جميعا .

ويؤيده أيضا قوله تعالى :-

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)(١) . فالله يأمر نبيه ومن تبعه بالدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن وهذه أساليب لا يتقنها كل انسان ، فلابد للداعية الى الله من العلم الذى يحقق نجاح دعوته .

وقد أيد الزمخشرى هذا القول حيث بين أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ، وأنه لا يصلح للأمر الا من علم المعروف والمنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر فى اقامته ، وكيف يباشر ، فان الجاهل ربما أمر بمنكر ونهى عن معروف ، وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه(٢) .

وأما الذين ذهبوا الى أن الدعوة الى الله واجب عينى على كل مكلف حسب طاقته فدليلهم على ذلك نفس الآيه السابقة أيضا (ولتكن منكم أمة) على أن من بيانية وليست تبعضية فالمسلم مكلف بالدعوة الى الله حسب امكانياته ، والدليل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) تفسير الكشاف / لابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى جـ١ / ٤٥٢ بيروت .

(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)[١] .

ومما يؤيد هذا القول أيضا قوله تعالى :-

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، ولو أمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)[٢] .

فالأمة الاسلامية أمة دعوة ، وقد نالت هذه الخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله تعالى ، والخطاب عام لكل الأمة ويؤيده أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم (بلغوا عني ولو آية)[٣] .

وهذا أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته بالتبليغ عنه ولو آية واحدة ، والخطاب عام لكل انسان حسب استطاعته ومقدرته .

وبعد هذا العرض لأدلة الفريقين ، فاني أرجح القول الأول القائل بان الدعوة الى الله واجب كفائي ، لأن الدعوة لا بد لها من علم ومعرفة حتى تحقق أهدافها ، وتجني ثمارها ، وتصل الى المدعوين سالمة نقية من الشوائب والاخطاء .

---

(١) مسلم / كتاب الايمان / باب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / المجلد الأول جـ٢ / ٢١ - ٢٢ . الطبعة الثامنة - دار الفكر - بيروت.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٣) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني - كتاب الانبياء / جـ٦ - ٤٩٦ السلفيه .

وقد ذكر ابن تيمية في فتاويه الكبرى مايسند ذلك ويقويه فقال :-

(القيام بالواجبات من الدعوة الواجبه وغيرها يحتاج الى شروط يقام بها كما جاء في الحديث (ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه)[1] .

فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف ، وينكر المنكر ، والرفق عند الأمر ليسلك أقرب الطرق الى تحصيل المقصود ، والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور المنهى ، فان كثيرا مايحصل له الأذى بذلك ، ولهذا قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك)[2] .

وقد ذكر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر السابق في قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) .

---

(١) ذكر القاضي أبويعلى في المعتمد لفظ الحديث (لا يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر الا من كان فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه) انتهى وهو أثر عن بعض السلف - رووه مرفوعا - .

(٢) الفتاوى الكبرى جـ ١٥ / ١٦٧

((ان كلمة (من) في قوله تعالى : منكم انما هي للتبعيض أخرجت من لا يستطيعون الدعوة الى الخير ، ولا يستطيعون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجزهم أو جهلهم أو ضعفهم)) (١) .

ومع ترجيح هذا القول والتسليم به ، أقول لا بد من أمور يجب توفرها في المجتمع لكي يتحقق الواجب الكفائي وتقوم الدعوة الى الله .

أولا : لا بد من وجود التناصح العام بين المسلمين جميعا في كل مكان فالله ، تعالى، وصف المؤمنين بالتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر، قال تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٢) .

ثانيا : من معاني الفرض الكفائي أنه متوجه الى المسلمين جميعا بأن يعملوا لتحقيق هذا الفرض ، وعلى القادر فعلا أن يقوم بهذا الفرض مباشرة ، وعلى بقية الأمة أن تعاونهم بكل الوسائل ليتحقق المقصود من مهمتهم ، فان لم يفعل المسلمون ذلك أثم الجميع ، المتأهل للدعوة وغيره (٣) .

---

(١) من مجلة البحوث الاسلامية المجلد الأول - العدد الثاني ص ١٤٥ - ١٤٦ من زوايا الدعوة الى الله / د. / عبد الحليم محمود .

(٢) سورة العصر .

(٣) أصول الدعوة د . / عبد الكريم زيدان ص ٣٠٤ ط ثالثة نقلا عن الموافقات للشاطبي - تحقيق الشيخ دراز ج ١ ص ١٧٦ .

ثالثا : وحتى لو قلنا ان الدعوة تجب على البعض دون البعض الآخر باعتبار أنها من فروض الكفاية ، فان الشرط للخروج من عهدة الفرض الكفائى حصول الكفاية بمن يقوم به ، ولما كانت الكفاية غير حاصلة الآن ، فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته بماله أو بفكره ، أو بسلطانه ، خاصة فى عصرنا هذا الذى تفشى فيه الشر وانتشر .(١)

رابعا : قد تكون الدعوة الى الله فرض عين على الشخص اذا كان يقيم فى بلد أو مكان لا يوجد به أحد يقوم بهذا الواجب سواه ، فاذا وجد من يقوم بالدعوة غيره صار التبليغ فى حقه فرض كفائى .

المعنى الثانى :-

من معانى كلمة الدعوة فى القرآن الكريم هو :-

الدعوة العامه ، بمعنى الدعوة الاسلامية ، كدين وقد وردت آيات قرآنيه كثيرة بهذا المعنى منها قوله تعالى :-

---

(١) أصول الدعوة د . / عبد الكريم زيدان ص ٣٠٤ .

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)(١)

وقوله : (له دعوة الحق)(٢) ؛

والدعوة بهذا المعنى ، موضوع هذه الرسالة ، ولا شك أن خصائص الدعوة الاسلامية كثيرة ومتعددة ، كثبوت مصادرها ، وحفظها ، وعالميتها وشمولها ، وانسانيتها ، وواقعيتها ؛ ؛ ؛ الخ ؛

ولما كان الحديث عن هذه الخصائص جميعا أمرا لا تحتمله رسالة واحدة فهو حديث عن الاسلام كله ؛ لذلك قصرت الدراسة على خصائص ثلاث من هذه الخصائص لا لأن غيرها ليس مهما ، ولكن لأن شأن الرسائل الجامعية أنها ذات طابع تخصصي ؛ في جانب من جوانب العلم والثقافة ، ثم إن الخصائص الثلاث موضوع هذه الرسالة من الممكن أن تكون أصلا لغيرها من الخصائص .

والخصائص الثلاث التي قصرت الدراسة فيها هي :-

١ - ثبات مصادر الدعوة الاسلامية .

٢ - العالمية ؛

٣ - الشمول ؛

فنقول ..... والله المستعان .

---

(١) سورة الانفال آية ٢٤ .

(٢) سورة الرعد آية ١٤ .

الباب الأول

مَصَادِرُ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّة

وفيه فصلان

(الباب الأول)

مصادر الدعوة الاسلامية

مدخل :-

لكل دعوة من الدعوات مصادر تستقى من فيض معينها أساليبها ووسائلها ، وغاياتها وأحكامها .

وقد تكفلت الدعوة الاسلامية بثبوت مصدريها الكتاب والسنة ، وذلك بحفظ الله عز وجل لكتابها . قال تعالى :-

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)(١) .

وقال تعالى أيضا فى حقه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)(٢) . والسنة وحى من عند الله الا أنها وحى غير متلو ، قال تعالى :-

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى)(٣) .

وقال أيضا :-

(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(٤) .

وقد حظيت مصادر الدعوة الاسلامية بالحفظ والعناية ، بخلاف مصادر الدعوات الأخرى فقد أصابها التحريف والتغيير ، والتبديل ، على يد علمائها وقد أشار القرآن الى ذلك ،فقال : فى حق أهل الكتاب (يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به)(٥) .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .
(٣) سورة النجم آية ٣ - ٤ .
(٤) سورة النحل آية ٤٤ .
(٥) سورة المائده آية ١٣ .

ويقول عليه الصلاة والسلام فى حق اليهود : (ان بنى اسرائيل كتبوا كتابا فتبعوه وتركوا التوراة)[١] .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن القرآن أمين على الكتب السابقة التى تقدمته ،فما وافق القرآن فيها قبلناه ، وما خالفه فهو من التحريف الذى دخلها ، قال ابن عباس رضى الله عنه المهيمن : الأمين (القرآن أمين على كل كتاب قبله)[٢] .

والقرآن آخر الكتب ، وقد جاء جامعا لما فيها من أحكام سماوية ، فهو يقدم تجارب الدعوات الأخرى ، من لدن آدم عليه السلام حتى اليوم ، وسنرى بالدراسة فى هذا الباب ، أن القرآن لم تصله يد الاعداء على مر العصور ، بالرغم من الكوارث والمحن التى أصابت الأمة الاسلامية على يد المغول والتتار والصليبيين فى مختلف الاعصار والبلدان ، وهذا دليل على حفظ الله تعالى له .

---

(١) الدارمى مقدمه جـ ١ / ١٢٤ - مطبعة الاعتدال دمشق / ١٣٤٩

(٢) فتح البارى / كتاب التفسير سورة / ٥ جـ ٨ / ٢٦٩ - وفضائل القرآن جـ ٩ / ٣ .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى :-

((لقد جاء على هذا القرآن زمان فى أيام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق وكثر فيه النزاع ، وطمت فيه الفتن ، وتماوجت فيه الاحداث وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند فى هذا القرآن وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ....))

ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احتاج الى جهد عشرات العلماء الاتقياء الأذكياء عشرات من السنين لتحرير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين ، كما استطاعت هذه الفرق فى تلك الفتن أن تؤول معانى النصوص القرآنية وأن تحاول أن تلوى هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتجاهات ولكنها عجزت جميعا وفى أشد أوقات الفتن حلوكة واضطرابا أن تحدث حدثا واحدا فى نصوص هذا الكتاب المحفوظ وبقيت نصوصه كما أنزلها الله حجه باقية على كل محرف وكل مؤول وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ .

ثم جاء على المسلمين زمان - ما نزال نعانيه - ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم ، وعن حماية عقيدتهم ، وعن حماية نظامهم ، وعن حماية أرضهم ، وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم ، وحتى عن حماية عقولهم وأدراكهم

ولكن أعداء هذا الدين - بعد هذا كله - لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها ، ولم يكونوا في هذا من الزاهدين ، فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ ، وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تنال (١)) .

والآن مع مصادر الدعوة الاسلامية ثم تتبعها بمصادر الدعوات الأخرى لنصل الى الحكم من خلال الدراسة .

---

(١) ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٤ / ٢١٤٨ ط / ١٣٩٤ دار الشروق .

الفصل الأول

وفيه مبحثان

- الفصل الأول -

وفيه مبحثان

الأول : عن المصدر الأول ((القرآن الكريم))

تعريفه :-

القرآن مصدر على وزن فعلان بالضم مثل غفران تقول قرأته قرءا وقراءة وقرآنا ، وكلها تدل على معنى واحد وهو القراءة ، وقد ذكر القرآن هذا المعنى في قوله تعالى :-

((ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه))(١) .

ثم أصبح لفظ القرآن علما خاصا يطلق على الكتاب الكريم قال تعالى :

((ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم))(٢) .

وفي الاصطلاح :-

((هو كتاب الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، المنقول بالتواتر ، المفيد للقاطع واليقين ، المكتوب في المصاحف ، والمتعبد بتلاوته ، والمبدوء بسورة الفاتحة ، والمنتهى بسورة الناس))(٣).

---

(١) سورة القيامه آيه ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة الاسراء آيه ٩ .

(٣) مناهل العرفان / للزرقاني ص ١٩ طبعة الحلبي - والمدخل لدراسة القرآن الكريم - د . / محمد محمد أبو شهبه ص ٦ ط / ٢ .

فالتعريف يؤخذ منه ما يلي :-

١ - أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى لفظا ومعنى ، أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون معجزة خالدة ؛

٢ - ثبوت نقله بطريق التواتر التي يستحيل بها الكذب ؛

٣ - وأنه متعبد بتلاوته ؛ وهو مكتوب بالمصاحف مبدوء بسورة الفاتحة ومختتم بسورة الناس .

هذه هي أهم خصائص القرآن الكريم .

الرعاية الالهية للقرآن :-

أحيط القرآن الكريم بسياج من العناية والرعاية الالهية لم تتوفر لغيره من الكتب السابقة ، التي لم يتعهد الله بحفظها فدخلها التحريف والتبديل والتغيير . قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)(١) .

يقول الخازن في تفسيره : ((الضمير في له يرجع الى الذكر يعني : وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون - يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة))(٢) .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

(٢) تفسير الخازن / علي بن محمد الشهير بالخازن جـ٤ / ٥٧ ط٢ / ١٣٧٥ - مصطفى البابي الحلبي .

لذلك نجد النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم تظاهر عنايتهم الفائقة بهذا الكتاب من أول يوم أنزل فيه ، حيث بدأوا بحفظه فى صدورهم ، ولم يكتفوا بهذا الحفظ وانما أضافوا اليه الكتابة من أجل شدة التوثيق والمحافظة على هذا الكتاب العظيم ، ولأمر ماسماه الله قرآنا ، اشارة الى كونه مقروءا أو محفوظا فى الصدور ، كما سماه كتابا اشارة الى كونه مكتوبا بالسطور ، ومجموعا بها ، وقد تم هذا الأمر فى الصدر الأول حيث اجتمع الأمران معا ، فكان محفوظا لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدى أصحابه ، كما كان مكتوبا فى الرقاع (١) والعسب (٢) والأكتاف (٣) واللخاف (٤) ونحوها من أدوات التسجيل التى كانت موجودة فى الصدر الأول ، ثم جمع المحفوظ والمكتوب فى الرقاع أثناء خلافة أبى بكر ثم كتب فى المصاحف أيام خلافة عثمان بن عفان ، بلغة قريش التى مازالت متبعة فى كتابته حتى اليوم ، وستبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها ان شاء الله .

وقد اقتضت العناية الالهية أن يبقى هذا القرآن ، بعيدا عن عبث العابثين وتلاعب المحرفين ، فهو ليس كبقية الكتب ، لم ينقل بالكتابة وحدها ، ولا بالحفظ وحده ، وانما نقل بالحفظ والكتابة ، بخلاف الكتب السابقة التى نقلت بالكتابة فقط ، ولم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها الى حفظ الناس،

---

(١) الرقاع : جمع رقعه والرقعة الخرقه تكون من جلد أو قماش أو ورق - لسان العرب ماده /رقع جـ ٨ / ١٣١ وما بعدها .

(٢) العسب : جمع عسيب ، والعسيب جريد النخل اذا نحى عنه خوصه - لسان العرب مادة عسب جـ١ / ٥٩٩ ومابعدها .

(٣) الاكتاف : جمع كتف وهى العظام العريضه - لسان العرب جـ٩ / ٢٩٤ .

(٤) اللخاف : جمع لخفه وهى حجارة بيض عريضة رقيقة ، لسان العرب جـ٩ / ٣١٥ .

والسر فى كون القرآن الكريم وحده قد تعهد الله بحفظه دون الكتب السابقة ، أن تلك الكتب جىء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأما القرآن الكريم فجىء به خاتما خالدا الى يوم القيامة مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها ، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابته زائدا عليها بما شاء الله زيادته ؛ وكان سادا مسدها ، ولم يكن شىء منها ليسد مسده فقضى الله أن يبقى حجة الى قيام الساعة ، واذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم (١) .

وصفوة القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه القرآن فيقروءه على أصحابه بتمهل ، وتأن ، لكى يحفظوا الفاظه ، ويفقهوا معانيه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على حفظ القرآن ، وتدبر معانيه ، حتى انه كان يحرك به لسانه ، من اجل المسارعة فى حفظه ، وخوفا من أن يفوته شىء منه ، فأنزل الله تعالى عليه قوله (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه) (٢) .

وكان من أسباب حفظ القرآن عند الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيته فى قلبه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن فى رمضان من كل عام مرة واحده ، وقد عارضه اياه مرتين فى العام الذى توفى فيه (٣) .

---

(١) النبأ العظيم د . / محمد عبد الله دراز ص ١٣ - ١٤ ط ٢ دار القلم / الكويت.

(٢) سورة القيامه آية ١٦ - ١٩ .

(٣) فتح البارى / لابن حجر جـ ٩ / ٤٣ السلفية .

وقد أخذ القرآن النصيب الأوفى من حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى سلمه وحربه ، وحله وترحاله ، فى نومه ويقظته فى عبادته وراحته ، ثم جاء الصحابة من بعده ، فكان القرآن عندهم بالمنزلة الأولى ، حيث أنهم تنافسوا على حفظه ، وفهم معانيه وأعطوه أيضا النصيب الأوفى من حياتهم ، فى الليل والنهار ، وفى كل أوقاتهم .

ثم ان من خصائص هذه الأمة حفظها للقرآن الكريم ، وقد جاء فى الحديث (انما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا)(١) .

فالحديث يشير الى أن الكتاب الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ من الزوال والاندثار حتى يرث الله الأرض ومن عليها - والكتاب الذى لا يغسله الماء هو الذى لا يصله التحريف ، والقرآن محله القلوب لا الصحف ، وقد جاء فى وصف هذه الأمة (أناجيلهم فى صدورهم)(٢) .

والمراد قرآنهم ، لأنهم ليس لهم أناجيل .

---

(١) مسلم جـ ٤ / ٢١٩٧ - المسند جـ ٤ / ١٦٢ .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوه جـ ١ / ١٦ .

وذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى جـ١ / ٢٩ - تحقيق محمد خليل هراس وابن كثير فى تفسير قوله تعالى (بل هو أيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) .

من سورة العنكبوت آيه ٤٩ جـ٦ / ٢٩٥ - تحقيق محمد ابراهيم البنا وزميليه .

واذا نظرنا الى الصورة المقابلة وهم أهل الكتاب ، وجدنا أنهم أهملوا كتبهم فلا يحفظون منها الا النزر اليسير ، وانما يقرؤونها في القراطيس مكتوبة .

بينما نجد الأمة الاسلامية فيهم العدد الكثير الذين حفظوا القرآن منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، وسوف يظلون ان شاء الله .

والله تعالى أورث حفظ كتابه من أصطفاه من الأمة المحمدية قال سبحانه ((والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ، مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير ، ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير))(١) .

فالله تعالى يخبر عن أناس اصطفاهم لوراثه القرآن العظيم فيحفظونه فى صدورهم ، ويحرسونه بأبصارهم وبصائرهم ، ويخدمونه بقلوبهم ، وهى صفة اختص الله بها حفظة كتابه ، وقد ميزهم عن غيرهم بأن من كان منهم ظالم لنفسه يغفر له ، ومن كان منهم مقتصد يحاسبه حسابا يسيرا ، ومن كان منهم سابق فى الخيرات يدخله الجنه بغير حساب(٢) .

---

(١) سورة فاطر آيه ٣١ - ٣٢ .

(٢) تفسير الطبرى المجلد ١ / جزء ٢٢ ص ٨٨ ومابعدها فى تفسير هذه الآيه ط٣ / ١٣٩٨ دار المعرفة - بيروت .

وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان لله أهلين من الناس : قالوا يارسول الله : من هم ؟ قال : هم أهل القرآن أهـــل الله وخاصته [١]) .

وقد جاء التابعون من بعد الصحابة ،فحافظوا على القرآن وحفظوا أياته وقد بلغ عدد الحفظة منهم الآلاف المؤلفة ،وهكذا سار الأمر في حفظ القرآن ، كل طبقة تلقت عن التي قبلها ، وكل جماعة تأخذ عن الجماعة التي سبقتها حتى وصل الينا في أيامنا هذه ، نقيا صافيا ، كما أنزله رب العزة والجلال على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وسوف يستمر وصوله بهذه الصورة الى الأجيال المتعاقبه الى قيـــام الساعة - قال تعالى (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [٢]) .

ولم يكن حفظ القرآن موقوفا على الرجال بل تعداه الى النساء ،فقد كـان هناك عدد من النساء يحفظن القرآن الكريم .

---

(١) ابن ماجة جـ ١ / ٧٨ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار احيـــاء التراث العربي .

(٢) سورة فصلت آية ٤١ - ٤٢ .

ذكر ابن سعد في كتابه الطبقات قال : أنبأنا الفضل بن دكين حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، قال حدثتني جدتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن (١) .

وبذلك نخرج بأن القرآن العظيم قد حفظه الله تعالى من التحريف والتغيير والتبديل ، وقد وصل الينا سالما من كل عبث ، وسيبقى كذلك الى يوم القيامة ان شاء الله .

ونتتبع الآن مراحل جمع وتوثيق النص القرآني ، والأدوار التي مر بها حتى صار مصحفا مجموعا بين دفتين .

---

(١) الطبقات الكبرى / لابن سعد جـ ٨ / ٤٥٧ - دار صادر بيروت .

مراحل توثيق تاريخ النص القرآني :-

- (أ) المرحلة الأولى : في العهد النبوي -

مر توثيق القرآن الكريم في عهد النبوة بأدوار أهمها :-

أ - تدوين القرآن على يد كتبة متخصصين في الكتابة العربية .

يسجل التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بحفظ القرآن وتحفيظه لاصحابه ، بل أضاف الى ذلك كتابة هذا المحفوظ في السطور على يد كتاب متخصصين في الكتابة العربية ، عارفين بقواعد الاملاء المصطلح عليها في عصرهم .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحي ، فمنهم من يكتب بشكل عام ، ومنهم من كان يكتب بشكل خاص ، وقد كان هؤلاء على رتبة عالية من الامانة والثقة ومن أشهر هؤلاء أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبدالله بن سعيد بن أبي السرح .

هؤلاء كانوا في مكة ، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة انضم اليهم ، أبي بن كعب ، وكان أول من كتب للرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وزيد بن ثابت وهو أكثرهم كتابة للوحي المدني ثم انضم اليهم الزبير بن العوام وخالد وأبان أبنا سعيد

بن العاص ابن أمية ، وعبد الله بن رواحة ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد والأرقم بن أبي الأرقم (١) .

وقد تميزت كتابة القرآن بالدقة والمراجعة والاتقان ، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه (كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يشتد نفسه ، ويعرق عرقا شديدا مثل الجمان ، ثم يسري فاكتب وهو يملي علي فما أفرغ حتى يثقل فاذا فرغت قال : اقرأ فأقرؤه ، فاذا كان فيه سقط أقامه (٢) .

وكان كتبة القرآن يخضعون لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقوم بارشادهم الى وضع كل أية أو سورة في موضعها من كتاب الله ، والنبي يعمل بما يرشده به جبريل عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قلت لعثمان بن عفان ، ماحملكم أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني (٣) والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر

---

(١) فتح الباري / لابن حجر جـ٩ / ٢٢ السلفيه . وتهذيب الاسماء واللغات للنووي جـ١ / ٢٩ - دار الكتب العلميه .

(٢) المعجم الكبير / للطبراني جـ٥ / ١٥٧ - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .

(٣) المثاني : هي السور التي تقل أياتها عن المئين وتزيد على المفصل - سنن الترمذي جـ ٥ / ٢٧٢ . الهامش .

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، ووضعتموها فى السبع الطوال ؟ ، فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان ، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذا أنزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا واذا أنزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . . . . .) (١) .

ب - النهى عن كتابة الحديث مع القرآن :-

ومن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ كتاب الله ، توجيه أنظار الصحابة الى قصر همهم عليه وعدم انشغالهم بغيره ومن ذلك قوله (لا تكتبوا عنى شيئا الا القرآن ، فمن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه) (٢) . وكان منهم من يعتمد على الحفظ وحده ، ومنهم من يعتمد على الكتابه دون الحفظ ومنهم من جمع بينهما .

جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال : ما هذا الذى تكتبون ؟ قلنا : أحاديث سمعناها منك ، قال : أكتابا غير كتاب الله تريدون ؟ ما أضل الامم من قبلكم الا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى) (٣) .

---

(١) الترمذى - كتاب التفسير باب ١٠ جـ ٥ / ٢٧٢ - ط/ ٢ تحقيق ابراهيم عطوه .
(٢) الدارمى / باب من لم ير كتابة الحديث جـ ١ / ص ١١٩ .
(٣) تقييد العلم / الخطيب البغدادى ص ٣٣ - ط/ ٢ / ١٩٧٤م .

وهذا النهى عن كتابة الحديث وجه أنظار الصحابة وعقولهم الى كتاب الله تعالى ودفعهم الى تمكينه فى الأذهان خشية النسيان ، والاقتصار على كتابة القرآن خشية أن يدخل فيه ماليس منه ، وهذا من العناية والرعاية التى فرضها الرسول عليه الصلاة والسلام لحفظ كتاب الله تعالى حتى أصبح القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مدونا كله فى صحف متفرقة هنا وهناك عند الصحابة .

ولم يكن النهى عن كتابة الحديث على الاطلاق، بل نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يسمح لبعض الصحابة بالكتابة وذلك لمن كان يأمن منه اختلاط القرآن بغيره ؛ فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : يارسول الله انى أسمع منك أشياء أخاف أن أنساها ، فتأذن لى أن أكتبها قال : اكتبها (١) .

ثم انه بعد أن تم جمع القرآن الكريم لم يعد النهى الوارد فى الحديث قائما لزوال سببه ، فاتجهت همم الصحابة لتدوين السنة النبوية الشريفة .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦ .

جـ - حث الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ كتاب الله وقراءته :-

ومن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بحفظ كتاب الله حثه أصحابه وتابعيهم ومن تبعهم الى أن تقوم الساعة بحفظ القرآن الكريم قال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(١) .

وقال أيضا :

(تعلموا القرآن ، واقرؤوه وارقدوا فان مثل القرآن ومن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكىء على مسك)(٢) .

وقال أيضا :

(من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه)(٣) .

فهذه النصوص النبوية تبين مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وكيف كان يحض أصحابه على حفظه عن طريق الترغيب بالاجر الجزيل وعلو المقام عند الله تعالى مما كان له كبير الأثر عندهم .

---

(١) فتح الباري / كتاب فضائل القرآن جـ٩ / ٧٤ - السلفيه .

(٢) ابن ماجه جـ١ / ٧٨ - تحقيق محمد فؤاد .

(٣) الجامع الكبير / للسيوطي جـ١ / ٨١٧ - وعزاه للبيهقي في شعب الايمان عن ابن عمرو .

وهكذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تتجلى فيها الرعاية والمحافظة على كتاب الله تعالى ، وتنتهى هذه المرحله بعرض القـــرآن الكريم على جبريل مرتين ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان يُعْرَض على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعُرِض عليه مرتين فـــى العام الذى قبض فيه (١) .

والمراد يستعرضه ما أقرأه اياه ؛

وفى رواية عن فاطمة رضى الله عنها أنها قالت : أسرا لىّ النـــبى صلى الله عليه وسلم (أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل ســـنة ، وانه عارضنى العام مرتين ولا أراه الا حضر أجلى (٢)) .

ولقد بلغ من شدة حرصه عليه الصلاة والسلام على حفظ القرآن الكريم أنه كان يحرك به لسانه ، فور سماعه من جبريل خوفا من أن يفلت منه شىء ، فنهاه الله تعالى عن ذلك (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه (٣)) .

---

(١) فتح البارى / فضائل القرآن جـ ٩ / ٤٣ - السلفيه .

(٢) المصدر السابق - جـ ٩ / ٤٣ .

(٣) سورة القيامه آيه ١٧ - ١٨ .

كما كان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تعليم أصحابه القرآن . يقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل ، فإذا قدم الرجل وقد أسلم دفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل منا يعلمه القرآن)(١) .

وذكر الامام أبو عبيد القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فعد من المهاجرين : الخلفاء الاربعة وطلحة وسعدا ، وابن مسعود ، وحذيفة وسالما ، وابا هريرة ، وعبد الله بن السائب وابن الزبير ، والعبادلة ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية ، ومن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمه .

ومن الانصار : أبىّ بن كعب وأبو الدرداء ، ويزيد بن ثابت ، وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت ، ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ، ومجمع بن جاريه وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم(٢) . . . .

---

(١) المستدرك على الصحيحين فى الحديث/ للحاكم جـ٣/ ٣٥٦ طبع النصر الحديثة - الرياض .

(٢) عمدة القارى / شرح صحيح البخارى / للعينى جـ٢٠/ ٢٧ - الطباعة المنيريه .

وذكر الحافظ الذهبى فى مقدمة طبقات القراء :-

أن العدد الذى عرض القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم هو هذا عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وأبىّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الاشعرى ، وأبو الدرداء (١) .

قال : ومن جمعه من الصحابه كثير كمعاذ ، وأبى زيد ، وسالم مولى أبى حذيفه وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر (٢) .

وقال : وقرأ على أبى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن السائب ، وأخذ بن عباس عن زيد أيضا ، وأخذ عنهم خلق كثير من التابعين (٣) .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرأت القرآن وأنا ابن عشر سنين .

وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم لا يحصيهم أحد ولا يضبطهم عدد (٤) . . . .

---

(١) معرفة القراء الكبار / للذهبى جـ١ / ٢١ - تحقيق محمد سعيد جاد الحق .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٩ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٠ وما بعدها .

(٤) عمدة القارى جـ ٢ / ٢٧ .

كما أن التاريخ يحدثنا أنه مات يوم بئر معونة عدد كبير من القراء وكذلك يوم اليمامة (١).

وقد جعل العلماء حفظ القرآن من فروض الكفاية على المسلمين وكذلك تعليمه ومن قال بذلك أبو العباس الجرجانى فى كتابه الشافى فى فروع الشافعية (٢).

قال الجوينى : والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف، فان قام بذلك قوم سقط الاثم عن الباقين ، فان لم يكن فى البلد والقرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم ،ولو كان هناك جماعة يصلحون لتعليمه ، وطلب من بعضهم وامتنع لم يأثم فى الاصح كما قاله النووى (٣).

---

(١) سيرة بن هشام جـ ٣ / ٦٧٨ .

فتوح البلدان / للبلاذرى ص ٩٨ - دار الكتب العلميه - بيروت .

(٢) البرهان / للزركشى - جـ١ / ٤٥٦ - نقلا عن كتاب الشافى /للجرجانى .

(٣) المصدر نفسه جـ١ / ٤٥٦ والتبيان فى آداب حملة القرآن / للنووى ص ١٠ .

٢ - المرحلة الثانيـــة

(فى العهد الراشدى) الأول - أبو بكر الصـــــديق

انتقل النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بعد أن أكمل اللـــه به الدين وأتم النعمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيـــت لكم الاسلام دينا)(١). وآل الأمر الى أبو بكر الصديق رضى الله عنـــــه من بعده ، وحصلت الردة عن الاسلام ، وانشغل الخليفة بحروب المرتدين لأقامة عمود الاسلام وتثبيت دعائمه التى كادت تتقوض ، وحصلت موقعـــــة اليمامة فى السنة الثانيه عشرة للهجرة ، واشتد القتل بالصحابة ، مـــن حفظة القرآن حتى قيل إنهم سبعمائة وقيل خمسمائة وقيل سبعون.(٢)

عند ذلك خاف عمر رضى الله عنه أن يكثر القتل فى القراء فى المواطن الأخرى ، فأشار على ابى بكر ، بجمع القرآن فى مكان واحد ، وفى صحف مجموعة بدل أن يظل مفرقا فى العسب واللخاف وفى صدور الرجال وغـــــير ذلك ، ولكن أبا بكر تردد فى بادىء الأمر ، فظل به عمر حتى شرح اللـه صدره لجمع القرآن ، فأرسل الى زيد بن ثابت ، وكلفه بالقيام بهذا العمـل الجليل ، فراجعهما فلم يزالا به حتى ظهر له الحق واستبان له الرشد ، فعلم أنه الحق فعمل على جمعه.(٣)

---

(١) سورة المائده آيه ٣.

(٢) مناهل العرفان - للزرقانى جـ ١/ ٢٤٩.

(٣) البرهان فى علوم القرآن / للزركشى جـ١/ ٢٣٣ - تحقيق محمد أبوالفضل.

روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال : أرسل الىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ،فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبوبكر إن عمر بن الخطاب أتانى فقال : ان القتل استحر - اشتد - بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن . وإنى أرى أن يجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا - لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر.

قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتتبّع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ، ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالا : هو والله خير ، فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ؛ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة ، مع أبى خزيمة الانصارى ، لم أجدها مع غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . .) الخ السوره (١) .

---

(١) فتح البارى / لابن حجر العسقلانى / باب جمع القرآن جـ٩ / ١٠، وجاء فيه عن ابن التين عن الداودى قال : لم يتفرد بها - أى بآيتى سورة التوبة - أبو خزيمة ،بل شاركه زيد بن ثابت ، فعلى هذا تثبت برجلين جـ٩ / ١٥.

وبهذه الطريقة تم جمع القرآن في صحف واحدة ، باستقصاء ماكتب في الأدم والعسب واللخاف ، وغير ذلك من أدوات التسجيل التي دون بها القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعرضوه على مافي صدور الرجال الثقات لا عرضة واحدة ، بل عرضات متعددة ، وكان ذلك بين مئات وألوف يستحيل تواطؤهم على الكذب ، أو على زيادة أو نقصان ، حتى أنهم كانوا لا يقبلون من أحد آية الا بشهادة قد تحققوا منها أو يمين وثقوا من صاحبه ، ولذلك اطمأنت النفوس وثلجت القلوب ، واقتنعت العقول بأن هذا هو القرآن كما أنزل ، وما يروى خلاف ذلك لا يكترث به . . . .

واما الاختلاف في القراءات فهو شيء آخر ، ليس له علاقه بالكلام الالهي نفسه بل بكيفية قراءته ، وقد جاء هذا الاختلاف نتيجة لتعدد لهجات العرب واختلافها (١) .

وقد وضعت هذه الصحف عند أبي بكر زمن خلافته ، ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصه بنت عمر .

ان هذا العمل الجليل الذي قام به أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم ، ارتكز على دعامة قوية وأساس ثابت .

---

(١) حاضر العالم الاسلامي / لوثروب ستودارد الامريكي جـ١ / ص ٨٣ - تعليق شكيب أرسلان - دار الفكر .

يقول السيوطى (ان زيداً كان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوبا ، حتى يشهد به من تلقاه سماعا ، مع كون زيد ، كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط والاتقان)(١) .

وقد أخرج ابن ابى داوود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام فى الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك فى الصحف والالواح ، والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان)(٢) .

وأخرج أيضا من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبابكر قال لعمر ولزيد (أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه)(٣) .

وقد أدت هذه القيود فى جمع القرآن بأدق وسائل التحرى والضبط الى حفظ كتاب الله من الضياع بسبب موت كثير من الحفاظ ، وضياع بعض الصحف التى سجل فيها ، وهذا نعمة كبرى أنعم الله بها على الأمة الاسلامية . حيث حفظ لها اسلامها وعقيدتها وشريعتها وأخلاقها وآدابها وكيانها بحفظ كتابها .

---

(١) الاتقان / للسيوطى - جـ١ / ٢٠٥ تحقيق محمد أبوالفضل - الهيئه المصريه العامه .

(٢) المصاحف / لابن أبى داوود ص١٠ ط ١ المطبعة الرحمانيه - مصر .

(٣) المرجع نفسه ص٦ .

وقد صور الحارث بن أسد المحاسبي(١) عمل أبي بكر في جمع القرآن بقوله : (كتابة القرآن ليست محدثه ، فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب ، وانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء(٢)) .

وقد امتاز مصحف أبي بكر الصديق بما يلي :-

أولا : جمع على أدق وجوه البحث والتحري ، وأسلم طرق التثبت العلمي ، فلم يأخذ الا من أصل قد كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : اقتصر فيه على مالم تنسخ تلاوته ، واما ما نسخت تلاوته فلم يدخل في هذا المصحف .

ثالثا : اجمعت الأمة الاسلامية على صحة هذه النسخة ، وتواتر ما فيها .

رابعا : ان ترتيبه وضبطه وضع حسب العرضة الأخيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خامسا : تم جمع هذا المصحف بعد المقارنة بين المحفوظ في الصدور والمرسوم في السطور .

---

(١) أحد رجال الصوفية ، عاش في أواخر القرن الثاني حتى القريب من نصف القرن الثالث وتوفي سنة ٢٤٣ أو ٢٤٥ كان عالما جليلا وقد أثنى عليه الامام أحمد بقوله / (ما سمعت في الحقائق مثل هذا الرجل ولم أر مثل أصحابه معه) ابن خلكان ١/ ١٢٦ - صفة الصفوه لابن الجوزي ٢/ ٣٦٧ حـ ١ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي جـ١/ ٢٠٦ تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم والبرهان في علوم القرآن / للزركشي جـ١/ ٢٣٨ - دار المعرفه - بيروت .

٣ - المرحلة الثالثة

فى عهد عثمان رضى الله عنه :-

ولما جاء عهد الخليفه الثالث كان الصحابة ، قد تفرقوا فى الأمصار ، وحمل كل واحد معه القراءات التى يحفظها وأخذ يعلمها أهل البلاد التى استقر بها فنتج عن ذلك اختلاف فى القراءات بين أهل تلك البلاد .

روى البخارى فى صحيحه عن ابن شهاب أن أنس بن مالك . حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان ، مع أهل العراق ، فافزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال : حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى (١) .

والجدير بالذكر أن اختلافا وقع فى المدينة بين متعلمى القرآن ومعلميه وقد تعاظم ذلك فى نفس عثمان رضى الله عنه فخطب الناس فقال : (أنتم عندى تختلفون وتلحنون ؟ فمن نأى عنى من أهل الامصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا . .

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى / كتاب فضائل القرآن جـ٩ / ١١ - السلفيه .

(٢) تفسير الطبرى جـ١ / ٢٧ - ط٣ / ١٣٨٨ - مصطفى البابى الحلبى / مصر - الاتقان للسيوطى جـ١ / ٢٠٩ نحوه .

ثم قال : اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس اماما[1] . فلما اجتمع الصحابة ذاكرهم في اختلاف الناس في القراءة ، وأشار عليهم بجمع القرآن في مصحف واحد .

ثم أرسل الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها اليك ، فأرسلت بها الى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ..... ثم أرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ، أو مصحف أن يحرق[1] .

وقد امتاز مصحف عثمان بالميزات التي امتاز بها ، مصحف أبي بكر وزاد عليها أنه رتب السور على نظامها المعروف حاليا[2] .

ومازال هذا المصحف يتناقله المسلمون جيلا بعد جيل حتى يومنا الحاضر وسيبقى محفوظا بحفظ الله تعالى له الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وانما ترك عليه الصلاة والسلام جمع القرآن في مصحف واحد لما كان يرد على بعضه من نسخ لبعض أياته حكما أو تلاوة فلما تم نزوله ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[3] .

---

(١) فتح الباري جـ٩ / ١١ السلفيه .

(٢) مناهل العرفان / للزرقاني جـ ١ / ٢٦٠ .

(٣) الاتقان - للسيوطي جـ١ / ٢٠٢ - تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، والبرهان - للزركشي جـ ١ / ٢٣٥ - تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ط ٢/ ١٣٩١ - دار المعرفة - بيروت .

٤ - المرحلة الرابعة
ضبط حركات الآيات وتنقيط الكلمات

كانت المرحلة الأخيرة من مظاهر حفظ وتوثيق النص القرآني أن يسر الله له علماء قاموا بضبط حروف الكلمات ونقطها ، والتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، كنقط الفتحة بنقطة من فوق الحرف ، والكسرة من تحت الحرف ، والتفريق أيضا بين الحروف المتشابهة في الرسم ، كنقط الباء بنقطة من تحتها ، والتاء باثنتين من فوقها .... وهكذا ... حتى لا يحدث لحن في القراءة ... وكان هذا الفن من عمل الخليل بن أحمد .(١)

والذي دفع المسلمين لاحداث تنقيط المصاحف هو فساد الألسن في اللغة ووقوع اللحن في القراءة نتيجة الاختلاط والمصاهرة بين العرب والعجم وغيرهم بعد اتساع الدولة الاسلامية ، وتولد الأولاد منهم ، وضعف الفطرة العربية في النفوس ، على خلاف ماكان عليه الصدر الأول من الفصاحة والبلاغة وحدث ذات مرة أن سمع أبو الأسود الدؤلي قارئا يقرأ قول الله تعالى ((.... واعلموا أن الله برئ من المشركين ورسوله ، بكسر اللام في (رسوله)) على أن اللفظ مجرور ، فأزعجه ذلك ، وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم عرض الأمر على زياد ... والي البصرة ، فطلب منه زياد أن يضع للناس علامات تدل على الحركات والسكنات ، فأجابه الأسود الى ذلك ، فجعل للفتحة نقطة من فوق الحرف ، وللكسرة نقطة أسفله ، وللضمة نقطة بين الحرف والذي قبله ، وللتنوين نقطتين .(٢)

---

(١) تاريخ توثيق نص القرآن الكريم ، خالد عبد الرحمن العك ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق .

وسار الناس على هذا النهج فترة من الزمن ، ثم أخذوا يعدلون ويبتكرون ، فجعلوا علامة للحرف المشدد كالقوس ، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها ، أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة ، حتى كان عهد عبد الملك بن مروان ، فاضطروا الى وضع النقط للباء والتاء والثاء وغيرها ، ثم التبس النقط بالشكل فميزوا بينهما باللون والرسم الى أن تم الوضع على ماهو معهود الآن (١) .

وقد اشتهر فى عملية الشكل والنقط أبو الأسود الدؤلى ، وتلميذاه نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى ، وخليل بن أحمد ، وابن سيرين ، الذين كانوا على درجة من العلم والورع (١) ، رحم الله الجميع وجزاهم عن كتابه خير الجزاء .

شهادات بعض الغربيين فى القرآن :-

هذه شهادات منصفه لبعض العلماء الغربيين فى القرآن نسجلها لا لحاجتنا الى تزكية من أحد ، ولكن من باب ، وشهد شاهد من أهلها والحق ماشهدت به الاعداء .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) نفسه .

١ - يقول أحد الغربيين الذين اعتنقوا الاسلام :-

((هل يتأتى لجميع فلاسفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة في القرآن ولو ارتكنوا على كل ماضي أيديهم من علوم عصرية ، لا يتأتى لهم ذلك ، والعلوم كل يوم في تبديل وتغيير ، وفي كل لحظة تظهر معاني باهره لآيات قرآنية ، ماكنا لنفهم معناها الا بعد تقدم العلوم))(١) .

٢ - ويقول جرنييه المسلم الفرنسي الشهير :-

((لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية ، التي درستها من صغرى ، وفهمتها جيدا ، فوجدتها مطابقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثه ، فأسلمت لأني تيقنت أن الاسلام أتى بالحق الصراح ، من قبل ألف سنة ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيدا كما قارنت أنا ، الأسلم دون ريب ، هذا ان كان عاقلا خاليا عن الاغراض والاهواء . . .))(٢) .

٣ - ويقول أحد أفاضل علماء الانجليز في محاضرة عن الاسلام ألقاها سنة ط/١٣٨٥ في كنيسة البرستيان (اذا كان في عالم الالهام أمر يدعى وحيا ، وكان للوحي وجود كامل ، فلن يشك في أن القرآن كتاب منزل)(٣) .

---

(١) البرهان من القرآن /محمد أحمد مهدي ص ٣٠ - منشورات حمد / بيروت ط / ١٣٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٣) الدين والعلم / المشير أحمد عزت باشا ص ١٥٥ .

٤ - ويقول المستشرق لو بلشوا :-

((ان القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر))[١] .

٥ - وقال وليم موير :-

((ان المصحف الذى جمعه عثمان ، قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا بدون أى تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة ، بحيث لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر ، بل نستطيع أن نقول انه لم يطرأ عليه أى تغيير على الاطلاق ، فى النسخ التى لا حصر لها ، والمتداولة فى البلاد الاسلامية الواسعة ، فلم يوجد الا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة ، وهذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المنزل الموجود معنا والذى يرجع الى الخليفه المنكسوب عثمان الذى مات مقتولا))[٢] .

كما صرح بأن المسلمين ، قد حافظوا على القرآن بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا فى ذلك أدق الطرق لحفظه ، فجاء هذا القرآن كما كان فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام .

قال : فالقرآن روعى فيه الدقة على مختلف مرات الجمع ، وأن النتيجه التى نستطيع الاطمئنان اليها هى أن جمع المصحف لم يكن

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم د . / محمد عبد الله دراز ص. ٤ - ط٢ / ١٣٩٢ - دار القلم - كويت .

(٢) المرجع نفسه ص . ٤ .

دقيقا فحسب ، بل كان كاملا كما تدل الوقائع ، ولم يغب عن جامعيه منه شيء وكل أيه منه مضبوطه كما تلاها محمد صلى الله عليه وسلم)) (١) .

٦ - تقول الدكتورة لورافيشيا فاغليرى أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة فى جامعة نابولى بايطاليا :-

((فالى الكتاب العزيز الذى لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه لا المثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذى لا يبليه الزمان ، والذى لا يزال الى اليوم كعهده يوم أوحى الله به الى الرسول الامى البسيط آخر الأنبياء - حملة الشرائع - الى هذا المصدر الصافى دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى اذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب)) (٢) .

هذه شهادات بعض علماء الغرب المنصفين الذين درسوا القرآن واطلعوا على تعاليمه فشهدوا شهادة الحق .

---

(١) حياة محمد / محمد حسين هيكل ص ٣١ - ٣٨ - بتصرف ط / ١٣ مكتبة النهضة المصرية - وفصل الخطاب فى سلامة القرآن / أحمد السيد الكومى وزميله ص ٥٥ .

(٢) محمد عبقرى مصلح أم نبى مرسل محمد شيخاتى ص٢٢٣-٢٢٤ - ط / ١ / ١٣٩٢ .

نصوص القرآن تدل على أنه وحى من عند الله :-

تشير نصوص القرآن الكريم فى مواطن عديدة على أنه من عند الله ، وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم ذلك النبى الأمى الذى لم يعرف القراءة والكتابة ، ولم يدّع فى يوم من الأيام أن القرآن من عنده ، وانما أخبر بأنه كتاب الله تعالى أنزله اليه بواسطة جبريل عليه السلام.

قال تعالى :-

(انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين)(١) فجبريل عليه السلام هو الذى تلقاه عن ربه ، فكان واسطة بين الله وبين النبى محمد عليه الصلاة والسلام (ان هو الا وحى يوحى)(٢).

كما صرحت الآيات القرآنية بأنه لا علاقة لمحمد صلى الله عليه وسلم بانزال القرآن ، بل هو عبد مأمور تخاطبه الذات الالهية ، المحيطة به القادرة عليه .

قال تعالى :-

(واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا أجتبيتها ، قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى)(٣).

---

(١) سورة التكوير آيه ١٩ - ٢١.

(٢) سورة النجم آية ٤.

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠٣.

أى اذا لم تأتهم أيها الرسول بآية قرآنية طلبوها منك ، وتراخى الوحى بانزالها قالوا لولا ألفتها من تلقاء نفسك ، قل انما أتبع مايوحى الى من ربى ، من غير أن يكون لى دخل فى ذلك أصلا .

وقال سبحانه (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا ، أو بدله ، قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفس ان أتبع الا مايوحى الى)(١) .

أى إنى عاجز عن الاتيان بآية من الآيات الكونية ، وما أنا من المفترين على الله ، انما اتبع مايوحى الىّ من ربى وما علىّ الا البلاغ المبين)(٢) . . . .

وقال تعالى أيضا ـ . . . .

(وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ، وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)(٣) .

فالكتاب منزل من عند الله وليس من عند محمد ، وكيف يكون محمد هو صاحب الكتاب ثم ينسبه الى الله ، لو كان الأمر كما يدعى الكافرون من الناس ، لنسبه محمدا الى نفسه ، فازداد به عظمة وارتفاعا ، وهو الصادق الذى شهد له الأعداء بذلك ، وهو الحكم العدل الذى يقبله الاعداء لحل الخصومات ، وهو النبى الأمى الذى لم يخط كتابا من

---

(١) سورة يونس آية ١٥ .
(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٩ / ٥٥١ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٧ - ٤٨ .

قبل (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)[١] .

ولكن (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتو العلم ، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون)[٢] .

والرسول منذر ومبلغ لهذه الآيات .

(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين ، أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة ، وذكرى لقوم يؤمنون)[٣] .

وهناك آيات أخرى غير ذلك كثيرة كلها دالة على أن القرآن من عند الله منها قوله تعالى :

(وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)[٤] .

وقوله :-

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)[٥] .

وقوله :-

(وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[٦] .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٨ . (٢) سورة العنكبوت آية ٤٩ .
(٣) " " آية ٥٠ ، ٥١ . (٤) سورة الشورى آية ٧ .
(٥) سورة فصلت آيه ١ - ٣ .
(٦) سورة الشعراء آيه ١٩٢ - ١٩٥ .

وقوله : (الر تلك آيات الكتاب المبين ، انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)(١) .

ونخرج من هذه الآيات بأمرين هامين :-

أولهما : دلالة ضمائر المتكلم في الآيات على أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الافعال المسندة الى الله لا يمكن ولا يعقل أن تصدر الا من الله سبحانه في أي موطن من مواطن الاسناد .

ثانيهما : تبرؤا الرسول صلى الله عليه وسلم من نسبة أي شيء الى نفسه من كتاب الله تعالى ، وأنه كان يرجع الى ربه في كل آية منه .

شواهد أخرى :-

ورغم أن الحقيقة واضحة وفيما ذكر دلالة وكفاية الا أننا نزيد الموضوع بتلك الأحداث القرآنية التي تدل على أن القرآن من عند الله

أولا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن أمور كثيرة ولا يجيب عليها حتى ينزل عليه الوحي من الله ، فلو كان القرآن من صنع محمد كما زعم أعداء الاسلام . لكان الجواب حاضرا لكل سؤال في وقته ، وكم نزل به من الخطوب وهو

---

(١) سورة يوسف آيه ١ - ٢ .

صابر لا يتكلم حتى ينزل الله عليه الوحى من ذلك سؤال قريش له عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ماكان أمرهم ، وعن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ماكان نبوءه ، وعن الروح ماهى ، وكانت قريش قد أرسلت رجلين الى أحبار اليهود يسألونهم عن هذا الرسول ، لأنهم أهل كتاب ، فقالوا لهما سلوه عن هذه الاسئله فاذا أخبركم بها ، فاتبعوه فهو نبى والا فهو رجل كاذب .

فسألوا الرسول عن ذلك فقال :-

أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يوحى الله اليه فى ذلك شيئا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكه ، وقالوا : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليله قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم على تأخر الوحى ، وشق عليه ذلك ثم بعد ذلك نزل عليه جبريل بسورة الكهف فيها معاتبة اياه على حزنه عليهم ، وجوابه عن الاسئله التى سألوا عنها (١) .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ / ٣٠٢ - تعليق محمد خليل هراس .

نقف أمام هذه الحادثة ، أسئلة تلقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، فلو كان الأمر يتعلق به وحده ويعلم الجواب، لأعطاهم في الحال جواب كل سؤال ، لكن أنى له ذلك ، والأمر ليس بيده .

ويحمد قريشا بالاجابة على هذه الاسئله في اليوم الثاني ، ويتأخر الوحي عنه ، وتمر الأيام ، وتخوض قريش في الحديث ، ويضيق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، وهو الذي يرجو هداية هؤلاء القوم ، ويبقى الأمر كذلك حتى تمر خمس عشرة ليله ، وهو على حاله ، ثم بعد ذلك ينزل عليه جبريل بالوحي من عند الله مجيبا له على أسئلة قريش في سورة الكهف .

أفلا يدل ذلك على أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : هناك بعض الآيات التي عاتب الله فيها نبيه عليه الصلاة والسلام على بعض أمور حدثت منه ، فلو كان القرآن من عنده لما أعلن عن هذه الأيات، ولسكت عنها وستر على نفسه ، ولكنها سجلت كغيرها قرآنا يتلى الى قيام الساعة وذلك مثل :-

١ - الآيات الخاصة بأسرى بدر (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)(١) .

٢ - الآيات الخاصة بزواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . . . الخ)(٢) .

تقول أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها : (لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن لكتم هذه الآيه " أى قصة طلاق زيد لزوجه زينب وزواج النبى صلى الله عليه وسلم بها) لكيلا يسوء فهمها الجهلاء وضعاف العقول ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك(٣) .

٣ - الآيات الخاصة بعبد الله ابن ام مكتوم (عبس وتولى أن جاءه الاعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى)(٤) .

---

(١) سورة الانفال آية ٦٧ - ٦٨ .
(٢) سورة الاحزاب آية ٣٧ .
(٣) الرسالة المحمدية / سليمان الندوى ص٧٦ ط/٣ المطبعة السلفية .
(٤) سورة عبس آيات ١ : ٩ .

يقول الشيخ محمد عبد الله دراز (أرأيت لو كانت هذه التقريعات الموئلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف مافرط من رأيه ، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه ، واستبقاء لحرمة أرائه ؟ . بلى ان هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجه أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان . . . . .

ولو كان كاتما شيئا لكتم أمثال هذه الآيات ، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه)(١)

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)(٢) .

وأسوق الآن شهادة للمستشرق الدكتور شمبس تتصل بهذا الموضوع يقول فيها :-

(يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد وهذا هو الخطأ المحض فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد ،

---

(١) النبأ العظيم - د . / محمد عبد الله دراز ص ٢٥ - دار القلم - الكويت .

(٢) سورة المائدة آيه ٦٧ .

وليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي ، في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ، ويهدى به الناس من الظلمات الى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوربي بهذه الحقيقة ، لا تعجبوا فاني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة ، وتلك البلاغة التي لم أر مثلها قط ، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات)) (١) .

اعجاز القرآن ودلالته على أنه من عند الله :-

عرف الأستاذ مصطفى الرافعي الاعجاز بقوله : (ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الانسان واتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه (٢) .

ولما كانت وجوه الاعجاز متعددة ، فاننا نذكر بعضها .

---

(١) سيرة سيد المرسلين / محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ص ١٨ - ١٩ - دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

(٢) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٣٩ - ط / ٩ .

(١) الاعجاز البيانى :-

ساق الاستاذ مصطفى الرافعى أيضا فى كتابه اعجاز القرآن آراء علماء العربية فى اعجاز القرآن فكان مما ذكر :-

أ - رأى الجاحظ الذى يقول : (ان القرآن فى الدرجة العليا من البلاغة التى لم يعهد مثلها) .

ب - وآخرون يقولون : (بل ذلك فى خلوه من التناقض واشتماله على المعانى الدقيقة .

جـ - ومذهب آخر لطائفة من المتأخرين ، وهو أن وجه الاعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة ، والرائقة فى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كل سورة ، وفى مبادىء الآيات وفواصلها .

قالوا : ... والمعول على ثلاث خواص :-

١ - الفصاحة فى ألفاظه كأنها السلسال .

٢ - البلاغة فى المعانى بالاضافة الى مضرب كل مثل ، وساق كل قصة وخبر فى الأوامر والنواهى ، وأنواع الوعيد ومحاسن الامثال والمواعظ وغيرها مما اشتمل عليه فانها مسوقة على أبلغ سياق

٣ - صورة النظم ، فان كل ماذكره من هذه العلوم مسوق على أتم نظام وأحسنه وأكمله :-

قال ... ومحصل هذا المذهب الأخير - أن الاعجاز في القرآن كله لأن القرآن كله معجز ، وهو معجز لأنه معجز .(١)

ثم قال : أما الذي عندنا ..... فهو أن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من الاعجاز على الاطلاق ... فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا وليس الى ذلك مأتى ولا جهة ، وانما هو أثر كغيره من الآثار الالهية ، يشاركها في اعجاز الصنعة ، أ . وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة افراغا من ذوب تلك المواد كلها .(٢)

وهذا الذي ذكره الرافعي جيد وصحيح ، فقد بلغ القرآن الكريم الذروة في الفصاحة ، والبلاغة ، وقد عجز فصحاء العرب عن مجاراته مع علو كعبهم ، ورسوخ قدمهم في أساليب اللغة وفنونها ، في عصر برزت فيه دولة الكلام وارتفع أهلها .

وقد جاءت أساليبه على خلاف الشعر والنثر يقول طه حسين :-(٣)

((ان الكلام ينقسم الى ثلاثة أقسام شعر ونثر وقرآن)) فهو يرى أن اسلوب القرآن يسير طريقا خاصا به ، لا هو بالشعر ، ولا هو بالنثر ، ولكنه قرآن ، فهو لا يخضع لقواعد النثر ، ولا لقواعد الشعر ، ولكن له بلاغة خاصة به تحسها في تركيب الفاظه .(٤)

---

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية / ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق / ١٥٦ .

(٣) جئنا بهذا الشاهد لطه حسين لجودته مع مانعرفه له من سقطات أخرى بالنسبة للقرآن كما في كتابه الشعر الجاهلي .

(٤) بحث جديد عن القرآن / محمد صبيح ص١٠٣ ط٦/١٩٦٦ بتصرف .

وقد جاء أسلوب القرآن مغايرا لمنهج أساليب العرب ، حيث أن فصاحتهم تجلت في الابداع بالوصف ، بينما القرآن لم يأت من أجل الوصف ، وانما اشتمل على كثير من الأحكام في العبادات والمعاملات، ودعا الى الخيرات ، وحرم المنكرات ، وأشار الى علوم كثيرة ، ومع هذا كله فقد اتسم بحسن الربط بين الكلام مع اختلاف موضوعاته التي شملت الأمر والنهي ، والخبر والاستخبار ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، والوعظ والارشاد ، والقصص والتاريخ . . . الخ .

ومع هذا كله فقد اشتمل على دقائق البيان ، وحسن العبارة ، ولطف الاشارة ، وخلا من كل عيب ونقص ، مما دفع الفصحاء الى الاعتراف بذلك الى أنه ليس من جنس الشعر ، ولا من جنس الخطب.(١)

فاعجاز القرآن ليس في ألفاظه أو معانيه فحسب ، وانما جوهر الاعجاز في خصائص نظم القرآن ، حيث أنه فوق طاقة الخلق متفرقين أو مجتمعين ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ويظهر اعجاز القرآن في تأثيره في النفوس البشرية ، والضمائر الانسانية التي تطلب الحقيقة قال تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)(٢) .

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى / القاضي عياض جـ١ / ٢١٢ وما بعدها .

(٢) سورة الزمر آية ٢٣ .

وكم من نفوس أثر فيها القرآن فقلب عداوتها موالاة لله ولرسوله، وجعل كفرها ايمانا ، وهذا التأثير لا يتوفر لكتاب غير القرآن ، هذا هو عمر بن الخطاب خرج يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما أن سمع بعض الآيات القرآنية حتى أحيت قلبه بالايمان ، فأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق وأصبح خليفة المسلمين الثاني بعد موت رسولهم (١) .

وروعة البيان القرآني هي التي دفعت عتبة بن ربيعة الى القول ((والله قد سمعت قولا ، ما سمعت مثله قط ، ما هو بالشعر ولا بالكهانة (٢) ...)) . كما جعلت الوليد بن المغيرة يخاطب قريشا وهو منهم ومن ألد أعداء الدعوة الاسلامية بقوله :-

(والله ما منكم أحد أعلم بالاشعار مني ، أعرف رجزها وقصيدها ، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من ذلك ، ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، ما يقول هذا بشر ... (٣)

---

(١) السيرة الحلبية / علي بن برهان الدين الحلبي جـ٢ / ١٢ وما بعدها قصة اسلام عمر .

(٢) سيرة بن هشام جـ١ / ٢٩٤ - مراجعة محمد خليل هراس .

(٣) المعجزة الكبرى القرآن - محمد أبوزهره ص ٦٧ ط/ ١٣٩٠ - دار الفكر العربي .

نماذج من الاعجاز البيانى :-

١ - يقول الله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب)[١] .

فمن دقائق البلاغة فيها أنه جعل فيها الضد متضمنا لضده وهو الحياة فى الاماتة ، التى هى القصاص ، وعرّف القصاص ، ونكر الحياة للاشعار بأن فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيـــاة عظيما لا يقدر قدره ولا يجهل سره ، وقد جمعت بين الايجـــاز والاعجاز[٢] .

٢ - ويقول أيضا سبحانه :-

(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)[٣] .

أمر الله فى أول هذه الآيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، ونهى فى وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ووعظ فى آخرها وذكّر .

فقد جمعت هذه الآيه ضروبا من البيان وأنواعا مـــن الاحسان حيث ذكر المولى العدل ، والاحسان ، والفحشاء ، والمنكر بالألف واللام التى تفيد الاستغراق أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروبه ، وجمعت الطباق اللفظى ، والمعنـــوى

---

(١) سورة البقرة آيه ١٧٩ .

(٢) تفسير المنار جـ٢ / ١٣٠ - والفتوحات الالهيه / للجمل جـ١ / ١٤٣ مصطفى البابى الحلبى .

(٣) سورة النحل آيه ٩٠ .

أما اللفظى فقوله (ان الله يأمر ، وينهى) والمعنوى قولـــه (العدل والاحسان وايتاء ذى القربى) وقوله (الفحشاء ، والمنكر ، والبغى) .

فالثلاثة الأواخر اضداد الثلاثة الأولى التى هى من الفعـــل الحسن والأواخر من الفعل القبيح ، فطابق بين الحسن والقبيـح مطابقة معنوية . ثم بين خصوصية ذوى القربى بإعادة الايصاء عليهم والايتاء لهم ، مع أن الأمر بالاحسان يشملهم فالآية احتوت علـــى حسن النسق ، وعطف الجمل بعضها على بعض ، فقدم العـــدل وعطف عليه الاحسان الذى هو جنس عام ، وخص منه نوعا خاصـــا وهو ايتاء ذى القربى ، ثم أتى بالأمر مقدما ، وعطف عليه النهى بالواو ، ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف ، بحيث لـــم يتأخر فى الكلام مايجب تقديمه ، ولم يتقدم عليه مايجب تأخيره . ثـــم ختم ذلك بأمور مستحسنه ودعا الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا ، وأشتات من الأوامر والنواهى مالوبث فى أسفار عديدة لما أسفرت عن وجوه معانيهـــا ، ولا احتوت على أصولها ومبانيها ، فسبحان من لا يشبه خلقه ذاتا ولا كلاما ولا إحكاما ، ولا أحكاما (١) .

---

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان / ابن القيم الجوزيه ص ٦٨ - ٦٩ - دار الكتب العلميه - بيروت .

التحدى بالقرآن :-

لم يترك المولى العرب فى سكوتهم بل تحداهم بالقرآن جملة فقال : (أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)(١) ، (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢) .

وسجل القرآن هذا العجز ثم تحداهم بعشر سور مثله فعجزوا أيضا - قال سبحانه (أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)(٣) .

ثم تحداهم بسورة واحدة مثله فعجزوا أيضا ، وظهر ضعفهم البشرى قال تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)(٤) .

لقد عرض القرآن الكريم آيات التحدى على الناس منذ أربعة عشر قرنا وقرع آذانهم هذا الصوت مرات ومرات ، فعجزوا عن مجاراته ، وما يزالون كذلك وسيظلون مابقى الدهر عاجزين عن الاتيان بمثل سورة واحدة من سوره ، وليس هناك أدنى أمل لهؤلاء الجاحدين

---

(١) سورة الطور آية ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) سورة الاسراء آيه ٨٨ .
(٣) سورة هود آيه ١٣ .
(٤) سورة يونس آيه ٣٨ .

بمجاراة القرآن ، لأن أرباب الفصاحة وقفوا عاجزين عن ذلك ، وكانوا بأمس الحاجه لرد تحديه لهم، وهذا يدل على أن القرآن الكريم وحى إلهى ، وهو فوق طاقة البشر مهما بذلوا من جهد ، ومهما وصلوا اليه من علم .

شبهة حول الاعجاز البيانى :-

أثار البعض شبها حول الاعجاز البيانى للقرآن الكريم حيث قالوا :-

(انكم تستدلون على الوحى باعجاز القرآن ، وتستدلون على اعجاز القرآن ، بما فيه من أسرار بلاغية ، ونحن لا ندرك تلك الأسرار ولا نسلمها ، فلا نسلم الوحى المبنى عليها)[1] .

والجواب عن ذلك :

ان الاعجاز القرآنى لا ينحصر فى الجانب البيانى ، وانما هناك جوانب متعددة لاعجازه منها ، ما حوته آياته من تعاليم سامية ، وأحكام رشيدة فى العقائد والعبادات والمعاملات ، وفى التشريعات ، والانظمة القانونية والسياسية والاجتماعية ، والاقتصادية والدولية ، وبالمقارنة بين قوانين البشر ، وما جاء به القرآن تتجلى عظمة القرآن الكريم الذى جاء على لسان رجل أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة .

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى جـ١ / ٨٢ .

وكذلك ماحوته آيات القرآن من اعجاز علمي حيث أخبرت عن حقائق علمية أثبتها العلم الحديث وأقرها ، وقد سبقه القرآن الى ذلك وما جاء في آياته من اخبار عن المغيبات في الامم السابقه الى آخر ماجاء به من اعجاز . فمن عرف ذلك أدرك اعجازه .

وأما كونهم لا يدركون الاسرار البلاغية ، فهذا لا يقدح في اعجاز القرآن لأن كثيرا من الناس ضعفت عقولهم عن فهم العربية وأسرارها وأساليبها فلم يدركوا مافيها من روعة وعدم ادراكهم لا يدل على عدم بلاغتها ،ولا بد للحكم أن يصدر من أهله ، والباب مفتوح أمام الجميع الى أن تقوم الساعة وقد شهد أرباب الكلام بفصاحة القرآن منذ القديم (١) .

٢ - الاعجاز العلمي :-

احتوى القرآن الكريم على كثير من الآيات الواضحة ،التي تناولت حقائق علمية متعلقه بالكون ومافيه ، وخلق الانسان وتطوره ،وعالم النبات والحيوان ،وغير ذلك مما لم يكن الانسان يعلم عنه شيئا ،الا بعد أن تقدمت به العلوم في هذا العصر ،وازدادت اتساعا وعمقا في أبحاثها ، وتنوعا في موضوعاتها ، فظهرت بعض المعاني التي لم تكن معروفة عند السابقين ، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا القرآن هو كلام رب العالمين .

---

(١) مناهل العرفان / للزرقاني جـ١ ص ٨٢ ومابعدها .

وسأعرض بعض الأمثلة القرآنية مشيرا الى مافيها من حقائق علمية اكتشفها العلم الحديث ، وقد أشار اليها القرآن الكريم من قبل وصدق الله حيث يقول (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد)(١) .

قال تعالى :-

١ - (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث)(٢) .

يقرر العلم الحديث أن الظلمات الثلاث هى المبيض وقناة فالوب ، والرحم ، وليس كما فسرها العلماء السابقون بأنها ظلمة البطن والرحم والمشيمة . لأنها تعتبر ظلمة واحدة ، لانها فى مكان واحد(٣) .

٢ - ذكر فوائد الرياح حيث أنها وسيله للتلقيح - قال تعالى :-
(وأرسلنا الرياح لواقح)(٤) .

---

(١) سورة فصلت آيه ٥٣ . (٢) سورة الزمر آيه ٣٩ .

(٣) مدخل الى القرآن الكريم د . / محمد عبد الله دراز/جـ١٧٦ صفحه ، ط١٣٩٤ . والقرآن واعجازه العلمى / محمد اسماعيل ص ١٠٥ .

(٤) سورة الحجر آيه ٢٢ .

فبين العلم الحديث أن الرياح أثناء هبوبها تحمل معها حبوب اللقاح التى تأخذها من زهرة وتلقيها فى مبيض زهرة أخرى فيتم تلقيح النباتات بهذه الطريقة . كما أن الرياح تلقح السحب لتجود بالمطر .(١)

٢ - قوله تعالى :-

(ألم تر أن اللّه يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار)(٢) .

ان مفتاح هذه الآية قوله تعالى (ثم يؤلف بينه) لقد درج المفسرون على أن كلمات هذه الآية تحوى ضروبا من المجاز.

وما أن جاء العلم الحديث حتى أثبت أن هذه الآيات تحوى حقيقة من أمهات الحقائق الكونية ، فهى تدل على الحقيقة الكهربائية التى تقوم عليها تلك الظواهر الجويه كلها ، فالتأليف بين السحاب اشارة واضحة ، ووصف دقيق للتقريب بين السحاب المختلف الكهربائية حتى يتجاذب ويتعبأ فى الجو ، تعبئة تشبه تعبئة الجيوش ، تتفق مع مايريد الله أن يخلقه من بين السحاب من برد أو صواعق ، ومن مطر أو من برد ...(٣)

---

(١) المرجعين السابقين ص ١٧٦ الاول وص ١٣٨ الثانى .

(٢) سورة النور آية ٤٣ .

(٣) الاسلام فى عصر العلم/ محمد أحمد الغمراوى ص٣٥٢-٣٥٣ ط١/ ١٣٩٣ مطبعة السعادة .

وكم آمن بالقرآن كثير من العلماء نتيجة تأثير القرآن فى نفوسهم التى سمعت آياته فتدبرتها واضرب مثالا لذلك .

كان ربان سفينة بحريه يسافر فى البحار بالليل والنهار ، ويشاهد عجائب البحر - وقد تتعرض سفينته لعواصف وأمواج بحرية ورياح شديدة وسط ظلمات الليل الدامسة ، فعرض عليه قول الله تعالى .

(أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها)[1] .

فقال فى نفسه ، ان أحدا لا يستطيع أن يصف هذا الوصف الدقيق لاحوال البحار ، وظواهرها الجويه ، الا من كان بحاراً شق عباب الماء ، وعاين تقلبات أحواله ، وإن الذى أنزل عليه هذا الكتاب لم يكن بحارا ، ولم يركب البحر فى حياته ، وانما عاش وسط الصحراء ، فمن أين له هذه المعلومات الدقيقة عن البحار ، التى لا يعرفها الا الذين عاشوا فيها ، ان هذا الكلام ليس لمحمد ، وانما هو كلام عليم خبير وهو الله سبحانه وتعالى ، فدخل فى الاسلام وآمن بالله[2] .

---

(١) سورة النور آية ٤٠ .

(٢) القرآن واعجازه العلمى ص ٤٧ - دار الفكر العربى - مصر .

وهنا لا بد من الاشارة الى بعض الأمور الهامة التى لا بد من مراعاتها عند تفسير الآيات العلمية والكونية فى القرآن الكريم :-

أولا : على كل من حاول الدخول فى هذا المضمار أن يعرف أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ، وعقيدة وشريعة أنزله رب الأرض والسماء وضمنه من أصول الايمان وقواعد التشريع ما يصلح البشر ويسعدهم اذا ارتبطوا به وليس كتابا لدراسة علوم الفلك أو النبات أو الطب وأن كان قد حوى من حقائق هذه العلوم الكثير .

ثانيا : اذا وافقت النظريات العلمية التى قام العلماء بالكشف عنها - بما أوتوا من قوة عقلية واجهزة كاشفة - القرآن قبلناها والا رددناها لأن العلم من وضع البشر ، فهو يخطىء ويصيب ، بينما القرآن من عند الله تعالى لا يلحق علومه تغيير ولا تبديل ، وهو كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثالثا : جاء القرآن الكريم بحقائق علمية ثابته ، ولا يصح أن نضع هذه الآيات تحت تجارب العلم الحديث ليحكم لها أو عليها ، وإنما القرآن هو الحكم وهوالفيصل بين الحق والباطل ، ومن ثم فانه غير مسموح على الاطلاق أن تفسر الآيات الكونية

فى القرآن الكريم بالنظريات العلمية لانها عرضة للخطأ والصواب ، وانما تفسر بها يوم تصل الى حقائق ثابتة ، خاصه وأن كثيراً من النظريات العلمية التى يكتشفها العلم الحديث تتغير وتتبدل ، بينما أحكام القرآن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل .

رابعا : التحفظ فى تفسير الآيات الكونية والعلمية بالمكتشفات الحديثة فلا نطير وراء كل اكتشاف أو نفرح بكل اختراع ، ونقول ان القرآن سبق العلم الحديث ، وانما لا بد من التأنى حتى ترقى النظرية الى حقيقة حتى لا نعرض آيات القرآن الكريم للتشكيك (١) .

٣ - اشتمال القرآن على أخبار الامم السابقة :-

تعرض القرآن فذكر أخبار الامم السابقة وأحوالها وما أصابها ، وذكر أحوال الرسل السابقين ، وموقف أقوامهم منهم وما أصابهم ، وقد وافقت هذه الاخبار الصادقه التى وردت فى كتب اليهود والنصارى التى سبقت القرآن .

علما بأن الرسول الذى أنزل عليه القرآن كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، من أمة أمية أيضا ، فمن أين جاء بهذه الأخبار والمعلومات التاريخية عن الانبياء والامم السابقة ؟ .

---

(١) الفلسفة القرآنية / عباس محمود العقاد ص٢٠٢ - ٢٠٧ - الموسوعة جـ ٤ - وأبحاث مؤتمر الدعوة واعداد الدعاة - الدعوة والدعاة فى منهج القرآن الكريم / أبو الب شاهين ص ١٣ .

ان الانسان العاقل يجزم بأن هذا الكتاب هو وحى من الله أنزله على رسوله ليكون للعالمين نذيرا .

قال تعالى :-

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)(١) .

وقد رد الله تعالى على كفار مكة عندما افتروا على الله الكذب وقالوا ان محمدا جاء بهذه الاخبار عن أحد فتيان الروم رد عليهم بقوله (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)(٢) .

كما بين القرآن فى مواطن أخرى بأن هذه الأخبار وحى من الله تعالى ، أخبر بها نبيه . وكثيرا ماعقب القرآن على هذه الأخبار بعدم علمه صلى اللهعليه وسلم بها الا عن طريق الوحى .

فبعد أن ذكر أخبار مريم وزكريا فى سورة آل عمران عقب على ذلك بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك)(٣) .

---

(١) سورة العنكبوت آيه ٤٨ .

(٢) سورة النحل آية ١٠٣ .

(٣) سورة آل عمران آيه ٤٤ .

وفى سورة هود بعد ذكر قصة نوح عليه السلام : قال تعالى :

(تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)(١) .

وكذلك الأمر بعد ذكر قصة يوسف مع اخوته عقب بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذا جمعوا أمرهم وهم يمكرون)(٢) .

وتأتى قصة موسى وشعيب فى سورة القصص ، وبعد سرد أخبار هذه القصة يقول المولى عز وجل مخاطبا نبيه محمد عليه الصلاة والسلام (وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين)(٣) .

٤ - ومن وجوه اعجاز القرآن الكريم إخباره عن أمور تقع فى المستقبل ، وقد تحقق وعد الله بوقوعها كما أخبر القرآن فمن تلك الاشارات قوله تعالى :-

أ - (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون)(٤) .

---

(١) سورة هود آيه ٤٩ .

(٢) سورة يوسف آيه ١٠٢ .

(٣) سورة القصص آيه ٤٤ .

(٤) سورة الفتح آيه ٢٧ .

وقد حصل ذلك عندما فتح الله تعالى على يد نبيه مكة المكرمة .

ب - ما جاء في سورة الروم من أن الفرس الوثنيين الذين قاتلوا الروم وهم أهل كتاب فغلبوهم سيغلبون وسينتصر الروم عليهم . وقد وقع ذلك فعلا .

قال تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء)[1] .

جـ - إخبار الله تعالى عن حفظ كتابه قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وها هو القرآن الكريم قد مضى على نزولة أربعة عشر قرنا وهو محفوظ من العبث الذي لحق الكتب السابقة ، ومصون من كل خلل أو قصور عن متطلبات الحياة وحاجات المجتمع وهذا يدل على صدق تحقق ما أخبر الله تعالى .

---

(١) سورة الروم آيه ١ : ٥ .

٥ - الاعجاز التشريعى للقرآن :-

اشتمل القرآن على كثير من الأمور ، التى لم يكن للعرب بهـا سابق معرفة من قبل ، منها مايتعلق بالتوحيد والتشريع وشئون الحلال والحرام والحقوق والواجبات والانظمة والقوانين السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تسير المجتمع وتنظم أمور الحياة .

وقد جاءت هذه النظم فى أدق وأحكم صورة من البيان والتشريع تعجز عن اللحاق بها قوانين البشر ، وأنظمتهم .

رابعا : سلامة القرآن من التناقض والاختلاف ، والتفاوت مع كبر حجمه واشتماله على علوم كثيرة فلو كان من عند غير الله لحصل التناقض والاختلاف (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)(١) .

وبعد .... فهذه قطرة من بحر اعجاز القرآن الكريم تكفى دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب من عند الله ... لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) سورة النساء آيه ٨٢ .

- المبحث الثاني -

المصدر الثاني : السنة النبويـــة

السنة لغة : الطريقة والسيرة (١) .

قال عليه الصلاة والسلام (من سن في الاسلام سنة حسنة ، فعُمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء) (٢) .

وفي الاصطلاح عند المحدثين :-

(ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أوفعل أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء أكان قبل البعثه أم بعدها) (٣)

وهي مرادفه للحديث عند أكثر أهل الفن .

ومرتبة السنة النبوية في الحجيه تلي مرتبة القرآن الكريم لأن السنة تأتي مفسرة لنصوصه وموضحة لمعانيه ، ومخصصة لعامة ، ومقيدة لمطلقه ، وموضحة لمشكله ، وتعيين مبهمه وتعليل محكمه (٤) .

---

(١) لسان العرب مادة سنن .

(٢) مسلم كتاب العلم جـ٤ / ٢٠٦٠ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع / للسباعي ص ٤٧ ط / ٢ . - توجيه النظر الى أصول الاثر / للجزائري ص ٢ ، ودراسات في الحديث النبوي / للاعظمي ص ١ .

السنة قبل التدوين / محمد عجاج الخطيب ص ١٦ ط ١ / ١٣٨٣ مطبعة وهبه - مصر .

(٤) مقدمة تدريب الراوي / للسيوطي ص ٣ مقدمه عبد الوهاب عبد اللطيف

فاتباع السنة واجب كالكتاب لما ثبت فى القرآن (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[١] .

والرسول صلى الله عليه وسلم - وهو حامل الدعوة ومبلغها للناس - أعلم بأمور الشريعة ومقاصدها ، وغاياتها ، ومناهجها فجاءت توجيهاته فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ، ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)[٢] . وقال أيضا : (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٣] .

وقد توجهت جهود المسلمين الى المصدر الأول لحفظه ، والعناية البالغة به فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تم حفظه فى الصدور والسطور معا ، ثم جمع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فى مصحف واحد على ما سبق بيانه ومازالت الأمة الاسلامية تتناقله جيلا بعد جيل ، كما نزل من عند الله .

ثم جاءت السنة النبوية والتى هى موضوع حديثنا ، فعنى بها المسلمون عناية فائقة عن طريق الحفظ والمذاكرة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعن طريق الكتابة لمن أحب ، ولكنها لم تدون تدوينا شاملا فى العصر النبوى وربما يرجع ذلك الى أسباب متعددة منها :-

أولا : عدم توفر وسائل الكتابة ، وعدم توفر الكتبة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مقدمة تدريب الراوى / للسيوطى ص ٣ مقدمة عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) سورة النحل آية ٤٤ .

(٣) سورة النحل آية ٦٤ .

ثانيا : اتساع مجال السنة ، وشمولها جوانب الحياة المتعددة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهي تشمل أقواله وأفعاله وتقريراته في مختلف جوانب الحياة .

ثالثا : الخوف من انشغال الناس بالسنة عن القرآن ، والخوف من اختلاطها به لذلك ورد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكتابة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه)[1]،[2] .

وقد اختلف العلماء في جواز كتابة الحديث ، فكرهه بعضهم لحديث أبي سعيد المتقدم ، ولكن أكثر الصحابة على جواز ذلك . وهو الرأي الصحيح لما ورد من أحاديث تسمح بالكتابة نورد منها قوله عليه الصلاة والسلام . (اكتبوا لابي فلان)[3] . للرجل الذي جاء من اليمن فقال : اكتب لي يارسول الله ولحديث عمرو بن العاص قال : قلت : يارسول الله ، اني أسمع منك الشيء فأكتبه ؟ قال : نعم ، قال في الغضب والرضا ؟ قال : نعم فاني لا أقول فيهما الا حقا)[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد جـ١٨ ص ١٢٩ - وأخرجه الدارمي / باب من لم ير كتابة الحديث جـ١/ ١١٩ - والنص للدارمي - دار احياء السنة النبوية .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع / للسباعي ص ٥٨ وما بعدها ط ٢/ ١٣٩٦ المكتب الاسلامي - بيروت .

(٣) فتح الباري / كتاب العلم جـ ١ / ٢٠٥ - السلفية .

(٤) سنن الدارمي جـ ١ ص ١٢٥ .

ولما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه منى الا ماكان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب)[١] .

فهذه الاحاديث فى مجموعها مع اتفاق الأمة على جواز الكتابة تدل على أن حديث أبى سعيد الخدرى منسوخ ، وأن النهى عن الكتابة كان فى أول الأمر حين خيف استقالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن[٢] .

وعلى كل حال فالسنة لم تدون فى القرن الأول بشكل عام ، وما أن أطل القرن الثانى حتى ظهر معه التدوين بشكل عام وقام العلماء لذلك ونشطوا ، وقد صاحب حركة التدوين حركة النقد والتعديل والتجريح ، وقام العلماء فوضعوا أدق قواعد النقد وأسلمها للأسانيد والمتون ويطيب لى أن أذكر ما أورده الشيخ سليمان الندوى عن الشيخ شبلى النعمانى فى هذا الشأن . قال (ان الامم السابقة عندما أرادت أن تجمع أقوال رجالها ورواياتهم كان قد فاتهم زمن ، وانقض بينها وبينهم عهد طويل ، فحاولوا كتابة شئون أمة قد مضت فلم يستطيعوا التميز بين الغث والسمين والصحيح والسقيم ، ولم يعرفوا أحوال تلك الرواة المجهولين ولا أحوال مروياتهم ، فاختاروا منها مايوافق أهواءهم ، ويلائم بيئتهم ، وينطبق على مقاييسهم ، ومرت فترة من الزمن ، فاصبحت هذه الخرافات كأنها حقائق تاريخية مدونة ، فصنفت الكتب على هذا

---

(١) فتح البارى / كتاب العلم جـ١ / ٢٠٦ السلفيه .

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ـ للحافظ بن كثير هامش ص١٣٢ ـ وما بعدها تحقيق أحمد شاكر .

المنهاج السقيم فى التاريخ والأديان والمذاهب والرجال عند الامم غير الاسلامية ، وأما المسلمون فقد جعلوا لرواية الاخبار والسير قواعد محكمة يرجعون اليها واصولا متقنة يتمسكون بها . منها عدم رواية واقعة من الوقائع الاعن الذى شهدها ، ثم نقل هذه الواقعة بالسند الى من بعدهم ، وهكذا تتسلسل الرواية حتى تصل الى الأول ثم التثبت من أمانة هؤلاء الرواة وفقههم وعدالتهم وحسن تحملهم للاخبار التى يروونها ، وقد وقف عدد كبير من العلماء نفسه لهذا الشأن فجابوا البلاد باحثين عن أحوال الرواة ، وقد كان نتيجة هذه الجهود المضنية ظهور علم مستقل يسمى (علم الرجال) هذا من جهة الرواية ، وأما من حيث الدراية والفهم فقد وضعوا أيضا قواعد متقنة وأصولا محكمة ،لنقد المرويات وتميز الصحيح من السقيم والغث من السمين (١) .

وقد أدت حركة التدوين الى ظهور المؤلفات الضخمة التى جمعت فى طياتها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ،وظهر ماهو جامع للصحيح والحسن والضعيف ، وما هو خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم ،وماهو مشتمل على أقوال الصحابة والتابعين .

ولكن أعداء الدعوة الاسلامية ، من قديم الزمان لا ينامون ،فهم يعطون فى الخفاء لطعن الاسلام وأهله ، ويدسون السم فى الدسم .

---

(١) الرسالة المحمدية - سليمان الندوى ص٥٦ ط ٣ - ١٣٩٥ .

وقد قامت بعض الفرق بتشكيك المسلمين فى سنة نبيهم ، فوضعوا الروايات الباطلة والاحاديث الزائفة المنسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا .

ولكن علماء المسلمين تصدوا لكل هذه المؤامرات ، فقاموا بجمع الحديث ونقده وفحصه حتى جمعت السنة فى القرن الثالث ، وما أن أهل القرن الرابع حتى بدأت العلوم تنصب على النقد والتعديل والتجريح والترتيب والتهذيب .

فمن هذا يظهر أن السنة النبوية دونت فى عصر مبكر ، حيث ان الكتابة ظهرت فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتد عودها فى عصر الصحابة ، وأوائل عصر التابعين ، وعمت فى أواخر عصرهم وبلغت الذروة فى القرن الثالث الهجرى وهو من القرون المشهود لها بالخير على لسان نبى هذه الأمة صلى الله عليه وسلم وبالايمان والعلم والاستقامة(١) .

والحقيقة أن جمع السنة النبوية وتدوينها مر بأطوار منتظمة حققت حفظ السنة وصيانتها من كل عبث نوجزها بما يلى :-

الأول : وهو الطور الذى تم فيه كتابة السنة بشكل فردى وكان ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الصحابة والتابعين وفى هذا الطور جمع الرجال ماعندهم من الحديث .

---

(١) دفاع عن السنة - محمد محمد أبو شهبه ص ٢٤ - مطبعة الأزهر .

الثانى : وهو ماتم فى مطلع القرن الثانى حيث تحول عمل العلماء من جمع الحديث وتقييده الى تصنيفه وترتيبه على أبواب وجمع هذه الأبواب الى بعضها فى مصنف أو جامع .

الثالث : وهو الطور الذى جمعت فيه المؤلفات الاسلامية بشكل عام من جميع الامصار ، ثم تم تدوينها فى الدواوين الكبرى والمصنفات العظيمة التى وصلت الينا ، وفى هذا الطور اقتصرت المصنفات على الاحاديث وحذف منها أقوال الصحابة والتابعين .

وعلى كل حال فيعتبر القرن الثالث هو أسعد عصور السنة وأزهاها ففيه دونت الكتب الستة التى مازالت الأمة تعتمدها حتى اليوم وفيه نشطت الرحلات العلمية ، وفيه ظهرت ثمار هذا النشاط وفيه ظهر النقاد وانجبهابذة من العلماء المتخصصين .(١)

وهذا يدل على أن السنة النبوية وجدت العناية والحفظ منذ الصدر الأول ، ولم تبق مهملة طيلة القرن الأول الى عهد عمر بن عبد العزيز الذى تم فى عهده جمع الحديث وتدوينه بشكل شامل بل ان السنة كانت محفوظة فى الصدور والى جانب ذلك وجدت الصحف والكراريس .

---

(١) السنة قبل التدوين - محمد عجاج الخطيب ص ٣٤١ - وبحوث فى تاريخ السنة المشرفة ص ٢١٦ ومابعدها والرسالة المحمدية / سليمان الندوى ص ٥٥ .

الجهود المبذولة لحفظ السنة :-

ان المحاولات التى قام بها أعداء الاسلام للتلاعب فى السنة النبوية والدس فيها ، ومحاولة استغلالها لاهدافهم السياسية ، والمذهبية ، والشخصية ، ووضع الاحاديث التى تخدم أهدافهم ، تلك المحاولات التى كادت تقوض صرح هذه الأمة المتين ، أدت الى نتائج ايجابيه فى علوم الحديث حيث اندفع علماء الاسلام لحفظ السنة ، فدونت فى وقت مبكر ، بخلاف الروايات اللسانية عند الامم السابقة (١) التى مضى عليها القرون الطويلة ولم تدون .

وتذكر صورة موجزة للجهود المبذولة لحفظ السنة فى الفقرات التالية :-

(١) العناية بالسند والمتن :-

عنى المسلمون عناية شديدة بمعرفة رجال الحديث ليروا المقبول والمردود فألفوا فى ذلك الكتب الكبيرة ، والمؤلفات الواسعة .

منها ما ألف فى الثقات ، ومنها ما ألف فى الضعفاء ومنها ما جمع بينهما فالسند هو المحور الذى تدور حوله كثير من قواعد نقد الحديث ، وقد انصب النقد على الرجال الذين رووا الحديث ، ونتيجه الاهتمام بالسند قام العلماء بوضع تراجم عن كل علم من أعلام السنة ورواتها ، وعرفوهم تعريفا يبين شخصياتهم واسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، وقد درسوا حياة الرواة ، دراسة

---

(١) المراد بالروايات اللسانية عند الامم السابقة هى أقوال أنبيائهم على ما سيأتى بيانه .

موضوعية دقيقة ، ودرسوا تاريخهم وسيرتهم ، وأمورهم الظاهرة والخفية ، وتعرضوا لذكر شيوخهم وطلابهم وما قاموا به من جهود علمية لطالب العلم ، ومجالسة العلماء ، وبيان أخلاقهم ، وعدالتهم وضبطهم ، ثم بعد ذلك اصدار الحكم عليهم من غير خوف أو مداراة أو مجاملة مستعملين لذلك الفاظ الجرح والتعديل .

وقد سجلت هذه المعلومات في مؤلفات ضخمة ، منها ما جمع الصحابة ومنها ما جمع الصحابة والتابعين ، ومن جاء بعدهم مثل كتب الطبقات (١) .

وقد أدت هذه الدراسة الى تميز الاحاديث الصحيحة من غيرها بمعرفة صدق الراوي وكذبه وضبطه وسوء ضبطه .

قيل ليحيى بن سعيد القطان (أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي أحب الي من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم لم تذب الكذب عن حديثي ؟ (٢) .

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع / للسباعي ص ٢٠٥ - ط٢ / ١٣٩٦ - المكتب الاسلامي . بحوث في تاريخ السنة المشرفة / د . أكرم العمري ص ٥٧ - ٥٨ ط ٣ / ١٣٩٥هـ .

(٢) الكفاية ص ٤٤ ط ١٣٥٧ جمعية دائرة المعارف العثمانية / حيدر آباد .

وقد سار العلماء على قواعد دقيقة لقبول الحديث ،فكانوا لا يقبلون حديثا من كذاب ، ولا من صاحب بدعة وميل وهوى ، ولا من فاسق أو مغفل ولا من زنديق ولا ممن فقد صفة الضبط .

يقول الامام مالك رحمة الله تعالى :-

(لا يؤخذ العلم عن أربعة : رجل معلن بالسفه وان كان أروى الناس ورجل يكذب في أحاديث الناس ، وان كنت لا أتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب هوى ، يدعو الناس الى هواه ، وشيخ له فضل وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث به)(١) .

وبالنظر الى روايات الامم السابقة لا نجد هذا الاحتياط في قبول الاخبار وخاصة عند أهل الكتاب الذين يوجد عندهم روايات سماعية يعتمدون عليها ويجعلون لها مكانة سامية كما للكتب المقدسة عندهم ، لذلك لا يستطيع القارئ أن يميز بين الصحيح والسقيم من رواياتهم ، لعدم وجود قواعد ، يعرف بها حال رواتهم ، واسمائهم وكناهم وعدالتهم وضبطهم ، بخلاف أمة الاسلام التي وضعت أدق القواعد لذلك ، فنجد علماء هذه الأمة عندما

---

(١) الجرح والتعديل / لابن ابي حاتم ص ٣٢ - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد - الهند ط ١/ ١٣٧١ .

كثر الرواة وخيف وقوع اللبس بسبب تشابه الأسماء ، قاموا بوضع كتب تضبط أسماء الرجال وتميز المؤتلف (١) والمختلف ، والمتفق (٢) والمفترق ، والمتشابه (٣) .

كما ظهر في القرن الخامس الهجرى كتب في أنساب المحدثين بعد أن أصبح لكل راو عدة انتسابات الى القبيلة والمدينة والصنعه كما فعل محمد بن طاهر المقدسي سنة ٥٠٧ في كتابه الانساب المتفقة (٤) .

---

(١) المؤتلف والمختلف : ما اتفق خطا واختلف لفظا مثل سلّام وسلام ، حزام وحرام / علوم الحديث / لا بن الصلاح ص ٣١٠ ، والباعث الحثيث لا بن كثير ص ٢٢٣ ط ٢ .

(٢) المتفق والمفترق : أن يتفق اثنان من الرواة في الاسم ، واسم الأب لفظا وخطا مثل الخليل ابن أحمد اشترك فيه ستة ، علوم الحديث ص ٣٢٤ والباعث الحثيث ص ٢٢٧ .

(٣) المتشابه : وهو أن يتشابه الراويان في الاسم والنسب ويتمايزان بالتقديم والتأخير في الاب والا بن مثل يزيد بن الاسود والاسود بن يزيد - علوم الحديث ص ٣٣١ - والباعث الحثيث ص ٢٣٠ .

(٤) بحوث في تاريخ السنة المشرفة د . / أكرم العمرى ص ٥٩ - ٦٠ ط ٣/ ١٣٩٥ مؤسسة الرسالة .

وكما اهتم العلماء بالسند كذلك اهتموا بنقد المتون فقسموا الحديث الى درجات يعرف بها المقبول من المردود والصحيح من الضعيف وجعلوا علامات للحديث الموضوع بأن يكون مخالفا للعقل أو المشاهدة والحس ، مع عدم امكان تأويله ، أو مخالفته للقرآن والسنة الصحيحة أو التاريخ المعروف أو يكون مخالفا للقواعد العامة فى الحكم والاخلاق ، أو أن يكون داعيا الى مفسدة .... الخ (١) .

وقد دون العلماء القواعد التى وضعوها لمقاومة الوضع وهو قسم من أقسام علوم الحديث يسمى الوضع والوضاعون ، ووضعوا علم مصطلح الحديث ذلك العلم الذى يبحث عن تقسيم الخبر الى صحيح وحسن وضعيف ، وتقسيم كل من هذه الثلاثة الى أنواع ، وبيان الشروط المطلوبة فى الراوى والمروى وما يدخل الاخبار من علل واضطراب وشذوذ ، **وما ترد به** الأخبار وبيان كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه (٢) .

فعلم مصطلح الحديث يضع قواعد علمية دقيقة لتصحيح الاخبار ، والامة الاسلامية هى أول أمة وضعت مثل هذا العلم من أجل الحيطة والتثبت ، وهذا لا نراه ولا نسمع به فى الامم السالفة .

ولم يقف الأمر عند وضع علم مصطلح الحديث ، وعلم الرجال ، بل وضعت علوم أخرى مختلفه فى الحديث أوصلها بعض العلماء الى خمسة وستين كما ذكرها النووى فى التقريب .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع / للسباعى ص٩٨ ومابعدها ط٢/١٣٩٦ .

(٢) تدريب الراوى / للسيوطى ص ٤ ، ٥ ، ٦ .

فمنها العلوم التى تبحث فى الرواة ، ومنها التى تبحث فى المسانيد ومنها التى تبحث فى الموقوفات من الآثار ! ! . . الخ (١) .

وقد نهج علماء الفنون الأخرى كالتاريخ مثلا نفس النهج الذى نهجه علماء الحديث ووضعوا القواعد لمعرفة علومهم ، ولكنهم لم يلتزموا الدقة التى التزمها علماء الحديث لأن الحديث تبنى عليه الاحكام الشرعية .

ان تلك الجهود التى بذلها علماء الاسلام أدت الى توطيد أركان الشريعة وتثبيت دعائم السنة التى هى المصدر الثانى للدعوة الاسلامية . وأزالت كل دخيل عليها .

اختصاص الامة الاسلامية بالاسناد :-

للاسانيد أهمية عظيمة فى معرفة الأخبار ، وهى مبعث الاطمئنان الى النفس والارتياح اليه فى القلوب ، والى ذلك أشار العلماء الأوائل يقول عبد الله بن المبارك (الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء (٢))فبالاسناد يعرف صدق الخبر وكذبه ، وتضبط أقوال الرجال ، وهو من الدين ، ولولا الاسناد لما استطاعت الأمة تمييز الخبث من السمين يقول على بن المدينى (معرفة الرجال نصف العلم (٣)) .

---

(١) التقريب للنووى جـ١ / ٥٣ ط ٢ سنة ١٣٩٢ - والسنة ومكانتها فى التشريع للسباعى ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) مقدمة صحيح مسلم / للنووى جـ١ / ١٥ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى / مطبعة الحلبى .

(٣) بحوث فى تاريخ السنة المشرفة د . / أكرم العمرى ص ٤٥ ط ٣ / ١٣٩٥ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

وقال شعبة (كل حديث ليس فيه حدثنا ، وأخبرنا فهو مثل الرجل بالفلاة معه البعير ليس له خطام)[١] ، فلا يقبل الحديث بغير اسناد .

وقد بدأ الاهتمام بمعرفة الأسانيد في وقت مبكر ، وخاصة بعد ظهور الفتن في خلافة عثمان رضي الله عنه حيث اندفع العلماء للتثبت من الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسؤال عن رواتها .

يقول ابن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ.

(لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[٢] .

وقد أصبح الاسناد ضرورة بعد جيل الصحابة ، وكبار التابعين ، وأصبح السؤال عنه أمرا شائعا غير مقصور على العلماء بل تعداهم الى غيرهم قدم أعرابي على سفيان بن عيينة يسأله : ماتقول في امرأة من الحجاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فأجابه سفيان : تفعل مايفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت ، فقال الأعرابي : هل من قدوة ؟ قال : نعم عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ، أن تفعل مايفعل الحاج غير الطواف .

---

(١) المجروحين من المحدثين لابن حبان جـ١ / ٢٧ - دار الوعي - حلب .

(٢) مقدمة صحيح مسلم جـ١ / ٢٥ .

قال الاعرابى : هل من بلاغ عنها ، قال : نعم - حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك ؛ .

قال الاعرابى : لقد استسمنت القدوة وأحسنت البلاغ ، والله لـــك بالرشاد (١) .

والاسناد خصيصة اختصت بها الامة الاسلامية ، حيث نقلت مروياتها وأخبارها بالاسانيد ، وحافظت على ذلك على مر العصور ، لكى يتم حفـــظ دينها .

يقول أبو على الجيانى (خص الله تعالى هذه الامة بثلاثة أشياء ، لـــم يعطها من قبلها الاسناد ، والانساب ، والاعراب) (٢) .

وقد عقد ابن حزم فى كتابه : الفصل فى الملل والنحل (٣) فصلا جيدا فى وجوه النقل عند المسلمين .

١ - فذكر المتواتر كالقرآن وما علم من الدين بالضرورة .

٢ - ثم المشهور كبعض المعجزات .

ثم قال ... وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شىء أصلا لأنه يقطع بهم دونه من اطباقهم على الكفر الدهور الطوال ، وعدم ايصـــال الكافة الى عيسى عليه السلام .

---

(١) الكفاية - الخطيب البغدادى ص٤٠٣ - ٤٠٤ ط/١٣٥٧ - منشورات المكتبه العلمية - المدينة المنورة .

(٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى - للسيوطى جـ٢ / ١٦٠ .

(٣) الجزء الثانى من ص ٨١ - ٨٤ ط ثانيه ص ١٣٩٥ - والنقل بتصرف كما هو ظاهر .

٣ - ثم قال (والثالث - مانقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم يخبر كل واحد منهم باسم الذى أخبره ونسبه ، وكلهم معروف فى الحال والعين والعدالة والزمان والمكان .

قال : وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور منذ أربعمائة وخمسين عاما (١) ! فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، يرحل فى طلبه من لا يحصى عددهم الا خالقهم الى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الناقد قريبا منه ، قد تولى الله حفظه عليهم ، فلا تفوتهم زلة فى كلمة فما فوقها فى شىء من النقل ان وقعت لأحدهم ، ولا يمكن قاسقا أن يقهم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الحمد ..... ثم قال ... وهذه الاقسام الثلاثة نأخذ ديننا منها ولا نتعداها والحمد لله رب العالمين .

٤ - ثم ذكر المرسل وفى الاحتجاج به خلاف .

٥ - ثم ذكر المفصل والمنقطع ... وهذان لا يحتج بهما .

قال ابن حزم (ومن هذا النوع كثير من نقل اليهود ، بل هو أعلى ماعندهم الا أنهم لا يقربون فيه من موسى كقربنا فيه من محمد صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) هذا فى عصر ابن حزم ، والآن منذ ١٤٠٠ سنة .

بل يقعون ولا بد ، حيث بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا فى أزيد من ألف وخمسمائة عام ، .

وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق وحده فقط ، على أن مخرجه كذاب قد ثبت كذبه (١) .

وعلى هذا فان أخبار اليهود والنصارى نقلت بالطرق المشتملة على كذاب أو مجهول العين ، وأما رواياتهم اللسانية فقد نقلت بطريقة واحدة حتى تبلغ الى صاحب أو تابع ، من غير أن تضاف الى رسلهم وقد بين ابن حزم أن اليهود والنصارى ينقلون شرائعهم التى هم عليها الآن مما ليس فى التوراة بهذه الطرق (٢) .

وبناء على ذلك فنستطيع القول بأن أدنى الطرق عند المسلمين هى أعلاها عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

---

(١) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢/٨٣ .

(٢) المرجع السابق .

الفصل الثاني

وفيه مباحث

- الفصل الثانى -

مصادر الدعوات الأخرى

بعد هذا العرض لمصادر الدعوة الاسلامية ، وبيان مالقيته من العناية والحفظ نتعرض لمصادر اليهودية والنصرانية ،فنبين أصلها ،وما لحقها من تحريف.

المبحث الأول : التوراة :-

تعريفها :-

التوراة : كلمة عبرانية أصلها (تورة) ومعناها الشريعة أو الناموس أو الهدى والرشاد .

وهى تعنى عند اليهود :

الاسفار الخمسة التى أنزلها الله على موسى فكتبها بيده بجبل حوريب فى سينا عند الميقات المكانى والزمانى بعد خروجهم من مصر .

وهذه الاسفار هى :-

١ - التكوين (٢) .
٢ - الخروج (٣) .
٣ - اللاويين (٤)
٤ - العدد (٥) .
٥ - التثنية (٦) .

وقد قام موسى بعد أن كتبها فى الألواح بتسليمها الى اللاويين وأمرهم أن توضع فى تابوت عهد الرب ،كما يشير الي ذلك سفر الخروج (٧) .

---

(١) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٣/ ١٥٥ - دار المعرفة - بيروت والمسيح فى القرآن / عبد الكريم الخطيب ص ٤٣ - ط ١/ ١٣٨٥ - دار الكتب الحديثه .

../بعده

٠٠/٠٠

(٢) التكوين : وهو يشتمل على قصص خلق العالم ، وخلق آدم وحواء ، وهبوطهم من الجنة الى الارض ، وحياتهم فيها ، ويذكر قصة الطوفان ، وقصة ابراهيم واجداده ، وينتهي بموت موسى / اليهودية / أحمد شلبي ص ٢٤١ ط ٥ / ١٩٧٨ .

(٣) الخروج : ويبدأ من بعد موت يوسف بمصر ، وما أصاب قومه من أذى على يد الفراعنة ، ثم خروجهم مع موسى وهارون ، والتيه ، ونزول التوراة ، وفيه الوصايا العشر ، وبعض أحكام الشريعة // اليهودية - أحمد شلبي ص ٢٤١ - ط ٥ .

(٤) اللاويين : يختص بأولاد لاوى ، ومنهم الاحبار والحاخامات والكهنة ، وحفظة التوراة ، وهم المسؤولين عن الامور الدينية ، وفيه أحكام الزواج والطلاق ، والصلاة والكفارات والقرابين .

المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٥) العدد : وفيه احصاء بني اسرائيل وقبائلهم وأسباطهم ، وسيرتهم وجيوشهم واحصاء أموالهم وثرواتهم بالاضافة الى بعض الاحكام الشرعية .

المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٦) التثنية : أى الاعادة والتكرار ، وفيه اعادة كثير من أحكام الشريعة والعقيدة ، وأحكام الحرب والسلم ، والصلح والعقوبات ، وفيه اعادة الوصايا العشر وينتهي بموت موسى عليه السلام .

المرجع السابق ص ٢٤٣ .

(٧) سفر الخروج ٢٥ / ١٦ - ٢١ .

ب - وعند النصارى : تطلق التوراة على كتب العهد القديم كلها من باب اطلاق الجزء على الكل ، وهناك بعض النصارى يطلقون التوراة على كتب العهد الجديد والقديم معا .

جـ - وعند المسلمين :-

هى الكتاب الذى أنزله الله تعالى على موسى ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به (وهذا الذى يعنيه المسلمون مفقود غير موجود - قال تعالى (ونسوا حظا مما ذكروا به)[1] .

وبعض المسلمين لا يقصر التوراة على الاسفار الخمسة التى تنزلت على موسى فقط ، وانما يطلقها على كتب العهد القديم كلها مستدلا بما جاء فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه وجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة[2] .

(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدى ، ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح[3] .... الخ .

وهذا الوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسفار الخمسة وانما هو فى كتب أحد الانبياء الذين جاءوا بعد موسى ، وهو سفر أشعيا ، وهذا يوافق القول السابق بأن التوراة تطلق على جميع كتب العهد القديم .

---

(١) سورة المائده آيه ١٣ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى / للقاضى أبوالفضل عياض بن موسى الاندلسى جـ١ / ١٩ .

(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٣ / ١٥٥ ومابعدها .

التوراة فى القرآن :-

تحدث القرآن الكريم عن التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى ووصفها بأنها كتاب هداية ونور ورشاد ، بينت طريق الدنيا والآخرة ، وقد تلقاها موسى عن ربه وحيا الهيا مباشرا قال تعالى :-

(قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها ، وتخفون كثيرا ، وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم)(١) .

وقد بين الله تعالى أن التوراة فيها حكم الله ، وطالب اليهود تطبيق أحكامها ، وبكتهم على تركهم لها ، قال تعالى :-

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين)(٢) .

فهم غير مؤمنين بك ولا بالتوراة لأنهم لو آمنوا لأقاموا أحكامها ، وطبقوا مابها من المواعظ ، ودروس الهداية والرشاد . قال تعالى :
(وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء)(٣) .

---

(١) سورة الانعام آية ٩١ .
(٢) سورة المائده آية ٤٣ .
(٣) سورة الاعراف آية ١٤٥ .

كما قال تعالى عنها :-

(انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون ، الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والأحبار ، بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء)[١] .

فهى مشتملة على الهدى فى العقائد والأحكام ، ومن تلك الاحكام التى أشار اليها القرآن والواردة فى التوراة قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له)[٢] .

وقال تعالى :-

(ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب)[٣] .

وبين أنها كتاب يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، واف بحاجات عصره ، جامع لما يحتاج اليه بنو اسرائيل فى شرائعهم وعقائدهم وأمور حياتهم .

قال تعالى :

(واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون)[٤] .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ .
(٢) سورة المائده آية ٤٥ .
(٣) سورة غافر آيـة ٥٤ .
(٤) سورة البقره آية ٥٣ .

وقال :

(ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)(١) .

وجعل الله التوراة قدوة للمقتدين من بنى اسرائيل يؤتم بها فى دين الله ، وشرائعه ، ورحمة لمن صدق بها ، وعمل بأحكامها ، ثم أنزل الله القرآن مصدقا لها ، ولغيرها من الكتب السماوية التى تقدمته .

قال تعالى :

(ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين)(٢) .

وقد ذم الله اليهود الذين لم يعملوا بأحكام التوراة ، ورموها وراء ظهورهم ، وجعل مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا ، فهو لا ينتفع بها ، وكذلك اليهود الذين ضيعوا أحكام كتابهم ، فقد حفظوا الفاظها ولم يتفهموا معانيها ولم يعملوا بمقتضاها ، فحالهم كحال الحمار سواء بسواء ، ولأن الحمار لا فهم له ، وهؤلاء لهم أفهام ولم يستعملوها .

---

(١) سورة الانعام آية ١٥٤ .

(٢) سورة الاحقاف آية ١٢ .

قال تعالى :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين)[1] .

ولم يقف الأمر عند ترك أحكام التوراة ، ولكن أحبار اليهود عبثوا بكتابهم فمسخوا صورته السماوية ، وبدلوا آياته ، وحرفوها ، وغيروا أحكامه وأخفوها ، ونقصوا وزادوا فيها حسب أهوائهم ، ونسوا بعضها وقد أشار القرآن الى ذلك .

ونورد فيما يلي شهادة التاريخ وشهادة أسفارهم المقدسة التي أشارت الى هذا التحريف ، ونتبعها بشهادة القرآن الكريم على ذلك وشهادة بعض علماء الغرب المنصفين ، تلك الشهادات مجموعة تثبت بلا ريب ولا شك تحريف هذا الكتاب السماوي ، واختفاء صورته الحقيقية وزوالها .

---

(١) سورة الجمعة آية ٥ .

الشهادات على تحريف التوراة :-

أولا : -

شهادة التاريخ والاسفار المقدسة :-

بعد أن أتم الله تعالى انزال التوراة على عبده موسى عليه السلام وبعد أن كتبها فى الألواح قام بتسليمها الى الأحبار ، وأمرهم بوضعها فى التابوت بجوار لوحى الحجر المكتوب عليهما الوصايا العشر ، وأمرهم باخراجها للناس فى كل سبع سنين مرة يوم العيد ، لأجل تلاوتها على بنى اسرائيل . جاء فى سفر الثنية :

(وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لأوى حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل ، وأمرهم موسى قائلا : فى نهاية السبع السنين فى ميعاد سنة الابراء فى عيد المظال حينما - يجيء جميع اسرائيل لكى يظهروا أمام الرب الهك ، فى المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل فى مسامعهم)(١) .

ولما كان بنو اسرائيل فى سيناء أخرج الكتاب من التابوت وقرئ عليهم ثم أعيد مكانه فى التابوت ، ولما توفى موسى وذهبت هذه الطبقة تغيرت حال بنى اسرائيل فى عهد يوشع بن نون بعد أن فتح فلسطين واستقر أمرهم هناك ، ظهر فيهم الفساد والفجور والردة عن الدين الى المعبودات

---

(١) سفر التثنية ٣١ / ٩ - ١١ .

الأخرى ، وتوالت الأيام ، ومر عصر القضاة ، وجاء بعده عصر الملوك ، وكان أول ملوكهم طالوت ، ثم جاء من بعده داود عليه السلام ، ثم انتهى عصر داود ، وآل الأمر الى سليمان عليه السلام وكان الفساد منتشرا فى بنى اسرائيل ، وعبادة الآلهة المتعددة .

وقد أشار الدكتور أحمد شلبى الى أن اليهود ارتدوا بعد سليمان الى عبادة الاوثان وعبادة آلهة الاقوام المجاورين ، وبنوا مذبحا للأصنام فى ساحة بيت المقدس واندرس ذكر التوراة ، وانقطعت الصلة بها ، حيث كانت مملكة يهوذا وثنية تماما ، وقد تخلى اليهود من أسفار موسى الحقيقية عندما انحرفت اعتقاداتهم وأباعهم ، لأنها تخالفها ، وكتبوا سواها تتناسب مع مايريدون من تاريخ ومن عقيدة (١) .

وفى هذا اشارة الى أن التوراة الحالية هى توراة زائفة ، كتبت وفق أهواء اليهود ومطامعهم ورسمت طريقهم فى الحياة .

وقد صور سفر القضاة حالة بنى اسرائيل فقال :

(وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم ، وتركوا الرب إله آبائهم ، الذى أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ، وأغاظوا الرب ، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت . . . . (٢)

---

(١) اليهودية د . / أحمد شلبى ص ١٩٥ ومابعدها بتصرف ط / ٥ .

(٢) سفر القضاة ٢/١١ - ١٣ .

وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، فشدد الرب عجلون ملك موأب على اسرائيل لأنهم عملوا الشر فى عينى الرب . . .)(١)

وقد جاء ذكر أعمال بنى اسرائيل فى الاصحاح الرابع والسادس ، والثامن من نفس السفر .(٢)

ولما ظهر الفساد فى بنى اسرائيل ظهر التحريف حيث وجهت الاتهامات لأنبيائهم ، وقاموا بتحريف كتابهم من أجل تبرير أعمالهم الفاضحة .

وظل الأمر كذلك حتى جاء عهد سليمان عليه السلام وكان ذلك سنة ٩٦١ ق.م. على وجه التقريب(٣) . فبنى الهيكل ، وقد أتم بناءه فى سبع سنوات عند ذلك جمع أشراف بنى اسرائيل ، ونقل التابوت الى الهيكل ووضع فى المكان المخصص له ، ثم فتح التابوت أمام الحاضرين ولم يوجد فيه سوى لوحى الحجر ، وأما التوراة التى وضعت معهما فليس يوجد لها أثر(٤) وقد أشار سفر الملوك الأول الى ذلك .

(جمع سليمان شيوخ بنى اسرائيل ، وكل رؤساء الأسباط . . لاحضار تابوت عهد الرب من بيت داود ، وحمل الكهنة التابوت . . . وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب الى مكانه فى محراب البيت فى قدس الاقداس . . . . . .

---

(١) سفر القضاة ٣/١٢ .
(٢) انظر اصحاح ٤/١ ، ٦/١ .
(٣) معالم تاريخ الانسانيه هـ . ج ولز جـ٢/٢٨٣ - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ط٢/١٩٥٦ لجنة التأليف والترجمة .
(٤) سفر الملوك الأول الاصحاح الخامس والسادس.

ولم يكن فى التابوت الا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هنـــاك فى حوريب حين عاهد الرب بنى اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر .(١)

والذى يظهر أن التوراة فقدت من التابوت فى الانقلابات التى تخللت الفترة التى سبقت عهد سليمان ، ولكن لا يعلم على وجه الحقيقه متى فقـدت وفى أى عصر .

وفى آخر عهد سليمان لم يبق ذكر للتوراة مطلقا حوالى سنة ٩٣٥ ق.م. ثم انقسمت بعد ذلك مملكة اسرائيل الى قسمين بعد موته، مملكة فى الشـــمال وعاصمتها شكيم وأخرى فى الجنوب عاصمتها أورشليم ، أما مملكة الشمال فقـد سقطت سنة ٧٣١ ق.م. على يد الأشورين حيث قضى عليها سرجون الثانى وأما مملكة الجنوب فكانت فى حالة فوضى واضطراب الى سنة ٦٢٩ ق.م. حيث آل الأمر الى يوشيا بن آمون الذى حكم من سنة ٦٢٩ - ٥٩٨ ق. م. وقد سقطت هذه المملكة على يد البابليين سنة ٥٨٦ ق.م.

ولما استلم يوشيا أمر المملكة ، ورأى مابها من انحلال وفساد ، وأنهـا سائرة الى الهلاك والدمار ، أراد أن يتفادى الأمر بالرجوع الى الديـن ، والعمل بالتوراة ، فعند ذلك طلب التوراة فلم يجد شيئا وبعد سبعة عشر عاما

---

(١) سفر الملوك الأول ٨ / ١ - ٩ .

(٢) اليهودية / أحمد شلبى ص ٨٦ ومابعدها وصفحة ٢٥٨ ط ٥ .

من حكمه قام حلقيا الكاهن ، فقدم التوراة للملك مدعيا أنه وجدهـــا في بيت المقدس وقد قام بتسليمها الى شأفان وزير الملك ، ليقوم برفعهـــا عن طريقه الى الملك ، وقد مزق يوشيا ثيابه وأخذ يسأل عما في التوراة هـل هو صحيح أم لا (١) .

وقد أشار ول ديورانت الى سبب كتابة التوراة فقال :-

(وكان السبب في كتابة التوراة هو أن اليهود شرعوا بالارتداد عـــن عبادة يهوه الى عبادة الآلهة الاجنبيه ، فوقف الكهنة في وجه هذه الـــردة واعتزموا على تبليغ الناس رسالة من الله ، من أجل بعث نشاطهم ، ولمـــا ضموا الى جانبهم الملك يوشيا ، ولما كانت السنة الثامنة عشرة من حكمـــه عند ذلك قام حلقيا وأخبر الملك بأنه عثر على التوراة ، وكان ذلك سنة ٦١٢ ق.م. بعد أن ضاعت كل نسخ التوراة (٢) .

وهنا تقع تساؤلات كثيرة منها .

أين كانت التوراة في القرون الثلاثة التي سبقت يوشيا أي من عهـــد سليمان الذي انتهى حوالي ٩٣٥ ق.م. الى أن عثر عليها حلقيا في عهد يوشيا سنة ٦١٢ ق.م.

ولم لم يرها أحد قبله من كهنة بيت المقدس ؟ .

ولماذا مزق يوشيا ثيابه ؟ .

---

(١) سفر الملوك الثاني ٢٢/ ١ - ٢٠ .

(٢) قصة الحضارة / ول ديورانت جـ٢/ ٣٥٦ - ط١٩٤٩ - مطبعة لجنـــة التأليف والنشر .

ولماذا سأل يوشيا عن معلومات هذا الكتاب أهي صحيحة أم لا ؟ .

ان الحقيقة التي يراها كثير من الباحثين ، أن حلقيا انتهز فرصة تدين يوشيا الملك ، فكتب هذا الكتاب في هذه المدة الأولى من حكمه ، وقام بدفعها اليه بعد سبعة عشر عاما من حكمه .

ولكن هل يعتمد على هذه النسخة ؟ وهل تصلح أن تكون أصلا دينيا ؟ . وهل يقبل قول يوشيا على علاته ؟ علما بأن بيت المقدس نهب مرتين قبل عهد آخذ ، وقد جعل البيت مكانا للاصنام ، وسدنة الأصنام كانوا يدخلون كل يوم اليه ، ولم يسمع أحد بالتوراة ولم يعثر عليها ، علما بأن الحكام والامراء كانوا متشوقين لاتباع الملة الموسوية ، وهذا يدل على أن هذه النسخة من مخترعات حلقيا (١) .

ثم ان هذه التوراة التي كتبها حلقيا وعمل بها لمدة ثلاث عشرة سنة وهي مدة حكم يوشيا ، فقدت بعدها وضاعت لأنه لما رجع الكفر والارتداد بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة بختصر .

وهنا تجدر الاشارة الى أن جميع الذين استلموا الحكم بعد يوشيا وهم (ياهوحاز) ارتد وكفر ثم جاء من بعده أخوه بعد أن تسلط عليه

---

(١) اظهار الحق /رحمة الله بن خليل الهندي جـ١ / ٣٢٥ .

سلطان مصر وأسره ، وأجلس أخاه على سرير الملك وكان هو أيضا مرتدا ، ولما مات جلس ابنه على الحكم وكان أيضا مرتدا كأبيه وعمه ثم قام بختنصر ملك بابل بتخريب بيت المقدس ، وحرق جميع ما فيه وهدم الهيكل ، وقتل الرجال وسبى الباقين سنة ٥٨٦ ق.م. ، وأخذ التابوت ، وقتل ولدى (صدقيا) الملك أمامه ثم سمل عينيه وأرسله الى بابل هذا فى المرة الثانية التى حاول فيها حزقيا يوشيا بالطرق الدبلوماسية القاء نير بابل عن كاهلهم ، وأما المرة الأولى فهى التى انتصر فيها نبوخذ نصر على يهوذا ، وجعلها ولاية تابعة لبابل (١) .

ولما استولى الفرس فى عهد كورش سنة ٥٣٨ ق.م. على بابل وسمح لليهود بالعودة الى بلادهم ، وسمح لعزرا بكتابة التوراة من جديد (هيّا قلبه لطلب شريعة الرب ، والعمل بها) (٢) :

فعزرا اذا قام بكتابة التوراة من جديد على بقايا التوراة السابقة المفقودة ويعلق ولز على ذلك بقوله (ان أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة فى بابل وظهرت فى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد) (٣) .

---

(١) سفر الملوك الثانى ٢٥/١ - ١٣ - اظهار الحق - جـ١/٣٢٦ - قصة الحضارة جـ٢/٣٥٧ .

(٢) سفر عزرا ٧ / ١٠ .

(٣) موجز تاريخ العالم هـ.ج . ولز ص ٨٩ - ٩٠ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة النهضة .

ويستدل ولز على ذلك بأن اليهود لم يكونوا أصحاب حضارة ، قبل الأسر البابلي ، ولم يظهر في تاريخهم أن أسفارا ماكانت تقرأ قبل الأسر ويقول أيضا : (ان الأسر البابلي قد مدن الشعب العبراني ، ووحدهم وأبرز حاجتهم الى جمع تاريخهم ، ورسم تقاليدهم فبدأوا يدونون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم)(١) .

ثم بعد ذلك حصل احتلال الرومان لفلسطين سنة٦٣ ق.م. المسيح ، وقد حاول اليهود الاستقلال سنة ٧٠ بعد الميلاد وثاروا به وعند ذلك قام تيطس الروماني ودمر أورشليم والهيكل ، وقد ثار اليهود مرة ثانية على الرومان بقيادة بركوخيا سنة ١٣٠-١٣٥م وقد قام هادريان الروماني بتخريب أورشليم ، وهدم الهيكل ، وحول أرضه الى أرض زراعية وحرق جميع مافيه من الكتب الدينية سنة١٣٥م وقتل جميع اليهود الموجودين في بيت المقدس، وحرم على اليهود دخولها بعد ، وهذا هو آخر تشريد أصابهم ، حيث أنهم لم تقم لهم قائمة بعده حتى سنة١٩٤٨ عندما نفذ المخطط الصهيوني لاحتلال فلسطين .(٢)

هذه بعض الأحداث التاريخية التي وقعت للتوراة فهي تشير الى تعرضها للضياع ، والحرق ، والتجديد ، وان التجديد الذي تم لها على أنقاض المعلومات المحفوظة التي أصابتها فتن الحروب ، والتي بقيت عالقة في الأذهان وبقايا بعض الأوراق من غير تحفظ ولا تدقيق ، ولا ضبط للمعلومات .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٠ .

(٢) اظهار الحق جـ١/ ٣٢٦، ٣٢٧ - اليهودية / أحمد شلبي ص ٨٥ - ٩٠ - موجز تاريخ العالم هـ.ج . ولز/ ص ١٤٢ .
الاسفار المقدسة / علي عبد الواحد وافي ص٨ ط ٢/ ١٣٩٢ - مكتبة النهضة .

ثانيا : شهادة العلماء المحققين على تحريف التوراة :-

بعد أن تعرضنا لذكر بعض الاحداث التاريخية التى تعرضت لها التوراة من بعد موت موسى عليه السلام واستلام يوشع بعده ، نشير هنا الى ماقرره بعض العلماء المحققين بشأن كتب العهد القديم ، وانا اذ نقدم مثل هذه الشهادات من أفواه الذين لهم علاقة مباشرة بالتوراة لتدين بها هؤلاء الذين دافعوا عن التوراة ، وانكروا تحريفها على يد علماء اليهود وأحبارهم :-

وقد أورد الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى أقوال عدد من العلماء الذين قرروا أن توراة موسى التى أنزلها الله تعالى عليه ضاعت ولم يبق منها شيء الا النزر اليسير ، نسوق بعضها :-

يقول كلينس اسكندر يانوس (١) :-

(ان الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى (٢) .

وقرر ترتولين :-

(أن عزرا كتب مجموع الكتب بعد ما أغار أهل بابل على أورشليم (٣) .

وقال تهيو فلكت : (ان الكتب المقدسة انعدمت فأوجدها عزرا بالهام (٤) .

---

(١) كلينس اسكندر يانوس : مؤرخ قديم من أهل الكتاب وجد فى القرن الثانى - اظهار الحق جـ١ / ١٤٢ و ١٤٣ و ١٨٩ .

(٢) اظهار الحق جـ١ / ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .

وذكر جان ملز كاتلك: أن أهل العلم اتفقوا على أن كتب العهد العتيق ضاعت من أيدى عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة أنتيوكس (١) . المراد هنا (أنتيوكس الرابع) الذى حكم سوريا من سنة ١٧٤ - ١٦٤ قبل الميلاد واضطهد اليهود وذبحهم.

وعن هذه الحادثة يقول رحمة الله بن خليل الهندى .

(لما فتح أنتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع كتب العهد العتيق ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم وكانت الحادثة قبل ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة ، وهذه الحادثة مفصلة فى تاريخ اليهود ، وتاريخ المؤرخ اليهودى يوسيفيس (٢) .

وقد ذكر أيوب صبرى (٣) فى رسالة له وهو يحاج بطريركية الاقباط ويقدم الأدلة على تحريف التوراة قوله .

(أثبت مئات من محققى المؤرخين ضياع التوراة من صندوق الشهادة التى كان موسى عليه السلام - أمر بوضعها فيه ، وعدم اخراجها الا مرة كل سبع سنين لتلاوتها على بنى اسرائيل ، كما أوضح كيفية وضعها فى الصندوق كما هو مبين فى سفر التثنية (٤) .

وقد استشهد أيوب صبرى على قوله هذا ، بذكر عدد من أقوال المحققين وبعض هذه الاقوال ذكرها المرحوم رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى فى كتابة اظهار الحق .

---

(١) المصدر نفسه جـ١/ ٢٢٩ و٥٨ (٢) المصدر نفسه جـ١/ ٣٢٧ .

(٣) أيوب صبرى : رجل مسيحى دخل بالاسلام بعد أن درس المسيحية ليكون من رجال الدين ولكنه لم يطمئن الى المسيحية ، ثم درس الديانات المختلفة ومن بينها الاسلام فدخله عن عقيدة المسيح فى القرآن / عبد الكريم الخطيب ص ٦٧ - الهامش .

(٤) سفر التثنيه ٣١/ ٩ . (٥) سفر الملوك الاول ٨/ ٩ .

وقد ذكر أيوب صبرى قول الدكتور كنى كات ، (ان نسخ العهد العتيق التي هى موجودة الآن كتبت مابين سنة ١١٠٠ و ١٤٠٠ ق٠م٠ وان جميع الكتب التى كانت كتبت فى المائة السابعوالثامنة أعدمت بأمر محفل شورى اليهود ، لأنها كانت تخالف اعتقادهم مخالفة كبيرة)(١) .

كما أن علماء النصارى يعتقدون أن التوراة الحالية لم يكتبها موسى ولم يعرض عليه أى جزء من أجزائها جاء فى مقدمة الكتاب المقدس من الطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٠ مايلى :-

(ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة أو أنه أشرف على وضع النص الذى كتبه عديدون بعده ، بل يجب القول أن ازدياداً تدريجيا سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية)(٢) .

وجاء فى دائرة المعارف الأمريكية قولهم عن كتب العهد العتيق .

(لم يصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصلى لكتب العهد القديم ، أما النصوص التى بين أيدينا ، فقد نقلتها الينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو دون قصد منهم ، فى الوثائق والأسفار التى كان عظمهم الرئيسى هو كتابتها ونقلها .

---

(١) المسيح فى القرآن / عبد الكريم الخطيب ص ٦٨ ، ٦٩ دار الكتب الحديثة - بمصر .

(٢) العرب واليهود فى التاريخ د٠ / أحمد سوسه ص ١٦٨ ط٢ / دمشق نقلا عن مقدمة الكتاب المقدس .

وقد حدث التغيير دون قصد حين أخطأوا بعض الكلمات . . . وكذلك حين كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحيانا ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها .

وأما تغييرهم في النص الأصلي عن قصد فقد مارسوه مع فقرات كاملة حين كانوا يتصورون أنها كتبت خطأ في الصورة التي بين أيديهم ، كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يضيفون على النص الأصلي فقرات توضيحية ، ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن أسفار العهد القديم لم تتعرض للأنواع العادية من الفساد في عملية النسخ ، على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفارا مقدسة (١) .

فهذه شهادات علمائهم ومفكريهم تبين أن التوراة قد حرفت وبدلت وغيرت على فترات متوالية عن قصد وعن غير قصد .

كما أن قدماء المسيحيين لا يعتبرون نسخة العهد القديم المكتوبة بالعبرانية وقد كان جمهورهم يعتقدون تحريفها ، وكانوا يعتبرون النسخة اليونانية (٢) .

وأود أن أشير إلى أن النسخ المعتمدة من التوراة عند أهل الكتاب ثلاثة هي النسخة العبرية ، والنسخة اليونانية ، وهي المعروفة بالترجمة السبعينية ، والنسخة السامرية ، وأن جميع هذه النسخ تختلف عن بعضها

---

(١) اسرائيل حرفت الاناجيل والاسفار المقدسة / أحمد عبد الوهاب ص ٧٦ ، ط ١ / ١٩٧٢ - نقلا عن دائرة المعارف الامريكية .

(٢) اظهار الحق جـ ١ / ٣٢٨ .

البعض اختلافا يدعو الى عدم الاعتماد على واحدة منها (١) .

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية (أن التوراة ليست كتابا واحدا ، ولكنها تتكون من مجموعة من الكتب استغرق تأليفها قرونا عديدة) وجاء فيها أيضا (أن التوراة لم تكتب بلغة واحدة ، ولكنها كتبت باللغة العبرية ثم استكملت باللغة الآرامية وختمت آخر كتبها باللغة الاغريقية وقد اشترك فى كتابتها رجال لهم قدر من العلم ، وآخرون حظهم من المعرفة ضئيل (٢) .

وذهب وول ديورانت الى أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر (٣) .

وذكرت دائرة المعارف لاروس مايلى :-

(العلم العصرى ولا سيما النقد الألمانى ، قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة ، والتاريخ ، وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى وأنها عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية ، سمعوها قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء الى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية ، ولكنها تحتوى فقط على اشارات ورموز وحكايات . . . الخ (٤) .

---

(١) مجلة لواء الاسلام جـ٤ / ٦٨٦ - بحث القرآن - التوراة والانجيل / عبد الوهاب حموده .

(٢) أخذت عن مذكرة فى اليهودية للشيخ محمد أبو فرحة ص١٣ نقلا عن دائرة المعارف البريطانية .

(٣) قصة الحضارة - وول ديورانت جـ/ ٢ ص ٣٧١ - ط / ١٩٤٩م .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى جـ٢ / ٧٠٢ مادة توراة نقلا عن دائرة معارف لاروس .
والمخططات التلمودية الصهيونية اليهودية فى غزو الفكر الاسلامى - أنور الجندى ص ٢٢ .

١ - وبناء على الشهادات المتقدمة فان التوراة الحالية ليست هى التوراة التى أنزلها الله على موسى .

٢ - وليست التوراة الحالية هى التوراة التى كتبها عزرا بل ان هذه التوراة المتداولة مجموعة روايات وقصص كانت مشتهرة بين اليهود قام أحبارهم بجمعها بلا فحص لرواياتها ولا تدقيق لأخبارها .

٣ - انقطاع سند التوراة وعدم وصولها الى موسى حيث أنها كتبت بعد موته بزمن طويل يزيد على ٧٠٠ عام .

٤ - ضياع التوراة اليهودية خلال الغارات المتتالية على أورشليم وفى غارات شوشق نصر والغارات البابلية وقد ضاعت النقول التى ظهرت بعد ذلك فى حادثة أنيشوكس حيث أحرقت جميع كتب العهد العتيق .

وقتل من وجد عنده نسخة منها ، كما ذكر المؤرخ اليهودى يوسيفيس .

٥ - شك علماء المسيحيين القدماء فى التوراة وعدم اعتبارهم لعدد من أسفارها .

٦ - اعتراف علمائهم بتحريف التوراة بقصد وبغير قصد .

الاسفار الخمسة وتاريخ كل سفر منها :-

المعروف أن التوراة كتبت باللغة العبرية فى بادىء الأمر ، وقد ظهر للباحثين المحدثين ، بعد دراسة التوراة ، الموجودة حاليا ، ودراسة لغاتها وأساليبها المكتوبة بها ، وما حوته أسفارها من موضوعات وأحكام وتشريعات ،

وما تمثله هذه الاسفار من البيئات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بأن هذه الاسفار قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير .

يقول نولدكه في كتاب اللغات السامية: (جمعت التوراة بعد موسى بسبعمائة عام ، استغرق تأليفها وجمعها زمنا متطاولا جدا ، تعرضت حياله للزيادة والنقصان ، وانه من العسير أن نجد جملة متكاملة في التوراة مما جاء عن موسى لأن التوراة لم تدون في عهده ولا في الجيل الذي تلاه)(١) .

يقول الباحث T. Smith عن سفر الخروج (ان هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس ، لم يكتب الا بعد فترة طويلة من الاحداث الواردة فيه ، وربما كانت هذه الاحداث محفوظة جيلا عن جيل ، اذ كان بعضها كما لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة في عيد الفصح)(٢) .

وقد أدت دراسات الباحثين لأسفار التوراة الى ارجاع سفري التكوين والخروج الى القرن التاسع قبل الميلاد أي بعد موسى بما يزيد عن أربعة قرون وعصر موسى يقع على الأرجح في القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد .

---

(١) اسرائيل حرفت الاناجيل / أحمد عبد الوهاب ص ٦٩ .

(٢) اليهودية / أحمد شلبي ص ٢٦٠ . نقلا عن كتاب Bodand Man in Early Israel PP 34-35

وأن سفر التثنية قد ألف فى آخر القرن السابع قبل الميلاد ، ويرجع تاريخ تدوين سفرى العدد واللاويين الى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أى بعد الأسر البابلى .

وأن جميع هذه الاسفار وما حوته يختلف عما كان فى عصر موسى ، وتتحدث عن غير البيئة التى وجد فيها ، وعن أحوال لا تشابه أحواله وأن هناك كثيرا من الألفاظ المدونة بها لم تكن معروفه فى ذلك الزمن (١).

وقد دفعت هذه الاضطرابات الموجودة فى التوراة عددا كبيرا من العلماء الى تقرير أن التوراة الحالية ليست كتابا واحدا ، وانما هى مجموعة من الكتب استغرقت كتابتها قرونا عديدة ، وقد قام بكتابة هذه الاسفار عدد من العلماء ، مستغلين فى سبيل وضعها مصادر عديدة ، وقد اعتمدوا فى اثبات ذلك على الأدلة اللغوية ، والمعارضات التاريخية ، والتناقض فى الطقوس الدينية (٢).

وقد علق ولز على ذلك فقال : (لو تأملات قصص خلق العالم آدم وحواء والطوفان التى تبدأ بها التوراة لوجدتها وثيقة مماثلة لاساطير بابلية تشبهها ، والظاهر أنها كانت من المعتقدات الشائعة لدى الشعوب السامية كافة ، وكذلك قصص موسى وشمشون ، فان لها نظائر سومرية وبابلية ، ولكن بداية أمر الشعب اليهودى بوجه أخص لا تبدأ حقا الا بقصة ابراهيم فما تلاها (٣).

---

(١) الاسفار المقدسة د . / على عبد الواحد وافى ص١٦ ط١ / مكتبة نهضة مصر ص٤٠ ط١ / ١٣٩ دار القلم دمشق .

(٢) الاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير د . / رمزى نعناعه نقلا عن كتاب التوراة عرض وتحليل د . / فؤاد حسنين ص٢٣ - ٣٠ .

(٣) موجز تاريخ العالم هـ . ج . ولز ص ٩٠ .

ويؤكد لودس أن التوراة الحالية هى غير التوراة التى أنزلها الله على موسى . فيقول :

(اننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أى قسم من الاسفار الخمسة ، وحتى الوصايا العشر الى عصر موسى ، لأن ماورد من روايات فى هذه الأسفار ، قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة الى تكرار أعادة التصنيف والى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور)[١] .

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ د . / أحمد سوسة ص ١٥٩ ط ٢ / العربى للاعلان والنشر - دمشق . نقلا عن كتاب اسرائيل ص ٣٥٩ .

٣ - ثالثا : شهادة القرآن بالتحريف :-

تحدث القرآن الكريم الذى شهد الله بهيمنته على الكتب الصادقة عمّا أصاب التوراة من تحريف وتغيير وتبديل ونسيان واخفاء ، بعد موت موسى عليه السلام ،على يد اليهود ، وبين ذلك صراحة من غير أن يحدد مكان التحريف فيها ولا زمانه ، ومن غير بيان للأشخاص الذين قاموا به ، ولعل سبب ذلك هو تعدد أماكن التحريف وأزمنته ،وتعدد الاشخاص الذين قاموا بهذه العملية ، بل وتعدد أجيالهم واختلافهم .

وقد كشف الله ذلك للأمة الاسلامية لتقف على حقيقة التوراة وتعتبر بكتابها .

روى الامام أحمد بسنده قال: جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله انى عهدت الى يهودى من بنى قريظة فكتب لى جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك قال : فتغير وجه النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الراوى : وهو عبد الله بن ثابت قلت لعمر : ألا ترى ما بوجه النبى صلى الله عليه وسلم. فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا . قال فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ،فقال : والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ، ثم اتبعتموه ، وتركتمونى لضللتم ،انكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين)(١) .

---

(١) مسند الامام أحمد جـ٣ / ٤٧١ ط٢/ بيروت .

وهذه بعض شهادات القرآن على تحريف التوراة .

قال تعالى :-

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به)[١] .

وقال تعالى :-

(قل من نزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)[٢] .

وقال أيضا :

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)[٣] .

وقال أيضا :-

(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون)[٤] .

وقال :-

(وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)[٥] .

---

(١) سورة المائدة آيه ١٣ .
(٢) سورة الانعام آية ٩١ .
(٣) سورة البقره آية ٧٩ .
(٤) سورة البقرة آية ٧٥ .
(٥) سورة آل عمران آية ٧٨ .

جاء في تفسير ابن كثير قال ابن زيد : في قوله تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه .

قال : التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها ، يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا ، والحق فيها باطلا ، والباطل فيها حقا ، اذا جاءهم الحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، واذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ، فهو فيه محق ، وان جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال الله لهم : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)(١) .

وقال تعالى :-

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)(٢) .

وهم علماء اليهود الذين كتموا الناس أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام الواردة في التوراة وهم يعلمون ذلك يقينا .

وقال تعالى :-

(يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه ، وان لم تؤتوه فاحذروا)(٣) .

وقال أيضا : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء)(٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ / ١٦٥ . تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين .
(٢) سورة البقرة آيه ١٢٦ . (٣) سورة المائدة آية ٤١ .
(٤) سورة الانعام آية ٩٣ .

فهذه شهادة القرآن الكريم فى تبديل التوراة وتحريفها ، وهى شهادة لا ترد لأنها جاءت من كتاب لم تشبه شائبه منذ نزل الى يومنا هذا ، ولم تعلق به تهمه كذب ، ولم يقع نص من نصوصه أو خبر من أخباره موقع شك .

ونحن المسلمين نصدق بما جاء فى القرآن ، ونعتقد أن التوراة دخلها التحريف ، ولم يبق من توراة موسى الا بعض الاحكام ، كرجم الزناة مثلا وان كان اليهود قد تركوا العمل بهذه الأحكام الباقية .

وان التوراة الحالية تعكس صورة حياة اليهود وأخلاقهم على مر العصور وصدق الله اذ يقول :

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)(١) .

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا : بأن هذه الآيه ويل وهلاك لأولئك العلماء الذين يكتبون الكتب بأيديهم ، ويضعون بها آراءهم ويلبسون من الناس التعبد بها ، مدعين أن مافيها هو من عند الله ، ويمكن الاستغناء بها عن كتاب الله تعالى الذى نفهم منه مالا يفهم غيرنا كل ذلك من أجل متاع الدنيا وحب السيادة وأكل الاموال ظلما وعدوانا ...(٢) .

---

(١) سورة البقره آيه ٧٩ .

(٢) تفسير المنار / جـ١ / ٣٦١ ط ٢ / دار المعرفة بيروت - باختصار .

وأما السنة النبوية :-

فقد أشارت الى التحريف الذى لحق التوراة . جاء فى حديث ابن عباس قال (يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، تقرؤنه محضا لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب ، بدلوا ماكتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسايلتهم ، ولا والله مارأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم)(١) .

وجاء فى حديث آخر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا فانكم اما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق ، فانه لو كان موسى حيا بين أظهركم ماحل له الا أن يتبعنى)(٢) .

وجاء فى الحديث أيضا (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ، ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم)(٣) .

وهكذا قطع الوحى الصحيح - قرآنا وسنة - بأن اليهود غيروا فى كتابهم ونسوا حظا مما ذكروا به فما كان موافقا للقرآن عندهم قبلناه ، وما خالفه فهو من التحريف .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ / ١٦ تحقيق عبد العزيز غنيم .

(٢) مسند أحمد جـ ٣ / ٣٣٨ ط ٢ .

(٣) مسند أحمد جـ ٤/ ١٣٦ .

من مظاهر التحريف ودلائله :-

اتفقت دعوات الانبياء على أصول عامة لا تختلف فيها دعوة عن أخرى منها :-

أ - الدعوة الى توحيد الله وطاعته .

ب - الدعوة الى الايمان باليوم الآخر وما فيه .

جـ - الدعوة الى مكارم الأخلاق .

والتوراة فى أصلها من الكتب المنزلة من عند الله ، أنزلها على نبيه موسى فهى توافق كتب الله ، ولا تختلف عنها ، لانها صدرت من المشكاة التى صدرت منها بقية الكتب السماوية ، واذا أمعنا النظر فى التوراة المعمول بها لدى اليهود الآن ، وجدناها تختلف وتتعارض مع الكتب السماوية فى أمور كثيرة ، مما يدل على بشريتها ، وما أصابها على أيدى العابثين من أحبار اليهود ورهبانهم .

ومن مظاهر هذا التحريف مايلى :-

أولا : عدم ذكر اليوم الآخر فى التوراة الحالية :-

اصطبغت أسفار التوراة الحالية بالصبغة المادية ، وخلت من الأمور الروحية ، فليس فيها ذكر لليوم الآخر ، وما فيه من الجزاء والثواب يذكر الامام ابن حزم : أن التوراة التى بأيدى اليهود ليس فيها ذكر مالنعيم الآخرة أصلا ولا للجزاء بعد الموت البته (١) .

---

(١) الفصل فى الملك والاهواء والنحل / لابن حزم جـ١ / ٢٠٧ طـ٢ / دار المعرفة .

كما ذكر الاستاذ العقاد في كتابه - الله - أن اليهود ليس في كتبهم ذكر للبعث واليوم الآخر فقال : (وقد خلت الكتب الاسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر)(١).

ويقرر الدكتور هربرى لوى اليهودى صاحب أديان العالم الكبرى أن هناك عقائد دخيلة انسابت الى اليهودية عن فارس وبابل والاغريق لا سند لها في اليهودية بالذات ، وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب حيث لا يشير اليهود الى حياة أخرى بعد الموت ، ولا يرد فيها شيء عن الخلود ، ويعتقدون أن الجنة على الأرض وأن كل ثواب وعقاب هو في الدنيا(٢) . . .

وهذه الأقوال تدل على عدم صحة هذا الكتاب وأنه ليس الكتاب الذى أنزله الله على موسى ، وانما هو كتاب محرف بعيد عن الحق في جوانبه المتعددة ملائم لاهواء اليهود ورغباتهم وميولهم المادية ، علما بأن الناظر في القرآن العظيم يجد أن الانبياء والمرسلين قد حذروا أقوامهم من اليوم الآخر وما فيه ، من أجر للطائعين وعذاب للعاصين ، فموسى عليه السلام حذر قومه من يوم الحساب قال تعالى : (وقال موسى انى عذت بربى وربكم ، من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)(٣) .

---

(١) الله / عباس محمود العقاد ص ١٣٠ الموسوعة جـ ١ .

(٢) المخططات التلموديه / أنور الجندى ص ٢١ .

(٣) سورة غافر آية ٢٧ .

وورد أيضا ذكر هذا اليوم على لسان مؤمن آل فرعون - قال تعالى :
(انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار)(١) .

ولا شك أن موسى قام بتعريف قومه بيوم الحساب ، ومنه عرف ذلك المؤمن أن الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار ، ان انكار اليوم الآخر فى التوراة كفيل وحده بردها وعدم قبولها !

ثانيا : الكذب والافتراء على الله تعالى :-

الذى يدرس التوراة الحالية يجد فيها أوصافا للإله عجيبة لا يصدقها العقل وينفر منها صاحب الذوق السليم ولا يرضاها حتى لأضعف البشر ، فكيف برب القوى والقدر .

فالإله فى التوراة يوصف مرة بالعلم وأخرى بالجهل والندم ، ومرة بالضعف وأخرى بالقوة والطيش والتجبر ، وحب سفك الدماء ، وحرق شحوم الذبائح لأن رائحتها تبعث السرور والفرح فى نفسه .

ثم ان التوراة وصفت هذا الإله بأنه خاص ببنى اسرائيل دون غيرهم من الخلائق . وتذكر التوراه بأنه يوجد عدد كثير من الآلهه . وتصف الرب بأنه محتاج الى سكن وأنه كان يسكن فى خيمة وقد أحب سكنى القصور ، والآن نورد بعض الشواهد على ماتقدم من توارثهم الممسوخه .

---

(١) سورة غافر آيه ٣٩ .

أ ـ تشبيه الله بخلقه .

جاء فى سفر التكوين (وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا)[١] .

فهل شبه العبد كشبه الاله وأى اله هذا الذى يشبه العبد وفى أى الوجوه يشبهه ، وحاشا لله أن يكون له شبيه أو مثيل .

ب ـ الاله يتعب ويحتاج الى الراحه . جاء فى سفر التكوين :ـ

(فأكملت السموات والارض وكل جندها ، . . . . . .

وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، . . . . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا)[٢] .

فاى اله هذا الذى يوصف بهذه الأوصاف التى لا تليق بضعفة الخلق ، ان هذا ليدل دلالة قطعية على ماقامت به الأيدى الخبيثة من تحريف ونسخ لآيات كتاب موسى ، ومن الذى قام مقام الاله فى أيام راحته .

وحق مارد به عليهم القرآن فى قوله تعالى :ـ

(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب)[٣] .

---

(١) سفر التكوين ١ / ٢٧ .
(٢) سفر التكوين ٢ / ١ - ٣ .
(٣) سورة ق آيه ٣٨ .

والله تعالى خلق السموات والارض بالأمر الكونى الأزلى ، وهو كلمة كن فيكون . قال تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)(١) .

جـ - الاله يحزن ويندم :-

ان اله التوراة يحزن ويندم على أفعاله الماضية التى قام بها فى الماضى لما ظهرت له نتائجها .

(ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الارض ، وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه)(٢) .

ان هذا القول يدل على عدم علم الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وهو يؤدى الى القول بالبداءة(٣) وأن الله لا يعلم الأمور الا بعد ظهور نتائجها .

لله ما أعظم هذه الفرية - كيف تكون هذه أوصاف اله مدبر للخلق ؟ .

---

(١) سورة يس آيه ٨٢ . (٢) سفر التكوين ٦/٥ - ٧ .

(٣) البداءة : أن يظهر لله وجه المصلحة فى شىء بعد أن كان من قبل خافيا عليه فاذا بداله شىء بعد أن خفى قالوا : انه يريد الشىء ثم يبدوا له الأمر فيه - تعريفات الجرجانى ص ٣٦ ط ١٣٥٧ - مصطفى البابى الحلبى - مصر . - بتصرف

والله تعالى قد بين فى قرآنه الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قد أحاط بكل شىء علما ، وأنه يعلم ما فى السموات والأرض ، وما يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ، وأنه يعلم السر وأخفى .

د - وقد اعترفوا بوجود آلهة متعددة :-

(الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه فى الشىء الذى بغوا به كان عليهم)(١) .

هـ - وكذلك نسبوا الى الاله أنه يستمتع برائحة شحوم الذبائح ، فمن ذلك ما جاء فى سفر الخروج .

(ثم تأخذ من الكبش الشحم والالية ، والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى فانه كبش ملىء ورغيفا واحدا من الخبز وقرصا واحدا من الخبز بزيت ورقاقه واحده من الفطير التى أمام الرب ، وتضع الجميع فى يدى هارون ، وفى أيدى بنيه وتردها ترديدا أمام الرب ، ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على الذبح فوق المحرقه رائحه سرور أمام الرب ، وقود هو للرب ...)(٢) .

و - ووصفوا الاله بأنه ظالم حقود يجازى الأبناء على ذنوب الآباء وأبناء الأبناء كذلك . جاء فى سفر الخروج .

---

(١) سفر الخروج ١٨ / ١١ .

(٢) سفر الخروج ٢٩ / ٢٢ - ٢٥ .

(لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى)(١).

وبالرغم مما نسبه واضعوا التوراة الى الاله من الأوصاف السابقه الا أنها فى أماكن أخرى تتحدث عن وحدانية الله وكماله ، وقدرته على كل شىء ، وعظمته وجبروته ، وأنه قدوس وطاهر ، وأنه عادل . مما يدل على تناقض التوراة فى الذات الالهية وهذه بعض الأمثله :

١ - بعض النصوص الدالة على وحدانيته تعالى .

(الرب الهنا اله واحد)(٢).

٢ - القادر .

(أنا الله القدير)(٣).

(وقال يعقوب لابنه يوسف الله القادر على كل شىء ظهر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركنى)(٤).

وقال له (من اله أبيك الذى يعينك ومن القادر على كل شىء الذى يباركك تأتى بركات السماء)(٥).

وقد أشارت التوراة الى نفاذ قدرة الله تعالى وأن الكون كله طوع أمره ورهن إشارته يقول : (لأنى أنا الرب أتكلم والكلمة التى أتكلم تكون)(٦).

---

(١) سفر الخروج ٢٠/٥ .
(٢) سفر التثنية ٦/٤ .
(٣) سفر التكوين ١٧/١ .
(٤) سفر التكوين ٤٨/٣ .
(٥) سفر التكوين ٤٩/٢٥ .
(٦) سفر حزقيال ١٢/٢٥ .

ويقول أيضاً (كما قصدت يصير ، وكما نويت يثبت)[١] .

٣ - العظيم الجبار :-

(لأن الرب الهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب)[٢] .

٤ - القدوس المقدس الطاهر :-

اذ قال لليهود (انى أنا الرب الهكم **فتتقدسون** ، وتكونون قديسين لأنى أنا قدوس)[٣] .

(من يقتدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس)[٤] .

(ليس قدوس مثل الرب)[٥] .

٥ - الكامل :-

(الله طريقه كامل)[٦] .

(وناموس الرب كامل)[٧] .

٦ - العالم :-

(الرب اله عليم)[٨] .

(أنا الرب فاحص القلوب ، مختبر الكلى لأعطى كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله)[٩] .

٧ - البار المحسن :-

قال داوود (فان فاحص القلوب والكلى ، الله البار)[١٠] .

---

(١) سفر أشعياء ١٤/ ٢٤ .
(٢) سفر التثنيه ١٠/ ١٧ .
(٣) اللاويين ١١/ ٤٤ .
(٤) صموئيل الأول ٦/ ٢٠
(٥) صموئيل الاول ٢/ ٢
(٦) المزمور ١٨/ ٣٠ .
(٧) " ١٩/ ٧ .
(٨) صموئيل الأول ٢/ ٣ .
(٩) أرمياء ١٧/ ١٠ .
(١٠) مرموز ٧/ ٩ .

وجاء أيضا (ونادى الرب ، الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء)[١] .

٨ - العادل :-

(لأني أنا الرب محب العدل ، مبغض المختلس بالظلم)[٢] .

(لأن الرب عادل ويحب العدل)[٣] .

وبعد سرد هذه النصوص التي تدل على كمال الله تعالى ووفائه واحسانه وعدله وعلمه ، وقدرته ، وقداسته ، ومقارنتها بما تقدم من نصوص تدل على جهل الاله وندمه ، وحزنه ، وظلمه ، وضعفه ... الخ .

الى غير ذلك من الأوصاف التي لا تليق بضعاف الخلق وشرارهم نقول ان التناقض بين هذه النصوص ظاهر وهو يدل على قصر ونقصان الكاتبين للتوراة ، ويدل أيضا على تحريف هذا الكتاب وأنه ليس الكتاب السماوي الذي أنزله الله على موسى ، ليكون نورا وهدى لبني اسرائيل .

---

(١) الخروج ٣٤/٦ .

(٢) اشعياء ٦١/٨ .

(٣) المزمور ١١/٧ .

ثالثا : الكذب والافتراء على الأنبياء :-

لم يقف الأمر فى التحريف عند الذات الالهية بل تعداه الى رسل الله وأنبيائه فقد وصفتهم أسفار العهد القديم بأوصاف لا تليق بالسفلة من الناس، وكيف لا ومحرفوا التوراة قد تجرءوا على الذات الالهية ، انهم على مقام النبوة يكونون أشد جرأة .

وقد ذهب اليهود الى أن الانبياء غير معصومين من ثم أجازوا عليهم ارتكاب الفواحش فوصفوا بعضهم بشرب الخمر ، والبعض الآخر بالزنا وعدم العفة ، وسلب النساء من أزواجهن ؛ . . . ؛ الخ تلك الصفات القبيحة .

وتسوق على ذلك بعض الشواهد :-

(١) لوط عليه السلام :-

تصورة التوراة بصورة الزانى الذى أباح لنفسه مضاجعة ابنتيه . جاء فى سفر التكوين مايلى :-

(وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر ، فسكن فى المغارة وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ ، وليس فى الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيى من أبينا نسلا ؟ فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر ، واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيره انى قد اضطجعت البارحه مع أبى نسقيه خمرا الليله أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحى من أبينـــــا نسلا . . . الخ (١) .

هذه هى نظرة التوراة الى نبى كريم من أنبياء الله ، يرمونه بشرب الخمر والزنا ، وليس بالزنا فقط وانما بأفحش أنواع الزنا وهو الزنا بابنتيه ، وقد شهد الله لذلك النبى الجليل بالصلاح .

قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) (٢) .

وشهد له بالحكمة والعلم قال تعالى : (ولوطا آتيناه حكما وعلما) (٣) .

وجعله مع عباده الأخيار الذين فضلهم على كثير من خلقه (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) (٤) .

وهو النبى الذى أنكر على قومه عملهم للفواحش (ولوطا اذ قال لقومه أتاتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين) (٥) .

وهجرهم من أجل هذا العمل و (قال انى لعملكم من القالين) (٦) .

---

(١) سفر التكوين ١٩ / ٣٠ وما بعده .
(٢) سورة التحريم آيه ١٠ .
(٣) سورة الانبياء آيه ٧٤ .
(٤) سورة الانعام آية ٨٦ .
(٥) سورة الاعراف آيه ٨٠ .
(٦) سورة الشعراء آية ١٦٨ .

٢ - وأما موقف التوراة من نوح . فيظهر مما يلى :-

(وابتدأ نوح يكون فلاحا ، وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه)[١] .

هذا هو نوح التوراة رجل سكير متحلل من الاخلاق ، أما نوح القرآن فهو نبى من أولى العزم من الرسل .

قال الله عنه :-

(ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم ، وآل عمران على العالمين)[٢] .

٣ - واما ابراهيم عليه السلام فقد وصفته التوراة بأنه كان غير عادل فى معاملته مع أولاده ، وأنه يحابى اسحاق فيدفع اليه كل مايملك ، لأنه ابن الحره وأما اخوته أولاد السرارى فقد أعطاهم بعض الشىء ، وصرفهم عن اسحاق ومن هؤلاء اسماعيل . جاء فى سفر التكوين .

(وأعطى ابراهيم اسحق كل ماكان له - وأما بنو السرارى اللواتى كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا ، وصرفهم عن اسحاق ابنه شرقا الى ارض المشرق وهو بعد حى)[٣] .

٤ - بينما نجد التوراة تصف اسحاق بأنه رجل بليد وضعيف الفهم لا يستطيع أن يميز بين ولديه عيسو ويعقوب ، وأنه رجل جاهل بكل الاحداث التى تقع فى بيته ، وأنه صاحب خمر الى غير ذلك من الاوصاف التى لا تليق بنبى .

---

(١) سفر التكوين ٩ / ٢٠ - ٢٢ .

(٢) سورة آل عمران آيه ٣٣ .

(٣) سفر التكوين ٢٥ / ٥ - ٦ .

وقد ورد ذلك في سفر التكوين حيث أن اسحاق لما كبر ، وذهب بصره ، دعا ابنه الاكبر عيسو ، وأمره أن يخرج الى الصيد ليصيد له ويصنع له طعاما حتى يباركه . وتسمع رفقه - زوجته - الحديث الذى دار بين اسحاق وولده عيسو وتغتنم الفرصه ، وتخبر ولدها الاصغر يعقوب بالحديث الذى دار بين عيسو ووالده ، وتأمر يعقوب بأن يحضر جديين لكى تصلحهما طعاما لاسحاق لكى يباركه قبل أخيه .

وتنفذ الحيلة ، وتنطلى على اسحاق ، ويباركه قبل أخيه ويقول له (فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الارض ، وكثرة حنطه ، وخمره ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، كن سيدا لاخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)(١) .

هذه صورة نبى كريم شارك أباه برفع شعار الدعوة الى الله ، ومحاربة الوثنية وقمع الشرك ورفع علم التوحيد ، لكن التوراة أخرجته بصورة لص محترف ماهر استطاع بمهارته أن يسرق النبوه من أخيه عيسو .

يقول الشيخ محمد الغزالى :-

ان هذا النبى عندنا نحن المسلمين انسان جليل نبيل شارك أباه فى الدعوة الى الله ، ونبذ الوثنية ورفع علم التوحيد واقامة الملة السمحة (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)(٢) .

---

(١) سفر التكوين ٢٧ / ١ - ٢٩ ملخصا .

(٢) سورة البقرة آيه ١٣٢ .

لكنه عند اليهود شخص محتال سرق النبوة من أخيه البكر بطريقة مخطه ، ويظهر أن الفكر اليهودى يحسب النبوه ميراثا دنيويا يمكن الاستيلاء عليه بالشطارة والمهاره وليست هبة عليا يمنحها رب العالمين من يصطفيهم من أهل الطهارة والنضارة .

وكأن اليهود يخصون الابن البكر بالتركه كلها ماديه كانت أو أدبيـــة وعلى هذا كان (عيسو) الابن الاكبر لاسحاق هو الذى سيرث اللقـــب والمال ، مثلما كان يحكم القانون الانجليزى ، ولكن أم يعقوب تفاهمت مع ولدها على غير هذا وانتهزت أن (عيسو) خرج ليحضر الطعام الى أبيه المكفوف ثم نفذت خطتها (١) .

٤ - وأما داود عليه السلام فقد وصفته التوراة بأنه رجل لا يعرف العفـــة والشرف ، يسطو على نساء غيره ، بعد أن يغدر بهم ، لكى يخلـــو له الجو مع هؤلاء النساء ، وهو الذى قتل أوريا الحثى وتزوج امرأته حيث أمر أن يدفع به الى وجه الحرب للتخلص منه . كما جاء فى سفر صموئيل الثانى (٢) وفى هذا المقام نعرج الى القرآن لنرى خبر هـــذا النبى الكريم فيه يقول تعالى :

(واذكر عبدنا داوود ذا الايدى إنه أواب . إنا سخرنا الجبـــال معه يسبحن بالعشى والاشراق . والطير محشورة كل لـــه أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب . وهل أتاك نبأ الخصـــم اذ تسوروا المحراب . . . .

---

(١) قذائف الحق / محمد الغزالى ص ٢٧ المكتبة العصرية - بيروت .

(٢) صموئيل الثانى ١١ / ١ - ٢٥ .

وقوله (فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ، يا داوود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)(١) .

يقول الرازى فى تفسيره معلقا على مانسبة أهل الكتاب الى داوود عليه السلام وهذا قول باطل من وجوه كثيره ،

الأول : ان هذه القصة لو نسبت الى أشر الخلق ، لاستنكف منها وأباها فكيف يتم نسبتها الى نبى كريم معصوم ، وهذا يدل على الحشو الذى لحق الكتاب المقدس الذى أورد هذه القصه ، وأمثالها .

الثانى : القصة تشير الى معصيتين الاولى : السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق . والثانية الطمع فى زوجته .

أما الأمر الأول : فانه أمر منكر لا تبيحه شريعة من الشرائع السماوية وقد قال عليه الصلاة والسلام (من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمه لقى الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)(٢) .

وأما الأمر الثانى : وهو الطمع فى زوجة انسان آخر فهو منكر أيضا (لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)(٣) .

---

(١) سورة ص آيه ١٧ - ٢١ و ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ابن ماجه كتاب الديات جـ٢ / ٨٧٤ حديث - ٢٦٢٠ .

(٣) المسند جـ٢/١٦٣ .

فأوريا لم يسلم من داوود لا فى زوجه ولا فى زوجته .

الثالث : ماورد من أصاف لداوود سردها القرآن قبل ذكر هذه القصة تدل على علو الموصوف بها ، وكماله ، ولا يقف الأمر عند هذه الاوصاف بل هناك أوصاف غيرها كثيره ذكرت بعد القصة ، وهذه الاوصاف كلها تنفى نفيا قاطعا هذه التهمه الشنيعة .(١) فما جاء من الأوصاف قبل ذكر القصة ، أمر الله نبيه بالاقتداء بداود ووصفه بالعبودية وهو وصف يقتضى كمال الموصوف، ووصفه بأنه ذو الأيد أى صاحب القوة فى الدين ووصفه بأنه أواب ، وسخر الجبال له ، وحشر له الطير ، واتبع ذلك بشد ملكه فهل شد ملكه بأسباب الدنيا ، أم أن المراد شد ملكه بما يقوى الدين ، وأسباب السعادة فى الآخرة ، ان المراد شد ملكه فى الدين والدنيا . وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . فهذه أوصاف تدل على أن ماانسب لداوود من ارتكاب المعاصى ، وماجاء فى الكتاب المقدس ، وماذكره بعض المفسرين من ارتكاب داوود لمثل هذه المعاصى باطل وليس صحيحا .

وأنه برىء مما نسب اليه ، وأن هذا من التحريفات التى لحقت التوراة ، وماألصق بأنبياء الله زورا وبهتانا .

---

(١) تراجع الايات الوارده فى سورة (ص) من قوله (أصبر على مايقولون الى - نسوا يوم الحساب) ١٧ - ٢٦ .

واما ما جاء من الأوصاف المادحه له فقد ذكر القصه ، فهى قوله تعالى (ان له عندنا لزلفى وحسن مئاب) وهذا يناسب قوة الطاعة والبعد عن المعاصى وقوله (يا داوود انا جعلناك خليفة فى الارض) فالمعصية والذنب جزاؤهما العقاب وليس جزاؤهما اسباغ النعمة على العاصى والتمكين له .

يقول الفخر الرازى .

(وقد دلت أول الآيات على مدح داوود وآخرها كذلك ، فلو دل الوسط على القبائح والمعايب لجرى مجرى أن يقال فلان عظيم الدرجة عالى المرتبه فى طاعة الله يقتل ويزنى ويسرق ، وقد جعله خليفة فى أرضه ، وهذا كلام لا يليق بالعاقل فكذا هنا ومن المعلوم أن القتل والزنى من معايب الأعمال (١) ...) .

وأما خلاصة هذه القصة فهى أن داوود عليه السلام كان يخصص بعض وقته للتصرف فى شئون الملك ، وللقضاء بين الناس ، ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة وكان اذا دخل المحراب للعباده لم يدخل اليه أحد حتى يخرج هو الى الناس ، وفى ذات يوم فوجئ بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه فخاف منهما ، ولكنهما بادرا يطمئنانه : (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض) وجئنا للتقاضى أمامك (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط) .

---

(١) تفسير الرازى / محمد الرازى فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر جـ٧ / ١٨٤ وما بعدها بتصرف .

وبدأ الأول يعرض خصومته فقال : (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحده . فقال : أكفلنيها وعزني في الخطاب) اى شدد علي في القول واغلظ فما أن سمع داوود هذه الدعوى حتى أصدر الحكم دون أن يسمع حجة الخصم الآخر. قال (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) .

ويبدو أن الرجلين قد أختفيا في هذه المرحله ، فتنبه داوود الى أن هذا ابتلاء له وأنه ليس للقاضي أن يقضي دون أن يسمع الدعوى من الطرفين وعليه أن لا يتعجل ، والا يأخذ بظاهر قول واحد .

وهنا أدركته طبيعته (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ، فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب)[١].

---

(١) ملخصا من تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب جـه ٣٠١٨/ - دار الشروق - ١٣٩٤ .

٥ - وأما سليمان عليه السلام فقد وصفته التوراة بأنه رجل متوحش يبدأ حكمه بقتل أخيه أدونيا ، وبأنه رجل شهواني ، يملك مئات الزوجات (٧٠٠) زوجه و (٣٠٠) جارية ، ويأمره الرب بعدم عبادة آلهه أخرى ولكنه لا يسمع كلام الرب .

جاء في سفر الملوك الأول :-

(وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات، وأدوميات ، وصدونيات ، وحثيات ، من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل ، لا تدخلون اليهم ، وهم لا يدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه)(١) .

هذا وصف التوراة وأما القرآن فيصف نبي الله سليمان بالحكمة والعلم : (وداوود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)(٢) .

وبعد هذا العرض لبعض الأمثلة التي جاءت في التوراة بشأن الانبياء فاننا نبرأ الى الله من هذه الاوصاف التي وصفت التوراة بها أنبياء الله والتي تدل دلالة قاطعة على التحريف الذي لحق هذا الكتاب ، ونؤمن بأن النبوة كمال إنساني ، بلغ صاحبه القمة في الطهارة الروحية ، وذكاء النفس واتساع الافق ،

---

(١) سفر الملوك الأول ١١ / ١-٤ . فليت هؤلاء الذين يطعنون في تعدد أزواج النبي وغالبهم من اليهود والنصارى يقرأون ماورد في كتبهم المقدسه .

(٢) سورة الأنبياء آيه ٧٨ .

وسمو الافكار ، وقوة التأمل ، والبحث عن الهدى وتبليغ الامانة ، والعصمة من كل ما يشوه السيرة البشريه ،عند ذلك تأهل لأن يفاض عليه من لدن الحكيم الخبير ، الحكيم فى تصرفاته ، الخبير بما فى قلوب العباد ،واستحق أن يكون من الرسل المصطفين الأخيار ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، والرسالة لا تنزل على جاهل ولا مشعوذ ، ولا سفاك للدماء ،ولا متعاط للخنى ،ولا سكير ،ولا أفاك ، ولا بليد فى الحس والتفكير ، ولا على ظلوم للعباد ،ولا على فاسق :

(الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)(١)(٢) .

رابعا : وجود التناقض بين أسفار التوراة ، مما يدل على بشريتها :-

(١) جاء فى سفر الخروج مايلى :-

(يفتقد اثم الآباء فى الأبناء ،وفى أبناء الابناء ، حتى الجيل الثالث والرابع)(٣) .

وقد جاء ماينافض ذلك فى سفر حزقيال (وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من اثم الاب ، أما الابن فقد فعل حقا وعدلا ، حفظ جميع فرائضي وعمل بها ، فحياة يحيا النفس التى تخطئ هى تموت، ،الابن لا يحمل من اثم الاب والاب لا يحمل من اثم الابن ـ بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون)(٤) .

---

(١) سورة الحج آية ٧٥ .

(٢) عقيدة المسلم / محمد الغزالى ص ٢١٩ ط ٤ / ١٣٧٥ ـ دار الكتاب العربى / مصر ـ الاسلام / أحمد شلبى ص ١١٤ ط ٥ / ١٩٧٧م .

(٣) سفر الخروج ٣٤ / ٧ .

(٤) سفر حزقيال ١٨ / ٢٠ ـ ٢١

فالفقرة الأولى تدل على أن الخطيئة تنتقل من الآباء الى الابناء حتى الجيل الثالث وأنه يحاسب الابن عن الأب ، وابن الابن عن الجد وهكذا حتى الجيل الثالث .

والفقرة الثانية : تدل على أن كل انسان يجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ، والفقرة تحمل فى طياتها نسبة الظلم الى الرب ، فهو يأخذ البرئ بجريرة المذنب ، ويهلك الطائع بسبب العاصى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(٢) جاء فى سفر الخروج أن الاسرائيلى ، الذى يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الاسرائيلى فى حالة الاحتياج الى المال يدوم رقه لمدة ست سنين (اذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم ، وفى السابعه يخرج حرا مجانا)(١) .

وفى سفر التثنية :-

(فى آخر سبع سنين تعمل ابراء ، وهذا هو حكم الابراء يبرئ كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه ، لا يطالب صاحبه ولا أخاه ، لأنه قد نودى بابراء للرب)(٢) .

وجاء فى سفر اللاويين ماينافض ذلك ويخالفه مخالفة كاملة ، وهو أن الرق لا ينتهى عن الانسان المدين الا بحلول اليوبيل(٣) ، الاسرائيلى مهما كانت المدة التى قضاها فى الرق سابقا كثيرة أو قليلة .

---

(١) سفر الخروج ٢١/٢ .

(٢) سفر التثنيه ١٥ / ١ - ٢ .

(٣) اليوبيل : وهو العيد الذى يجئ كل خمسين عاما / تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم / دوزة ص ٨٠ .

يقول سفر اللاويين :-

(وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده ، استعباد عبد كأجير كنزيل يكون عندك ، إلى سنة اليوبيل يخدم عندك)(١) .

خامسا : اباحة رذائل الاعمال التي تستنكرها المجتمعات البشرية ، والجماعات الانسانيه حتى الهمجية منها ، كالغش والسرقة ، والكذب ، فالتوراة الحاليه تبيح مثل هذه الاعمال ، وتبيح ابتزاز أموال غير اليهود بالربا ، وتبيح العقد والغدر والمكر ، وتنسب كثيرا من هذه الأمور الى أنبيائهم ، فمن ذلك ما ورد من أن رب بني اسرائيل رسم لهم خطة سلب أموال المصريين ، وهي خطة تقوم على الغش والخداع .

جاء في سفر الخروج مايلي :-

(وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطالب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضه ، وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين)(٢) .

وقد نفذ بنو اسرائيل الخطة المرسومة لهم من الرب حسب ما أمرهم (فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم ، وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى ،

---

(١) سفر اللاويين ٢٥/٣٩ - ٤٠ .

(٢) سفر الخروج ٣/٢١ - ٢٢ .

طلبوا من المصريين أمتعه فضه ، وأمتعه ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين)[١] .

فكيف يبيح الاله لشعب اسرائيل اختلاس أموال غيرهم ، ويرسم لهم خطة الاختلاس وطريق التنفيذ .

كما يزعمون فى توراتهم المحرفه أن الله يبيح لهم ابتزاز أموال الناس عن طريق الربا الذى أباحه لهم مع غيرهم ، وحرمه عليهم فيما بينهم .

جاء فى سفر التثنية مايلى :-

(لا تقرض أخاك ربا فضة أو ربا طعام ، أو ربا شىء ما مما يقرض ربا للاجنبى تقرض ربا ، ولكن لأخيك لا تقرض ربا ، لكى يباركك الرب الهك ، فى كل ماتمتد اليه يدك فى الأرض ، التى أنت داخل اليها لتملكها[٢])

فأى إله هذا فى نظر صانعى التوراة يجابى شعبا عن شعب ، ويقدم قوما على قوم ، يبيح لجماعة اليهود ابتزاز الاموال بأى طرق كان مشروعا أو غير مشروع .

اننا نحن المسلمين نعتقد أن التوراة السماوية بريئة من هذا اللغو والضلال .

---

(١) سفر الخروج ١٢ / ٣٤ - ٣٦ .

(٢) سفر التثنية ٢٣ / ١٩ - ٢٠

سادسا : وجود بعض العبارات فى أسفار التوراة لا تصح نسبتها الى موسى عليه السلام : فهى تدل على أن قائلها ليس موسى وانما قيلت بعده بزمن طويل ، وهذا مما يثبت حقيقة التحريف .

أ - من ذلك ماجاء فى سفر التثنيه .

(فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موأب ، حسب قـــول الرب ، ودفنه فى الجواء فى أرض مواب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف انسان قبره الى اليوم)(١) .

فهل يعقل أن يقول موسى ذلك عن نفسه ، ويصف موته فى أرض موأب ، قبل أن يموت ،فهذا يدل على أن هـــذا الكلام الحق بالتوراة بعد موت موسى .

ب وجاء فى سفر التكوين مايلى :-

(هؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل ما ملك ملك لبنى اسرائيل)(٢) .

فهذه العباره تنسب الى موسى وهو كلام غير مقبول لأن هذه العباره تدل على أنها قيلت فى عهد الملوك وبين موســى وعهد الملوك حوالى ثلاثمائة وست وخمسين سنه .(٣)

---

(١) سفر التثنية ٣٤ / ٥ .

(٢) سفر التكوين ٣٦ / ٣١ .

(٤) اظهار الحق جـ١ / ٢٣٩ طبعة المغرب .

وعلق آدم كلارك بقوله (غالب ظني أن موسى عليه السلام ماكتب هذه الآية والآيات التي بعدها الى الآيه التاسعه والثلاثين ...)[١]

وبعد تقديم هذه الشواهد ، من يصدق أن هذه العبارات والفقرات من التوراة السماويه التي أنزلها الله على موسى لتكون نورا وهدى لبني اسرائيل ، ان التوراة الحاليه ليست نورا وهدى ، وانما هي كتاب جامع لفنون الغش والخداع ، واسم لأساليب المكر والدهاء ، وابتزاز الاموال بغير حق مشروع ، واباحة الكذب والقتل ، وسفك الدماء بغير حق ، والغدر والخيانه ، وهي كتاب غزل جامع لكثير من أنواعه .

ثم : من يصدق أن هذه الأمور مما تتنزل به السماء على لسان نبي من أولى العزم لهداية الناس ؟ .

ومن يصدق أن نبيا من الأنبياء ينشر هذا الكلام ويدعو الناس اليه ؟ (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)[٢] .

---

(١) اظهار الحق جـ١ / ٢٣٩ طبعة المغرب .

(٢) سورة الكهف آية ٥ .

نتائج هذا البحث :-

وبعد هذه الدراسة للتوراة الحالية وما فيها ، فاننا نخرج بالنتائج التالية :-

أولا : يعترف الاسلام بأن التوراة الحقيقيه ، كتاب سماوى أنزله الله على عبده موسى عليه السلام ليكون نورا وهداية لبنى اسرائيل ، كما يقرر القرآن أن الأيدى قد عبثت بهذا الكتاب فغيرت الكثير من أحكامه حتى أزالت عنه صفة القداسة السماويه ، وأكسبته حلة دنيويه .

ثانيا : ان التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى ضاعت وفقدت ، وأن التوراة الحاليه مقطوعة السند لا تصل الى موسى كما يثبت ذلك التاريخ والعلماء المنصفون ، وهى بقايا من معلومات محفوظة تناولتها أعاصير الفتن والازعاج مع طول الزمن ، بقيت عالقة فى أذهان من كانوا أحياء أو بقايا أوراق كتبت من غير تحرّ ، ولا ضبط ، وبناء على ذلك فقد انتفى التواتر فى نقل التوراة الذى هو أهم العناصر فى النقل لكتاب دينى هام .

ثالثا : بمراجعة اللغات والأساليب التى كتبت بها التوراة الحالية ، وما جاء فى أسفارها من أحكام وتشريعات ، وما وجد فيها من ألفاظ لم تكن متداولة فى عهد موسى يتبين أن الأسفار الحالية ليست توراة موسى .

رابعا : ان دعوى الالهام في كتابة التوراة الحالية باطلة لأنه لا دليل ولا سند عليها .

خامسا : وجود التناقض بين أسفار التوراة مما يدل على بشريتها ، وأنها من صنع العقول البشرية القاصرة التي من طبيعتها الخطأ والنسيان وليست هي من صنع الله الذي يعلم كل شيء .

سادسا : ان التوراة خضعت للترجمة ، فنقلت من لغة الى لغة مما أدى الى تحريفها وتبديل معانيها ، والزيادة والنقصان فيها ، وان كتابتها تم بعد زمن طويل من نزولها على موسى عليه السلام .

المبحث الثانـــى

مصادر النصرانية - الاناجيـــل -

الانجيل فى الأصل : كلمة يونانية معناها البشارة ، والتعليم وهى فى الاصل اليونانى انكليون ، وقد استعملها المسيح بمعنى بشرى الخـــلاص التى حملها الى البشر ، وقد استعملها الرسل من بعده بنفس المعنى .

ثم استعملت هذه الكلمة بمعنى الكتاب الذى يتضمن هذه البشرى ، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم (١) .

ويطلق الانجيل على :-

الكتاب الالهى الذى أنزله الله تعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام ، هدى ونورا لبنى اسرائيل ، وقد دعاهم فيه الى عبادة الله وحده ، وبشـــر فيه برسولنا محمد عليه الصلاة والسلام وأنه قد اقترب زمان بعثته ، وأنه يأتى بشريعة جديدة تأمر بكل خير وتنهى عن كل شر ، وتحل لهم الطيبات ، وتحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم كما جاء فى سورة الاعراف (٢) .

الانجيل فى القرآن :-

تحدث القرآن الكريم عن الانجيل وبين أنه كتاب هدى ونور أنزله اللـــه تعالى على نبيه عيسى عليه السلام ، مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهـــدى وموعظة للمتقين .

---

(١) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٣ / ١٥٨ ط٢ / بيروت دار المعرفة - اظهار الحق / رحمة الله الهندى جـ١ / ٥٢ - المغرب - المسيح فـــى القرآن / عبد الكريم الخطيب ص ٧٧ ط١ / دار الكتب الحديثه . - المسيحية أحمد شلبى ص ٢٠١ ط ٥ / ١٩٧٧ .

(٢) آية ١٥٧ .

وقد وصفه الله تعالى أحسن وصف فقال فى حق عيسى عليه السلام وما أنزل عليه من كتاب (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)(١) .

وقد ورد ذكر الانجيل فى آيات كثيرة من كتاب الله تعالى من ذلك ما جاء فى سورة آل عمران :

(نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل)(٢) .

وبين أنه كتاب هداية فقال بعدها (من قبل هدى للناس) .

وقال فى سورة الحديد :

(ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل)(٣) .

كما جاءت الاشارة اليه فى سورة مريم على لسان المسيح عليه السلام .

(قال إنى عبد الله آتانى الكتاب)(٤) .

وفى سورة البقرة وآل عمران (وما أوتى موسى وعيسى)(٥) .

وفى هذا إشارة الى التوراة التى انزلت على موسى ، والانجيل الذى انزل على عيسى . وقد طالب المولى أهل الكتاب اقامة الشرائع الموجوده بهذه الكتب المنزله ، واقامتها انما يكون بالايمان بما فيها . وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٦ .
(٢) سورة آل عمران آيه ٣ .
(٣) سورة الحديد آيه ٢٧ .
(٤) سورة مريم آيه ٣٠ .
(٥) سورة البقرة آيه ١٣٦ ، ٨٤ آل عمران .

يقول ابن حزم فأما قوله تعالى :-

(يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليكم من ربكم)[١] ، فحق لا مرية فيه ، وهكذا نقول ، ولا سبيل لهم الى اقامتها أبدا الا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والانجيل ، يؤمنون حينئذ بما أنزل الله فيهما ، ويكذبون بما بدل فيهما مما لم ينزل الله تعالى فيهما ، وهذه هي اقامتهما حقا)[٢] .

وقد أنزل الله الانجيل بعد التوراة على عيسى بن مريم حيث كانت رسالته خاتمة رسالات بني اسرائيل ، وقد جاءت مصدقة لما قبلها من الرسالات والكتب وطالبهم المولى بالحكم به ، وبما جاء به من أحكام ، والحكم بالانجيل المنزل اعتراف برسالة عيسى وبشريته ، وفي نفس الوقت اعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي بشر بها الانجيل (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)[٣] .

وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ، مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)[٤] .

---

(١) سورة المائدة آية ٦٨ .

(٢) الفصل في الملك والاهواء والنحل لابن حزم جـ١ / ٢١٣ ط٢ / ١٣٩٥ - بيروت ، بتصرف .

(٣) سورة الصف آية ٦ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٦ - ٤٧ .

واذا كان القرآن قد أشار الى انجيل عيسى فقد أشارت الى هذا الانجيل أيضا الأناجيل المعتمدة لدى الكنيسة والرسائل أيضا تشير نصوصها الى وجود ذلك الانجيل، فمن هذه الاشارات ماجاء فى انجيل مرقص :-

(جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا . . . وأمنوا بالانجيل)(١) .

وفى متى : (الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم ، يخبر أيضا بما فعلته ؛ هذه تذكارا لها)(٢) .

ان هذا الانجيل المشار اليه فى العبارات السابقة على لسان المسيح عليه السلام يدل على أنه هناك انجيلا آخر غير الأناجيل الأربعة التى لم تعرف الا فى القرن الثانى ، انه الانجيل الأصلى الذى تنزل على المسيح .

وقد ورد ذكره فى رسالة بولس الى أهل روميه .

(أولا أشكر الهى يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم ، فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم)(٣) .

---

(١) مرقص ١/ ١٤ .

(٢) متى ٢٦ / ٣١ .

(٣) رسالة بولس الى أهل رومية ١/ ٨ .

وورد ذكره أيضا فى رسالته الى أهل كورنثوس :-

(صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه)(١) .

وفى رسالته الى أهل غلاطية قال : (إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح)(٢) أى يغيروه .

وهذه اشارة من بولس الى وجود بعض الناس الذين يعملون على تحريف الانجيل منذ القرن الأول المسيحى .

وجاء فى رسالة بولس الى أهل تسالونيكى :-

(هكذا اذ كنا جانين اليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا)(٣) .

وكذلك قوله (فأرسلنا تيموثاوس أخانا ، وخادم الله ، والعامل معنا فى انجيل المسيح)(٤) ، وجاء فى لفظ آخر (انجيل ربنا يسوع المسيح)(٥) .

وفى رسالته الى تيموثاوس (حسب انجيل مجد الله المبارك الذى أؤتمنت أنا عليه)(٦) .

---

(١) رسالة بولس الاولى الى أهل كورنثوس ٩ / ٢٢ - ٢٣ .
(٢) رسالة بولس الى أهل غلاطيه ١ / ٦ - ٧ .
(٣) رسالة بولس الاولى الى أهل تسالونيكى ٢ / ٨ .
(٤) الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكى ٣ / ٢ .
(٥) الرسالة الثانيه الى أهل تسالونيكى ١ / ٨ .
(٦) الرسالة الاولى الى تيموثاوس ١ / ١١ .

فاسماء الأناجيل الواردة فى هذه العبارات هى اشارة الى انجيل واحد وان اختلفت مسمياتها ، فقد تسمى انجيلا ، وبشارة الملكوت ، وانجيل ربنا يسوع المسيح ، وانجيل السلام ، وانجيل مجد الله ، وانجيل الله ، وانجيل المسيح ، وكلها اسم للانجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام .

وبعد ذكر هذه النصوص الواردة فى كتبهم المعتمدة لديهم نتساءل أى انجيل هذا الذى وردت الاشارة اليه ، هل هو أحد هذه الاناجيل التى تنسب لمؤلفيها ، أم هى اشارة الى انجيل آخر غيرها ؟ .

الحق أن هذه العبارات تشير الى انجيل المسيح الذى أنزله الله عليه كتاب هداية ونور ، ولكن النصارى تركوا هذا الانجيل واهملوه ، مما أدى الى فقدانه ، ثم قام الناس فاتبعوا أناجيل ورسائل تنسب الى التلاميذ وتلاميذ التلاميذ ، ومن جاء بعدهم ، وقد كثر عددها ، منها الصحيح وغير الصحيح ، وفيها الغث والسمين ، وأما انجيل المسيح فقد فقد وضاع ولم يبق له أثر الا بعض الكلمات التى توجد فى الأناجيل المتداولة الآن بين النصارى .

التحريف :-

أشار القرآن الى ما لحق الكتب السابقة من تحريف وتبديل وتغيير قال تعالى :

(ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (١)) .

---

(١) سورة المائدة آية ١٤ .

فالآيه تشير الى أن الله تعالى أخذ العهد على الذين سموا أنفسهم نصارى من أهل الكتاب وهم الذين اتبعوا المسيح حسب زعمهم ، فنقضوا العهد ، ونسوا نصيبا مما ذكرهم به المسيح كما فعل من سبقهم من اليهود بالتوراة .

والسبب فى هذا النسيان هو أن كتاب عيسى لم يدون ، ذلك الكتاب الذى احتوى على المواعظ والعبادات والتوحيد لله سبحانه وتمجيده وقد كان أتباع الديانة المسيحية من العوام ، وهم من الصيادين الذين دعاهم عيسى اليه فاستجابوا لدعوته ، ثم كانت المحن التى حلت بالمسيحية منذ عهد المسيح على يد حكام الرومان (١) .

من ذلك ماكان فى عهد طيباروس الذى عاصر المسيح ، وبعد رفع المسيح زاد الاضطهاد والتعذيب بالبشع للتلاميذ ، وكان أشد مانزل بهم فى عهد (نيرون) سنة ٦٤م ، الذى وضعهم فى جلود الحيوانات وطرحهم للكلاب لتنهشهم ، وكان يلبسهم ثيابا مطلية بالقار ، ويجعلهم مشاعل تضىء ، ثم كان عهد (تراجان) سنة ١٠٦ الذى كان يعذبهم حتى يكفروا بالمسيح ، وفى عهد (غيبوس) كان يحضرهم أمام الأصنام ، ويطلب منهم تقديم القرابين لها فمن يرفض يذبح مكان قربانه . وفى عهد (دقلديانوس) هدم كنائسهم وأحرق كتبهم وقتل منهم أعدادا كبيرة ، وظل الاضطهاد الرومانى واليهودى نازلا بالمسيحية وأهلها حتى جاء قسطنطين فى أوائل القرن الرابع الميلادى فكان عصره عصر خير وبركة على المسيحية (٢) .

---

(١) المسيح فى القرآن / عبد الكريم الخطيب ص٨٥ ومع المسيح فى الاناجيل الاربعه فتحى عثمان ص١١١ - ١١٢ .

(٢) محاضرات فى النصرانية / محمد أبوزهره ص٢٧ ط/٣/١٣٨٥ مطبعة يوسف المسيحية / أحمد شلبى / ص٧١ ومابعدها .
الاضطهاد الدينى فى المسيحيه والاسلام ص٣٥ ومابعدها .

ان وقوع الاضطهادات على المسيحية ، ومطاردة دعاتها وانزال أقسى العقوبات بهم ، وعدم وجود سلطة مسيحية تدافع عنهم وتناصرهم كما أنه ليس لهم جماعة تحافظ على تراثهم وتدونه .

كل ذلك أدى الى دخول التحريف الى الانجيل ، ودخول تعاليم باطلة تخالف تعاليمه الصحيحة .

لذلك تعددت الاناجيل وكثر مؤلفوها حتى نجد لكل طائفه انجيلا خاصا بها .

وهناك آيات كثيره فى كتاب الله تعالى أشارت الى التحريف علما بأن نصوص القرآن لم تنص على أن هذه الكتب التى فى أيدى أهل الكتاب هى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، وفى هذه العهود هى الكتب التى أنزلها الله على رسله بل على العكس من ذلك نجد أن القرآن يحكم عليها حكما قاطعا بأن التحريف قد دخلها ، وأن القوم قد نسوا قسما منها ، وبقى قسم لم يلحقه التحريف ، واخفوا قسما آخر ، ولكن الله تعالى أنزل القرآن رحمة ، فما وافق القرآن من هذه الكتب قبلناه ، وما خالفه رفضناه لأنه هو الاصل الجامع للكتب السماويه السابقه .

وقد دخل التحريف فى هذه الاناجيل منذ القرن الأول ، وهناك شواهد وأدله على أن التحريف بدأ مبكرا ، من ذلك ماجاء فى رسالة بولس لأهل غلاطية ، حيث أشار الى وجود جماعة تعمل على تحريف الانجيل يقول :

(انى أتعجب أنكم تنتقلون سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح)(١) .

فهذه الشهادة من بولس تشير الى وجود أيد خبيثة كانت تعمل فى الخفاء منذ القرن الأول المسيحى ، ويعملون على دعوة المسيحيين الى انجيل غيره بالتحويل أى التحريف - كما فى الترجمه القديمه .

وفى ترجمة (الجزويت)(٢) قلبوا يدل يحولوا ، وهى أبلغ بالتحريف والتبديل(٣) .

وجاء أيضا فى رسالته بولس الى أهل كورنثوس عن الذين يحرفون انجيل المسيح بأنهم رسل كذبه يقول (ان مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح)(٤) .

وجاء أيضا فى سفر الأعمال مايوضح هذه المسأله ويؤيدها ، وهو أن بعض اليهود ينبثون بين المسيحيين ، ويعلمونهم غير مايعلمهم رسل المسيح ، وقد قام كبار رجال المسيحية بارسال برنابا الى انطاكية لتحذير أهلها من هؤلاء الكذابين وهناك تفرق بولس عن برنابا بعد خلاف حصل بينهما(٥) .

---

(١) رسالة بولس الى أهل غلاطية ١/٦ .

(٢) الجزويت : من الفرق المسيحيه أسسها القسيس الفرنسى (انياس لا يولا) ١٥٤٠ ، وكان غرضه من انشاء هذه الجمعيه تحقيق مايلى :-
١ - هداية الكافرين الى المسيحية . ٢- تكوين جيش محارب لنصر البابا .
(انظر دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى ج٣/ ١٠١ - ١٠٥

(٣) تفسير المنار/ محمد رشيد رضا ج٦/ ٢٩١ .

(٤) رسالة بولس الثانيه الى أهل كورنثوس ١١/ ١٣ .

(٥) اعمال الرسل ١٥/ ٢٢ - ٢٥ و ٣٩ .

وقد اعترف كثير من العلماء بوجود مواضع محرفة بالأناجيل ، منهم نورتن الذى اعترف بوجود سبعة مواضع ملحقه بالأناجيل ؛ وليست من كلام اصحابها

أولا : الباب الأول والثانى من انجيل متى ليسا من تصنيفه ؛

ثانيا : قصة يهوذا الاسخريوطى فى الباب السابع والعشرين من انجيل متى فقرة ٣ - ١٠ كاذبة وملحقة الحاقا ؛

ثالثا : الآية ٥٢ ، ٥٣ من الاصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ملحقتان ؛

رابعا : الباب السادس عشر من الآية (٩ - ٢٠) من انجيل مرقص ملحقه وليست من تصنيفه ؛

خامسا : الباب الثانى والعشرين من انجيل لوقا فقره ٤٣ ، ٤٤ ملحقتان

سادسا : الباب الخامس من انجيل يوحنا الآية (٣ و ٤) العبارة التالية (يتوقعون تحريك الماء ، لأن ملاكا ، كان ينزل أحيانا فى البركة ، ويحرك الماء ؛ فمن نزل أولا بعد تحريك الماء ، كان يبرأ من أى مرض اعتراه) ملحقه ؛

سابعا : الباب الحادى والعشرين آيه ٢٤ - ٢٥ من انجيل يوحنا ملحقتان (٢) .

---

(١) يوحنا ٥ / ٣-٤ .

(٢) اظهار الحق رحمة الله الهندى جـ١ / ١٩٢ .

ثم بعد اثبات ما لحق الانجيل من تحريف وتغيير عن طريق الزيادة والنقصان وتقديم الشهادات على ذلك ، حيث اعترف علماء النصارى بذلك فهل يبقى للاناجيل أى قداسة دينية بعد ذلك .

ان أى كتاب سماوى لا بد له من صفات يجب أن تتوفر فيه لكى يكون مصدرا دينيا معتمدا منها :-

أولا : أن يثبت صدق الرسول الذى نسب اليه هذا الكتاب عن طريق معجزة يتحدى بها المنكرين ، وأن يعلم الناس بهذه المعجزة ، بحيث يتم تناقلها بينهم سلفا عن خلف .

ثانيا : اتصال سنده من أوله الى آخره ، وأنه كتب بواسطة نبى ، ثم نقل بالسند المتصل من غير تبديل ولا تغيير ، وأما اتباع الظن فى اسناد الكتاب الى نبى فانه لا يكفى ، ولا يستطيع أحد من علماء النصارى أثبات السند المتصل لكتابهم ولا اليهود لتوراتهم .

ثالثا : سلامة الكتاب من الأخطاء والتناقضات والاضطرابات ، فلا تتعارض تعاليمه ولا تتناقض أخباره ، بل يتم بعضها بعضا لأنه من عند الله الذى يعلم كل شئ .

رابعا : ادعاء الرسول نسبة هذا الكتاب الى الله ، وأنه أوحى به اليه وأن يقيم الأدلة والبراهين على ذلك (١).

وهذه الصفات لا تتحقق الا فى القرآن الكريم وحده ، أما توراة اليهود ، وانجيل النصارى فهما كتابان مقطوعان السند ، كما أن فيهما من الحشو والاخطاء والتناقضات والاضطرابات مايشوه صورتهما ، ولم يدع موسى وعيسى كتابة هذه الكتب الحالية ، بل من المسلم به أن التوراة دونت بعد موسى بقرون طويلة وكذلك عيسى فانه حدث ولم يدون .

ومما يقوى القول بالتحريف والتبديل فى الاناجيل ، أنها كتبت بخطوط يدويه ، قابلة للتحريف ، وذلك لانحصار هذه الكتب لدى جماعات معينه وعدم وجود الطبع والكتابات المنظمة التى تيسر انتشار الكتب .

فضلا عما أصاب المسيحيه من بلايا ومحن على يد اليهود والرومان كما تقدم ذلك حيث أننا نستطيع القول أن فترة الاضطهادات كانت كافية لتمتد أيدى المحرفين والمبدلين الى هذه الكتب فى وسط هذا الظلام السحيق واخراجه بالصورة التى تتفق مع أهوائهم . لذلك جاءت شهادات بعض العلماء دالة على ذلك .

---

(١) اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الهندى جـ١ ص٥٦٧
محاضرات فى النصرانيه / أبوزهره ص ٧٦ ط٣ / دار الكتاب العربى .

يقول (أكهارن)[١] :-

(ان كثيرا من القدماء كانوا شاكين فى الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه وما قدروا أن يفصلوا الأمر) وكذلك بين أن هناك بعض الأشخاص ، وخاصة الذين ليس عندهم استعداد للتحقيق قد اشتغلوا بالزيادة والنقصان ، وتبديل الالفاظ ، وان التحريف والتبديل كان عادة عند الناس منذ ظهور التاريخ المسيوى ، وقد جرى ذلك فى الطبقة الثانية والثالثة كما كان فى الأولى ، وقد كانت عادة مشهورة حيث كان مخالف الدين المسيحى واقفا عليها)[٢].

وقد اعترض سلوس[٣] على المسيحيين (أنهم بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من ذلك) .

وذكر كليمنس أيضا : أن فى آخر القرن الثانى أناسا كانوا يغيرون الأناجيل وقال ان هذا التحريف وقع فى الآية الحادية عشرة من الباب الخامس من انجيل متى بدل هذه الفقره (لهم ملك السموات) وفى بعض النسخ هذه الفقره (يكون كاملين) وفى بعض النسخ هذه الفقره (يجدون موضعا لا يولمون هناك)[٤].

وقد كان أصحاب الاناجيل السابقه يلعنون من يعمل على التحريف والتبديل ، وهذا يدل على أن هذا العمل كان شائعا فى القرون الأولى .

وقد قال صاحب تحفة الاريب فى الرد على أهل الصليب وهؤلاء الذين أفسدوا دين عيسى عليه السلام ، وزادوا ونقصوا ليسوا من الحواريين الذين أثنى الله عليهم فى القرآن)[٥].

---

(١) اكهارن : محقق مشهور من علماء الجرمن اظهار الحق جـ١ / ٩٦ / ١٨١ .
(٢) اظهار الحق جـ١ / ١٩٠ .
(٣) سلوس : من علماء الوثنين فى القرن الثانى ، له كتب فى رد الملة المسيحيه ، ، وما زالت أقواله موجوده حتى اليوم وقد بين أن المسيحين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات أو أكثر من ذلك اظهار الحق جـ١ / ٣١ .
(٤) المصدر السابق جـ١ / ١٩٤ .
(٥) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون / حاجى خليفه جـ١ / ١٧٦ نقلا عن كتاب تحفة الأريب .

تاريخ الاناجيل :-

علمنا مما سبق أن عيسى عليه السلام ، كان له انجيل أنزله الله تعالى عليه ، وأن هذا الانجيل ظل روايات شفوية لمدة طويلة من الزمن يتناقل الناس فيها أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته ، والقصص الثابتة عن موته ، وقيامته ، علما بأن المسيح حدث ولم يدون انجيله ، والنصارى الأوائل آثروا السماع على القراءة ، وظل الأمر كذلك لفترة طويلة فى القرن الأول ، تقرب من خمسة وثلاثين عاما (١) .

وكانت المسيحية خلالها تنتشر فى البلاد فى آسيا الصغرى وسوريا واليونان وغيرها من البلاد ، ولما حلت الاضطهادات بالمسيحية فى عهد نيرون اجتمع شيوخ الكنيسة ، وكبار رجالها عام ٦٤م وتدارسوا الأمر بينهم ، فوجدوا أن كثيرا من رجال الكنيسة قد قتلوا وعلى رأسهم بطرس الرسول الذى صلب فى حدائق الفاتيكان ، وعند ذلك تذاكروا أقوال المسيح ، وأقوال بطرس عنه ، وعن معجزاته ففكروا فى الأمر . ونظروا الى بعض رجالاتهم ، وكان منهم يوحنا الملقب مرقص وهو زميل بطرس والذى كان هرب من اضطهاد الرومان ، وطلبوا منه أن يسجل لهم مايتذكره من أقوال المسيح وتعاليمه (٢) . فقام مرقص بالأمر وجمع بشارة بذلك ، فهى تعتبر أقدم بشارة عن حياة المسيح يقول ول ديورانت (ويتفق الناقدون الثقات بوجه عام على أسبقية انجيل مرقص فى الزمن عن سائر الأناجيل وتحديد تاريخه بين عامى ٦٥ - ٧٠ ميلادية ويبدو أن انجيل مرقص كان منتشرا أثناء حياة الرعيل الاول من أتباعهم ومريديهم (٣) .

---

(١) مع المسيح فى الاناجيل الاربعة / فتحى عثمان ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٣) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد الثالث جـ١١ / ٢٠٨ .

ونؤيد هذا القول لما يلى :-

أولا : القصة المتقدمة لتأليف الانجيل .

ثانيا : اشتمال انجيل متى على كثير من النصوص التى اشتمل عليها انجيل مرقص وهذا يرجح أنه اقتبسها من مرقص .

ولما رأى الآخرون عمل مرقص ، دفعهم ذلك الى عمل بشارات أخرى عن حياة المسيح ومرت الايام وكثرت الأناجيل ، حتى أصبحت كل منطقه من بلاد النصارى لها انجيلها الخاص بها (١) .

وما أن أطل منتصف القرن الثانى ، حتى كان هناك عدد كبير من الأناجيل وقد ظهر فى هذه الفترة مذهب الغنوسيين (٢) أو المستنيرين الذين حاولوا دمج المسيحية بغيرها من الديانات المحيطة بها ، وقد وجد عدد من الأناجيل الخاصه بهذا المذهب منها انجيل بطرس ، وانجيل المصريين ، وانجيل بازيليدس ، وانجيل توما وقليس وانجيل جواء (٣) .

عند ذلك تنبهت المسيحية لهذا الخطر المحدق بكتبها والذى يكاد يقضى عليها فبدأت تبحث عن أصل الانجيل ، وتركت كل انجيل ليس له سند تاريخى وقصرت الأمر على الاناجيل الأربعة ومحاربة ماعداها (٤) .

---

(١) مع المسيح فى الاناجيل الاربعة / فتحى عثمان ص١١٢ ط ٢ .

(٢) الغنوصيه نسبه الى (غنوصيص) أى المعرفة ، وهى حركة فلسفية دينية نشأت فى العصر الهلينستى ، وأساسها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالايمان والاعمال الخيره وتقول بالثنائية ، وأدخلوا فى تعاليمها شيئا من السحر والشعوذة ، وقد تأثر بهذا المذهب بعض فرق اليهود ، وقد كان للغنوصية أثرها فى المسيحية فقد حملتها على تحديد العقيدة ومحاربة الهرطقة والالحاد - الموسوعة الميسرة - محمد شفيق غربال ص١٢٥٨ .

(٣) المرجع السابق والصفحة .

(٤) " " "

يذكر موريس بكاى أنه قد جاء فى مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة عام ١٩٧٢ والتى هى نتيجه عمل جماعى لأكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستات مايلى :-

(ان الاناجيل التى أصبحت رسمية فيما بعد أى : كنسية لم تعرف الا فى عصر متأخر بالرغم من أن تحريرها كان قد تم فى بداية القرن الثانى ، وقد بدأ ذكر الروايات التى تنتمى لهذه الأناجيل فى نحو منتصف القرن الثانى ولكن يكاد يكون عسيرا التقرير بما اذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع الى النصوص المكتوبة التى كانت تحت يد الكتاب ، أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهى اعتمادا على الذاكرة(١) .

وينقل عن كولمان فى كتابه العهد الجديد أن المبشرين كانوا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التى حفظت التراث الشفهى ، وأن الانجيل بقى طيلة ثلاثين أو أربعين سنة فى شكله الشفهى ، وأن التراث الشفهى ، قد نقل أساسا أقوالا وروايات منعزلة ثم قام المبشرون بنسخ هذه الروايات ، وربطها كل بحسب طريقته ، وبأسلوب أدبى ليس له أساس تاريخى ، وأن احتياجات التبشير والتعليم والأعمال الدينية هى التى دعت الجماعات الأولى الى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح(٢) .

ولم يذكر المعلقون على الترجمة المسكونية مراحل تكوين الأناجيل ، لأن هذه الاناجيل كانت تراثا شفويا نتج عن تبشير تلاميذ المسيح ومبشرين غيرهم ، ثم تجسد هذا التراث فى الاناجيل التى ألفت فى منتصف القرن الثانى ، حيث

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة / موريس بكاى ص ٧٥ - دار المعارف .

(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

استعان بها المبشرون فى كتابة بشارتهم ، تلك البشارات التى تتكيف مع مختلف الأوساط ، وتستجيب لاحتياجات الكنيسة ، وتعبر عن تأمل فى الكتاب المقدس ، وتصحيح الأخطاء وترد على الخصوم . وبهذه الطريقة جمع المبشرون ودونوا هذا التراث كل بحسب وجهة نظره (١) .

تعدد الاناجيل :-

سبقت الاشارة الى أن مرقس عندما وضع بشارته تبعه خلق كثير فى وضع بشارات مثلها ، حتى تعددت الأناجيل فى القرن الأول المسيحى .

وقد قيل إنها بلغت سبعين انجيلا ، وقيل مائة .

وذكر بعض مؤرخى الكنيسة : أن الاناجيل الكاذبة كانت خمسة وثلاثين انجيلا ومما يدل على كثرة الأناجيل فى القرون الأولى المسيحى ، مانقل عن بعض علمائهم وهو أدم كلارك (٢) حيث قال :-

(هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأقوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الانجيل ... ويوجد ذكر أكثر من سبعين انجيلا من هذه الأناجيل الكاذبة ، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ، وكان الفاضل فابرى سيوس جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها فى ثلاثة مجلدات (٣) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه / موريس بكاى ص٧٨ - دار المعارف .

(٢) آدم كلارك : من كبار علماء المسيحيين البروتستنات / عن المسيح فى القرآن عبد الكريم الخطيب ص ٧٨ .

(٣) المسيح فى القرآن / عبد الكريم الخطيب ص٧٨ نقلا عن كتاب السيف الصقيل ص ٢٤٤ .

فاذا كانت الأناجيل بهذه الكثرة ، والقرآن الكريم يشير الى وجود انجيل واحد ، أنزله الله تعالى على عبده عيسى فيه الهداية والنور ؛

فاننا نتساءل أى هذه الأناجيل هو انجيل عيسى ، علما بأن الأناجيل الأربعة المتداولة بين النصارى ثم اختيارها من بين حوالى مائة انجيل وذلك فى مجمع نيقية المعقود سنة ٣٢٥ ، وتم الغاء ماسواها فى هذا المجمع ، فاذا كان المسيح جاء بانجيل واحد فهل يستطيع النصارى أن يثبتوا أن أحد هذه الأناجيل الأربعة هو انجيل المسيح ، أو مطابق لما جاء به .

والأمر يحتمل أن يكون انجيل المسيح هو أحد الاناجيل الملغاة فى مجمع نيقية .

واذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال بهذه الاناجيل .

ومن الاناجيل التى كانت متداولة فى القرون الأولى - انجيل مرقيون وديصان ومانى ، والسبعين ، وبرنابا والتذكرة . . . الخ (١) .

أما الأناجيل الأربعة الكنسية التى أقرت فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ فلم يكن لها ذكر قبل آخر القرن الثانى حيث ورد ذكرها على لسان (أرينوس) فى سنة ٢٠٩ . ثم أظهرها كليمنس اسكندر يانوس سنة ٢١٦ ثم قررت بعد ذلك من قبل الكنيسة وأجبر الناس عليها ، وأتلف ماسواها (٢) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية الشيخ محمد أبوزهرة ص ٣٩ ط ٣ / ١٣٨١ - دار الكتاب العربى - مصر .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ .

والحقيقة أن هذه الاناجيل لم يكن معترفا بها قبل اقرار الكنيسة لها في القرن الرابع يحدثنا الكاتب المسيحي الذي أسلم عبد الأحد داود فيقول (ان هذه السبعة والعشرين سفرا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها ، بصورة رسمية ، الا في القرن الرابع باقرار مجمع نيقيه العام وحكمه سنة ٣٢٥ م. لذلك لم تكن احدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة ، وجميع العالم العيسوى ، قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض مايزيد على ألفي مبعوث روحاني ، ومعهم عشرات الأناجيل ، ومئات الرسائل الى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تم انتخاب الاناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين أنجيلا ، وتم انتخاب الرسائل الاحدى والعشرين ، من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح)[١] .

أن كثرة الأناجيل والرسائل التي أحضرت الى مجمع نيقية تدل على التحريف الذي أصاب كتاب النصارى فبعد أن كان كتابا واحدا أصبح كتبا متعددة وقد أشار اكهارن الى أنه كان في ابتداء الملة المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح ، يجوز أن يقال انها الانجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الأنجيل كان سوّى للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب[٢] .

فأين هذا الأصل الذي أشار اليه أكهارن .

---

(١) المسيحية/أحمد شلبي ص٢٠٥ ط٥/١٩٧٧ مكتبة النهضة المصرية .
(٢) اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الهندي ج١/١٨٨ .
محاضرات في النصرانيه / محمد أبوزهره ص٥٥ ط٣/١٣٨٥ .

الحقيقة التي لا شك فيها أن كتبة الأناجيل جعلوا الانجيل الواحد أناجيل متعددة ، وحرفوها وغيروا منها وكذبوا فيها ، والذى جاء به عيسى انجيل واحد لا اختلاف فيه ولا تضارب بين الفاظه ، فهؤلاء كذبوا على الله سبحانه وتعالى وعلى نبيه عيسى عليه السلام.(١)

وبناء على ذلك فان هذه الأناجيل مقطوعة السند ، لا تتصل بصاحب الرسالة الذى أنزل عليه هذا الكتاب ، وكذلك فانه مختلف فى أصحابها ، وفى تاريخ تدوينها ، ولمن دونت وسنرى بالبحث العلمى مادخل هذه الأناجيل من تحريف وتبديل على يد كاتبيها .

وعلى فرض التسليم بما يدعيه النصارى من أن هذه الأناجيل كتبت بأيدى الحواريين ، فالحواريون بشر يصيبون ويخطئون ، فهم ليسوا أنبياء معصومين ، وأخبار هذه الأناجيل ليست متواترة حتى يصح سندها ويتم وصلها ، وانما هى أخبار أحاد ، واذا لم تثبت العصمة لأصحاب الأناجيل ، ولم يثبت التواتر لنقل الاخبار فمن هنا يجوز الغلط ، والسهو على ناظيها ، ويجوز وقوع التحريف وعدم التوثيق ، وقد شهد بذلك بابياس (papias) حيث يقول : (ان متى كتب مجموعة من الجمل ، باللغة العبرية ، يعنى بعض كلمات المسيح (وقد ترجمها كل بحسب طاقته)(٣) .

---

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون / حاجى خليفه جـ١ / ١٧٦ كلمة انجيل .

(٢) بابياس : أسقف هيرا بوليس فى منتصف القرن الثانى / تفسير المنار جـ ٦ / ٢٩٣ .

(٣) تفسير المنار محمد رشيد رضا جـ٦ / ٢٩٣ .

وذكر ايريناوس[١] المتوفى سنة ٢٠٢ (أن متى كتب انجيلا باللغة العبرية أو الآرامية وذلك فى أواخر القرن الثانى ، ولكن هذه الكتابات فقدت ولم يبق لها أثر[٢]) .

---

(١) ايريناوس : من آسيا الصغرى ولد ما بين سنة ١٢٥ - ١٤٠ وقد سمع من كثير من الشيوخ الذين أخذوا مباشرة عن الرسل والحواريين ، بشر بالمسيحيه فى بلاد الغاله - له اطلاع على الفكر اليونانى - توفى سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣ .

فلسفة الفكر الدينى جـ٢ / ٢٧٢ .

(٢) المرجع السابق جـ٦ / ٢٩٣ .

نظرة فى كل انجيل من الأناجيل الأربعة - والخلافات حولة :-

الأول : انجيل مرقص :-

الخلافات حول هذا الانجيل تدور حول تدوينه ، وفى أى سنة دون ، وحول كاتبه .

أ - اللغة التى كتب بها :-

اتفق المؤلفون على أن هذا الانجيل كتب باللغة اليونانيه ، وبطلب من أهالى روميه ، وقيل كان ذلك بعد صعود المسيح بنحو ثلاثين سنة ، وهو أقدم الأناجيل بناء على ذلك ، وقد كان صاحبه ينكر ألوهية المسيح (٢) .

قال يوسف : (ان مرقص كتب انجيله باللغة اليونانية (٣)) .

---

(١) مرقص : ليس من الحواريين الاثنى عشر ، وقد جعله المسيح من التلاميذ السبعين ، وهو يهودى كان من الأوائل الذين اتبعوا المسيح ، وقد لازم خاله برنابا وبولس الرسول فى رحلتهما الى انطاكيه ، وقد بشر بالمسيحية فى بلاد كثيرة ، واتخذ مصر مقرا له ، وكان يذهب الى روما والى شمال افريقيا وقد ائتمر به الوثنيون فقتلوه بعد أن سجنوه وعذبوه فى سنة ٦٢م .

محاضرات فى النصرانية ص ٤٩ ط ٣ .

(٢) محاضرات فى النصرانية / أبوزهرة ص ٤٥ ط ٣ / دار الكتاب العربى .

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ " "

ب - تدوينـه :-

يقول هورن : ان مرقص دون انجيله سنة ٥٦ وما بعدها الى سنة ٦٥ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ .(١)

وجاء عن هورن أيضا (ان الحالات التى وصلت الينا فى باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة بتراء وغير معينة ، ولا توصلنا الى أمر معين والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبلو الذين جاءوا من بعدهم ماكتبوه تعظيما لهم وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر ، وتعـــذر تفنيدهـا بعد انقضاء المدة .(٢)

وجاء فى تفسير المنار نقلا عن صاحب كتاب مرشد الطالبين مايلـى :-

(ان انجيل مرقص كتب فى عام ٦١م).(٣)

ونحن نقول بما أن التاريخ مختلف فيه وغير محدد فان الأمـــر محتمل غير هذا التاريخ بناء على هذا الاضطراب بين أقوال مؤرخيهم.

جـ - الخلاف فى كاتب الانجيل :-

يقول ابن البطريق(٤) :-

(وفى عصرنا نارون كتب بطرس رئيس الحواريين انجيل مرقص ، عن مرقص فى مدينة رومية ، ونسبه الى مرقص)(٥) .

---

(١) اظهار الحق جـ١ / ٨٠ . (٢) نفس المصدر جـ١ / ٧٩ .
(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٦ / ٤٩٢ .
(٤) ابن البطريق / اسمه سعيد بن البطريق (٨٧٧ - ٩٤١) كان بطريركا للأسكندريه ، وكان طبيبا ومؤرخا له مختصر فى التاريخ العام سماه نظـــم الجوهر - الموسوعة العربية الميسرة اشراف محمد شفيق غربال ص٩٨٤ دار العلم .
(٥) محاضرات فى النصرانيه ص٥ ط٣ / مطبعة المدنى .

والمتأمل فى هذا القول يجد أن الأمر عجيب حيث ان بطرس وهو كبير الحواريين ، ومرقص ليس من الحواريين ، وانما هو تلميذ بطرس ، فالاستاذ يروى عن التلميذ ، فكأنه يروى مرويات نفسه وهذا كلام لا يصدقه العقل ، واذا كان بطرس كتب هذا الانجيل فما الذى منعه من نسبته الى نفسه .

كما أن صاحب كتاب مرشد الطالبين أورد كلاما بلفظ الزعم أن انجيل مرقص كتب بتدبير بطرس سنة ٦١م فهو كأنه لا يصدق هذا القول ولا يرضاه (١) ثم نجد أن بعض العلماء يقرر أن انجيل مرقص كتب بعد موت بطرس يقول أرينوس : (ان مرقص كتب انجيله بعد موت بطرس وبولس) (٢) . فالخلافات تدور حول كاتب هذا الانجيل ، وحول سنة تدوينه ، وكل هذه الثغرات تفقد هذا الانجيل قيمته العلمية وتجعله منقطع السند .

فمن هو كاتب هذا الانجيل ؟ وماهى حاله ؟ وهل هو مرقص أو بطرس ؟ واذا كان مرقص فكيف نحكم على أقواله ، بأنه وعى ما سمع من بطرس وأداه بأمانة ، ثم أى الروايتين نرجح على الأخرى علما بأن هذا الانجيل لم يذكر الا بعد القرن الثانى .

وقد صرح بابياس : أن مرقص جمع بعض أخبار المسيح وأقواله ولم تكن مرتبة (٣) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٥٠ ط ٣ / مطبعة المدنى .
(٢) المصدر نفسه ص ٤٦ " "
(٣) المصدر نفسه ص ٤٦ جـ ٣ دار الكتاب العربى / مصر .

وإذا كان هذا الانجيل قد دون فى عهد نارون ، فما حاله ؟ وما حال مدونه ؟ حيث أن المسيحية تعرضت فى عصر نارون لأبشع جرائم القتل والتعذيب ، حيث كان هذا الامبراطور يطلى المسيحيين بالقار ويجعل منهم مشاعل يستضاء بها .

وبناء على قول بابياس السابق فان هذا الانجيل قد قامت بكتابته وترتيبه يد غير اليد المنسوب اليها ، وقد زادت فيه روايات كثيره ومن هذه الزيادات الباب الأخير حيث أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون فيه كما صرح بذلك جيروم (١) .

واذا كان هذا الكتاب يشك فى عباراته وفى أبوابه ، فهل يعتبر كتابا مقدسا بعد تطرق الشك اليه ، وانقطاع سند رواياته .

---

(١) مجلة المنار / محمد رشيد رضا - جـ ٤ / مجلد ١٦ ص ٢٨٢ وكتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثه / موريس بكاى ص ٨٦ . واظهار الحق جـ ١ / ٧٦ .

الثانى : متى (١) :-

يعتبر هذا الانجيل امتدادا للعهد القديم لأن صاحبه يستشهد كثيرا بفقرات من العهد القديم .

يقول تريكو :

(تحت يوناثيه الثوب ، يكمن الكتاب يهوديا لحما وعظما وروحا ، هو يحمل آثار اليهودية ، ويتسم بسماتها المميزة (٢)) .

دارت الخلافات حول :-

أ - اللغة التى كتب بها هذا الانجيل :-

ذهب جمهور المسيحين الى أن هذا الانجيل كتبه مؤلفه بالعبرية أو السريانية واتفقوا على أن أول نسخة عرفت منه كانت مكتوبة باللغة اليونانية ولم يعرف من الذى عمل على ترجمتها .

وهنا يبدو التساؤل : أين النسخة الأصلية لهذا الانجيل ؟ .

ومن الذى ترجمه الى اللغة اليونانية ؟ وما حاله ؟ .

---

(١) متى : هو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، كان جابيا للضرائب فى عهد الرومان ثم دعاه المسيح فاتبعه ولازمه ، وبعد رفع المسيح ذهب فى البلاد للتبشير بدعوة المسيح ، مات سنة ٧٠م ببلاد الحبشة على أثر ضرب مبرح لقيه على يد أعوان ملك الحبشه وقيل سنة ٧٩ .

(محاضرات فى النصرانية ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثه ص ٨٠ موريس بوكاى .

أقول : ان الجهل بالمترجم موضوع خطير جدا على العقيدة ، لأنه يحتمل أن يكون ذلك المترجم من أعداء المسيحية ، ويكون قد دس فيه من العقائد ماهو خلاف دين المسيح عليه السلام ، خاصة وأنه كان هناك أعداء كثيرون للمسيحية من الطوائف المختلفة من وثنيين ويهود ، أو من أتباع الديانات المنحرفة الأخرى . وقد وجدت فى هذا الانجيل روايات تدل على أنها من دس اليهود ، لأنها من الروايات التى كانت شائعة عندهم مثال ذلك ماجاء فى الباب السابع والعشرين من انجيل متى . (الارض تزلزلت وتشققت الصخور ، وتفتحت القبور ، وكثير من أجساد القديسين الراقدين قاموا وخرجوا من قبورهم بعد قيامته ودخلوا الى المدينة المقدسه وظهروا لكثيرين)(١) .

يقول نورتن معلقا على هذه العبارة (ان هذه الفقره مناقضة لقول بولس بأن عيسى أول القائمين ، وباكورة الراقدين . . . ثم قال معقبا . . . هذه الرواية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة فى اليهود بعد ماصارت أورشليم خرابا فلعل أحدا كتب فى حاشية النسخة العبرانية لانجيل متى هذه الجمله ، وأدخلها الكتاب فى المتن ، وهذا المتن وقع فى يد المترجم فترجمها على حسبه)(٢) .

فهذا قول مسيحى منصف يشهد أن الحكاية المتقدمة وأمثالها من الحكايات التى راجت فى المجتمع اليهودى وليست من وضع المسيح .

---

(١) متى ٢٧ / ٥١ - ٥٢ .

(٢) اظهار الحق جـ ١ / ١٥٢ .

وقال جيروم : ان متى كتب الانجيل باللسان العبرى فى أرض يهودية للمؤمنين من اليهود (١) .

ب- تاريخ تدوينه :-

ثار الخلاف حول العام الذى دون فيه هذا الانجيل على أقوال عدة نورد منها مايلى :-

١ - ابن البطريق :-

يرى أن هذا الانجيل دون فى عهد (قلوديوس) قيصر الروماني من غيرتعيين لعام التدوين ، وأن الذى ترجمه من العبرية الى اليونانية هو يوحنا ، فى عصر (قلوديوس) كتب متاوس (متى) انجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ، وفسره من العبرانية الى اليونانية يوحنا ، صاحب الانجيل) .

ومن المعلوم أن قلوديوس الذى أشار اليه ابن البطريق لم يعاصر المسيح وانما الذى عاصر المسيح هو طيباريوس ثم جاء من بعده غابيوس ثم تلاه قلوديوس ، الذى تم تدوين الانجيل فى زمنه ، وقد ملك أربع عشرة سنة ، ولم يتم تعيين التدوين هل كان فى أول حكمه أو فى آخره والأمر محتمل (٢) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٤١ ط ٣ / مطبعة المدنى .

(٢) محاضرات فى النصرانية أبوزهرة ص ٤٢ ط٣ / دار الكتاب العربى .

٢ - جرجس زوين : حدد سنة التدوين بأنها سنة ٣٩ .

وقد بين أن متى كتبه لليهود الذى آمنوا بالمسيح أو اجابة لأمر الرسل وقد كتبه بالعبرانية ، وليس باليونانية ، وقد وجد هذا الانجيل بالهند مكتوبا بالعبرانية ، وأحضر الى الاسكندرية على يد بانثيوس الذى كان يبشر هناك ، وبقى محفوظا فى مكتبة قيصرية التى أيامه ثم فقدت هذه النسخه وظهرت ترجمتها باليونانيه (١) .

ونلاحظ من كلام جرجس زوين تحديد سنة التدوين دون تعيين المترجم لهذا الانجيل الذى كان مكتوبا بالعبرانية أصلا . ولم توجد منه الا النسخة اليونانيه .

٣ - وذهب بوست (٢) : الى أن متى كتب انجيله قبل خراب أورشليم ، وكانت لغة تدوينه باليونانية فقد جاء عنه قوله (واختلف القول بخصوص لغة هذا الانجيل هل هى العبرانية ؟ أو السريانية ، التى كانت لغة فلسطين فى تلك الايام . ولكن بوست رجح أن هذا الانجيل دون باليونانية (٣) .

والذى يظهر أن هذا الانجيل دون باللغة العبرية ، لأن صاحبه كتبه لليهود الذين آمنوا بالمسيح .

---

(١) المصدر السابق والصفحة.

(٢) بوست : (١٨٣٨ - ١٩٠٩) ولد فى نيويورك ودرس الطب ثم اللاهوت ، وقدم لبنان سنة ١٨٦٣ فاتقن العربية على علمائها ثم عاد الى نيويورك ، ولما انشئت الجامعه الامريكيه ببيروت عين فيها استاذا لعلم النبات والجراحة والمواد الطبيه وتوفى ببيروت من مؤلفاته فهرس الكتاب المقدس ومعجم الكتاب المقدس - انظر المستشرقون / نجيب العقيقى جـ٣ / ٩٩٤ ط ٥ .

(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٦ / ٢٩٣ .

وذهب بعض علماء النصارى الأقدمين الى أن متى لم يكتب هـذا الانجيل وانما كتب بعض أقوال المسيح باللغة العبرانية . واستدلوا على ذلك بشهادة بابياس التي نقلها عنه أوسبيوس (١) المتوفى سنة ٣٤٠م .

قال : (ان متى كتب مجموعة من الجمل باللغة العبرانية ، وقد ترجمها كل بحسب طاقته (٢)) .

نقل الشيخ رشيد رضا عن صاحب ذخيرة الالباب : -

أن متى دون انجيله سنة ٤١م وأن لغة التدوين هي اللغة المتعارفة بين الشعب الفلسطيني ، وهي اما العبرية أو السيروكلدانية ثم ترجم الى اليونانية ثم بعد ذلك لعبت به أيدي النساخ الأيونين ومسخته بحيث أضحى ذلك الأصل عاملا بل فقيدا وذلك منذ القرن الحادي عشر (٣)) .

وذكر الشيخ محمد أبو زهره عن صاحب كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين : (أن متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب انجيله قبل مرقص ولوقا ويوحنا ، ومرقص ولوقا كتبا انجيليهما قبل خراب أورشليم ، ولكن لا يمكن الجزم في أية سنة كتب كل منهم انجيله لأنه ليس عندنا نص إلهي على ذلك (٤)) .

ونقل أيضا عن بوست : بأن هذا الانجيل لا بد أن يكون قد كتب قبل خراب أورشليم ، ويظن البعض أن انجيلنا الحالي كتب ما بين سنة ٦٠ و ٦٥م (٥) .

---

(١) أوسبيوس : (٢٦٣-٣٣٩) مؤرخ يوناني ، ولد بفلسطين واختير اسقفا لقيصريه سنة ٣١٤ كتب التاريخ الكنسي في ١٠ كتب - الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٦٥ .

(٢) تفسير المنار جـ٦ / ٢٩٣ . (٣) المرجع السابق جـ٦ / ٢٩٣ .

(٤) محاضرات في النصرانيه / أبوزهره ص٤٧ ط٣ / ١٣٨٥ مطبعة المدني بتصرف .

(٥) المرجع السابق والصفحه .

مما تقدم يتضح لنا مايلي بالنسبة لانجيل متى :-

أ - اختلاف في اللغة التي دون فيها . هل هي العبرانيه أو اليونانيه .

ب - اختلاف في البلد التي كتب بها هل هي سوريا أو انطاكيه أو فيلقيا .

جـ - اختلاف في تاريخ التدوين .

د - الجهل بمترجم هذا الانجيل ؛ من العبرية الى اليونانيّه .

واذا كانت هذه كلها حلقات مجهولة أمام البحث العلمي في حقيقة هذا الانجيل ، فهو من الناحية العلميه منقطع السند ، لأنه فقد حلقات الاتصال العلمي ، ومن ثم لا يصلح أن يكون أصلا دينيا يعتمد عليه .

وحتى اذا تساهلنا في معرفة تاريخ التدوين ، وتاريخ الترجمه نهل يستطيع باحث علمي أن يتساهل في معرفة حال المترجم حيث أن الجهل بالمترجم موضوع خطير جدا على العقيدة كما تقدم . ولا بد من معرفة حاله من ناحية فقههه باللغتين المترجم منها والمترجم اليها ، ومعرفة آدابها ، وهل عنده المقدرة على فهم معاني العبارات ومقاصدها سواء كانت هذه العبارات تبين بظاهر القول أو باشاراته ....

الثالث : انجيل لوقا[1] :-

الخلافات التى أثيرت حول هذا الانجيل :-

أولا : الخلاف فى شخصية المؤلف :-

هل هوأنطاكى أو رومانى ؟ وهل هو طبيب أو مصور ؟ .

وقد استدل القس ابراهيم سعيد على أن لوقا طبيب بسموا عبارات انجيله فيقول :-

(وكان لوقا طبيبا وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة لأنها تلقى على حياة لوقا نورا ساطعا ، فترينا اياه الرجل العلمى المعلم ، المدقق المحقق الرقيق الأسلوب ، الجميل الديباجة ، لأن الرومان لم يسمحوا فى وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب الا لمن جاز امتحانات عدة ، على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة واستدل أيضا على كونه طبيبا بأنه سرد فى انجيله ولادة المسيح من غير أب سردا طبيعيا هادئا من غيرأن يقيم الأدله على جواز ذلك ، وهذا يدل على أنه ليس ضد العلم ، وكان فوق متناول العالم ، وليس ضد الطبيعة ، وأنه فوق مجرى الطبيعة)[2] .

---

(١) لوقا : ليس من الحواريين ولا من التلاميذ ، ولد فى انطاكية ، ودرس الطب ، وقيل إنه مصور وليس طبيبا ، وقيل هو رومانى وليس انطاكيا ، وهو من تلاميذ بولس ورفقائه وقد جاء فى رسائل بولس مايشير الى ذلك (لوقا وحده معى) رسالة بولس الثانيه الى أهل ثيموثاوس اصحاح / ٤ محاضرات فى النصرانية ص ١٥ ط / ٣ . المدنى .

(٢) المصدر السابق ص ١٥ ط ٣ / المدنى .

وقال بوست : (أن لوقا ليس أنطاكيا ، وانما هو رومانى نشأ بايطاليا)[١] .

وجاء عن صاحب كتاب الذخيرة (أن لوقا كان من أنطاكية)[٢] .

وقال بعض الشراح : ظن أن لوقا كان أغريقيا متهود لأنه ينقل عن الترجمه السبعنية[٣] .

وقال بعضهم : انه وثنى هاد الى الحق وأرتد الى الدين القويم[٤] .

ثانيا : لمن ألف هذا الانجيل :-

يقول الدكتور القس ابراهيم سعيد :

(ان لوقا كتب انجيله لليونان ، وان متى كتب انجيله لليهود ، وان مرقس كتب انجيله للرومان ، وان يوحنا كتب انجيله للكنيسة العامة)[٥] .

---

(١) محاضرات فى النصرانية - أبوزهرة ص ٥١ ط ٣ / مطبعة المدنى .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ ط ٣ دار الكتاب العربى ، وتفسير المنار جـ٦ / ٢٩٤ .

(٣) الترجمة السبعنية : وهى ترجمة العهد القديم الى اليونانية ، حققها علماء من اليهود الهلينستيين فيما بين (٢٥٠ - ١٠٠ ق.م) سميت كذلك لانها كتبت فى ٧٢ يوما بواسطة ٧٢ مترجما .
الموسوعة الميسرة ص ٩٥٩ .

(٤) تفسير المنار جـ٦ / ٢٩٤ .

(٥) محاضرات فى النصرانية / أبو زهره ص ٤٧ ط ٣ مطبعة دار الكتاب العربى .

وقد بدأ انجيله بقوله (اذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها الينا الذين كانوا من البدء معاينين ، رأيت أيضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الذي علمت به)(١) .

وثاوفيلس هذا من عظماء الروم كما قال ابن البطريق ، وقال غيره انه مصري لا يوناني(٢) فالانجيل يكون قد كتب للمصريين لا لليونان على هذا الرأي .

وقد أشار ول ديورانت : الى أن هذا الانجيل يعزى الى العقد الأخير من القرن الأول حسب نص القديس لوقا ، وأنه رغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح والتوفيق بينها ، وأنه يهدف الى هداية الكفرة لا اليهود ، وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان من غير اليهود ، وأنه كان صديقا لبولس - مؤلف سفر أعمال الرسل ، وهو يقتبس كثيرا من كتابات مرقس . . . فاننا نجد ثلاثمائة وخمسين آية في انجيل لوقا تكاد تكون بنصها من انجيل مرقس .(٣)

ثالثا : تاريخ التدوين :-

قال بوست : ان هذا الانجيل ألف قبل خراب أورشليم ، ويرجح أنه كان في فترة القبض على بولس عام ٥٨ - ٦٠م .(٤)

---

(١) انجيل لوقا ١/١ . (٢) محاضرات في النصرانية أبوزهرة ص٥٢ د

(٣) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد ٣/٢٠٩ .

(٤) محاضرات في النصرانيه أبوزهرة ص٤٨ ط٣/ مطبعة دار الكتاب العربي .

وذهب المحقق لارون الى أن هذا الانجيل حرر بعد موت بطرس وبولس (١)

وقال هورن :-

(الف هذا الانجيل سنة ٥٣ أو ٦٣ ،أو ٦٤) (٢) .

وأورد الشيخ رشيد رضا عن صاحب كتاب الذخيره قوله :-

(ان متى ومرقص أغفلوا بعض الحوادث التي تتعلق بسيرة المسيح فقام بعض الكتبة واختلقوا ترجمة موهمة ليسوع المسيح ،وكثيرا مافاتهم فيها الرواية والتدقيق فبعث ذلك لوقا على وضع انجيله ظنا بالحق ،فكتبه باليونانية ، وجاء كلامه أصح وأفصح وأشد انسجاما من كلام باقي مؤلفي العهد الجديد ، وذهب كثير من المحققين الى أنه كتب انجيله في سنة ٥٣م وقيل بل سنة ٥١م (٣) .

ثم ان حاجة النصرانية الى سيرة مرتبة ومنظمة في سنة ٦٤م ومكتوبة بلغة واضحة مضبوطة ، وأسلوب جذاب ، يجلب العقول هي من الدوافع التي جعلت لوقا يباشر هذا العمل ، وقد استقى معلوماته عن مرقص ومتى ومصادر أخرى وقد استفاد من التلاميذ الذين التقى بهم في صحبته لبولس.

---

(١) محاضرات في النصرانية أبو زهره ص٤٨ ط٣/ مطبعة دار الكتاب العربي .

(٢) المرجع السابق ص٤٨ .

(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ ٦ / ٢٩٥ .

مما تقدم يظهر أن الخلافات حول هذا الانجيل دارت حول شخصية المؤلف وصنعته وجنسيته .

فاذا كان المؤلف مجهولا فان هذا يدل على الجهل بمؤلفه .

واذا كان المؤلف ليس حواريا ، ولا تلميذا ، فهو لم ير المسيح ولم يسمع منه وانما سمع من بولس (١) صاحب الدور الفعال فى تحريف النصرانية ، حيث أنه كان رفيقه وصاحبه .

ثم بعد ذلك لمن ألف هذا الانجيل ، هل هو لليونان أو للرومان أو للمصريين كل هذا مجهول ولا تعرف حقيقته . كما أن تاريخ تدوينه مجهول أيضا . كل هذه الثغرات تجعلنا نلحقه بسابقيه ونحكم عليه بانقطاع السند وفقدان الثقة العلمية به علما بأن هذا الانجيل لم يذكر الا فى القرن الثانى .

---

(١) بولس : ولد فى طرطوس ، وتربى فى أورشليم ، واسمه شأول ، وهو يهودى من الفريسيين وقيل انه رومانى ، كان فى بادئ أمره من ألد أعداء النصرانية وأكثرهم أذى لاصحابها ثم انتقل الى النصرانية ، وحاول الالتصاق بالتلاميذ ، ولكنهم خافوه ثم أخذه برنابا وقتل سنة ٦٦ على يد نيرون .

الأسفار المقدسة / وافى ص ٧١ .

الرابع : انجيل يوحنا [١] :

١ - المؤلف :-

اختلف فى مؤلف هذا الانجيل هل هو يوحنا الحوارى أو يوحنا غيره وقد زعم جمهور النصارى أن مؤلف هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى . وذهب فريق آخر الى أن مؤلفه يوحنا آخر غير يوحنا الحوارى .

ومما يدل على أن هذا الانجيل ليس من وضع يوحنا الحوارى مايلى :-

أولا : ظهور الانكار فى أواخر القرن الثانى حول نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى وكان بين ظهرانى المختلفين أرينوس الذى هو تلميذ پوليكارب الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى ، ولم يرد عليهم انكارهم ،ولو كان هذا الانجيل ليوحنا الحوارى لعلم بذلك پوليكارب ثم لعلم تلميذه أرينوس بذلك ، ثم قام باعلان نسبة الانجيل الى مؤلفه عند الانكار [٢].

---

(١) يوحنا : اختلف فيه هل هو يوحنا الحوارى بن زبدى الصياد الذى كان من كبار الحواريين الاثنى عشر ومن السابقين الى المسيحية ومن كبار دعاتها ،وكان مقربا من المسيح وقد نفى فى أيام الاضطهادات الأولى ثم عاد الى افسس حيث مات فيها شيخا هرما سنة ٩٤م على الأرجح ، وهل هو يوحنا آخر غير يوحنا الحوارى .
(الاسفار المقدسة / وافى ص ٦٩ .

(٢) اظهار الحق / رحمة الله الهندى جـ١ / ٧٧ طبعة المغرب .

ثانيا : انكار دائرة المعارف البريطانية نسبة هذا الانجيل الى يوحنا علما بأن هذه الدائرة يشترك فى تأليفها حوالى خمسمائة عالم وقد جاء فيها .

(أما انجيل يوحنا فانه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نعما مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة ، التى لا رابطة بينها ، وبين من نسبت اليه ، وانا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى - بالحوارى يوحنا الصياد الجليل فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لغبطهم على غير هدى)[1] .

فعلماء دائرة المعارف يعتبرون إلصاق هذا الانجيل بيوحنا الحوارى فرية باطلة ، وإن يوحنا لا صلة له بهذا الانجيل ولا علاقة وليس بين مؤلف هذا الانجيل ويوحنا الحوارى أيضا أية صلة .

---

(١) محاضرات فى النصرانية / أبو زهرة ص ٥٤ ط ٣ / المدنى نقلا عن دائرة المعارف البريطانية .

ثالثا : شهادات بعض العلماء على أن هذا الانجيل ليس من تصنيف يوحنا الحوارى .

يقول برطشيندر (١) :-

(ان هذا الانجيل كله ، وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها أحد فى ابتداء القرن الثانى (٢)) .

وقال استادلن (٣) :-

(ان كافة انجيل يوحنا من وضع طالب من طلاب مدرسة الاسكندرية ، وقد كانت هناك بعض الفرق المسيحية فى القرن الثانى تنكر نسبة هذا الانجيل الى يوحنا وكذلك جميع ما أسند اليه ومنها فرقة الوجيين - كانت فى القرن الثانى (٤) .

وقال كروتيس (٥) : -

(ان انجيل يوحنا ، كان عشرين بابا فألحقت به كنيسة افسس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا (٦)) .

فاذا كانت أبواب هذا الانجيل تضاف اليه بعد موت مؤلفه حسب قول علمائهم فكيف ينسب ذلك اليه .

---

(١) برطشنيدر : محقق مشهور - اظهار الحق جـ١ / ٧٩ .

(٢) اظهار الحق / رحمة الله الهندى جـ١ / ٧٩ .

(٣) استادلن : محقق مشهور : اظهار الحق جـ١ / ٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ج ١ / ٧٨ .

(٥) كروتيس : محقق مشهور من العلماء المتقدمين : اصهار الحق جـ١ / ٧٩ .

(٦) المصدر نفسه جـ ١ / ٧٩ .

والذى أرجحه أن هذا الانجيل هو من وضع طالب من طلاب مدرسة الاسكندرية التى تبنت القول بألوهية المسيح وداعت عن هذه الفكره . والتى تصدى لها آريوس الموحد . وأخذ على عاتقه مقاومة هذه المدرسة وقد أدت هذه الخلافات الى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ . الذى دعا اليه قسطنطين بعد أن فشل فى حل المنازعات بين الموحدين والمؤلهين .

٢ - تدوين هذا الانجيل :-

اختلف العلماء فى السنة التى دون فيها هذا الانجيل على أقوال :-

يقول بوست : (ان هذا الانجيل دون سنة ٩٥ أو ٩٨ أو ٩٦ .(١)

ويقول هورن : (دون الانجيل الرابع سنة ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٩٧ أو ٩٨ م .(٢)

وعلى هذا لا يوجد اتفاق بين العلماء بتحديد السنة التى كتب فيها هذا الانجيل، لأن بعض العلماء يرى أنه كتب سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم ويرى آخرون أنه كتب سنة ٩٨ بعد رجوع يوحنا من النفى .(٣)

والأمر يحتمل غير ذلك .

والنتيجة :-

أن هذا الانجيل مجهول المؤلف ، ومجهول تاريخ التدوين ، فاذا كان مؤلف هذا الانجيل غير ثابت ،فكتابه أيضا غير ثابت ، ولا يعتبر مرجعا دينيا لأن رواية المجهول لا تقبل وهى مردوده عند جميع العلماء .

---

(١) اظهار الحق / رحمة الله الهندى جـ١ / ٨٠ ومحاضرات فى النصرانية ص ٥٢ ط ٣ .

(٢) المصدر السابق / " جـ ١ / ٨٠ ، محاضرات فى النصرانية ص ٥٢ .

(٣) محاضرات فى النصرانية / أبوزهرة ص ٥٢ ط ٣ .

ويزيد الأمر سوءا جهالة تاريخ تأليف هذا الانجيل والظروف التى أحاطت بمؤلفه وبناء على ذلك فان هذا الانجيل يلحق بالأناجيل السابقة فهو لا يصلح أن يكون أساسا دينيا لدعوة من الدعوات وليس هناك أى مانع يمنع من تزويره وتبديله وتحريفه .

علما بأن هذا الانجيل هو أخطر الأناجيل الأربعة لأنه ألف لاثبات فكرة ألوهية المسيح تلك الفكره التى لم تخرج الى حيز الوجود الا فى نهاية القرن الأول ، مما يدل على أن هذه الفكرة لم تكن موجودة عند المسيحيين قبل ذلك ، لذلك لم يتعرض لها أصحاب الأناجيل السابقه (متى ومرقس ولوقا) اذ لو كانت معلومة لديهم لأثبتوها .

يقول يوسف الدبس الخورى (١) :-

(ان يوحنا صنف انجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا ، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه اثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم (٢)) .

---

(١) يوسف الدبس الخورى : (١٨٣٣ - ١٩٠٧) مطران بيروت على الموارنة ، أسس مدرسة الحكمة سنة ١٨٧٥ وشيد كتدرائية القديس جرجس فى بيروت من مؤلفاته تاريخ سوريا - المنجد ص ١٩٠ .

(٢) المسيحية / أحمد شلبى ص ٢٠٧ نقلا عن كتاب تحفة الجيل .

وذكر أكليمنضوس[1] الاسكندرى المسيحى عن أنجيل يوحنا فقال :

(أن يوحنا كتب انجيله بعد كتاب الأناجيل الأخرى لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدون عن ترجمة المسيح الا الأمور الحسية فتلبية لدعوة بطانته وبعد استلهام روح القدس عقد العزم على كتابة انجيل روحى)[2] .

النتيجة :-

مما تقدم نعلم أن الانجيل الذى أنزل على عيسى شيئا آخر غير تلك الأناجيل الأربعة فان كل انجيل منها نسب الى صاحبه ومؤلفه وأن هناك نصوصا صريحة وردت فيها تشير الى وجود انجيل للمسيح . وقد تقدم ذكر هذه النصوص . وبعد هذه المقدمات التى سبقت نقول :-

أولا : يقرر العلم فقدان أصل الديانة المسيحيه فى زمن الاضطرابات المسيحية . يقول رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى :-

(طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم ، فقال : ان سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة ، وتفحصنا فى كتب الاسناد فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين ، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت ان الظن فى هذا الباب لا يغنى شيئا .... الخ)[3] .

---

(١) ولد فى أثينا سنة ١٥٠م من عائلة وثنية وقد دخل الى المسيحية نتيجة بحثه ومطالعته بها ، قام برحلات علمية كثيره يبحث فيها عن العلماء المسيحيين المشهورين - اشتغل فى التدريس - ولما حصل الاضطهاد فى عهد الامبراطور سفيروس سنة ٢٠٢ ترك التدريس وانعزل فى آسيا الصغرى ماتسنة ٢١١ أو ٢١٦ فلسفة الفكر الدينى جـ٢/ ٣٥٧ .

(٢) المسيحية أحمد شلبى ص ٢٠٧ .

(٣) اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الهندى جـ١/ ٥٧ .

ثانيا : يقرر العلم أن كتب المسيحية لم تظهر فى عهد المسيح ولا فى عهد الحواريين وانما ظهرت سنة ٢٠٠ وذلك بعد رفع المسيح بنحو (١٧٥) عاما حيث أن رفع المسيح كان سنة ٣٤ م.

ثالثا : ان الاناجيل الاربعة المعتمده عندهم ، لم تعرض على المسيح حتى يقرها ولا على الحواريين ، وليس لدى المسيحية أى دليل يثبت أن هذه الكتب عرضت على الأصل الذى هو انجيل المسيح أو قورنت به.

وانما عرضت هذه الاناجيل على مجمع نيقيه المنعقد سنة ٣٢٥ والذى جعل من نفسه حكومة سماوية تشرع العقائد والشرائع فأقرت هذه الأناجيل ، وأمرت بتحريق كافة الكتب التى تخالف رأى رجال هذا المجمع القائلين بألوهية المسيح .

رابعا : ان هذه الاناجيل ليست ترجمة لكتاب واحد ، وانما هى من وضع اشخاص متعددين ، حيث أنها لو كانت ترجمة لكتاب واحد لاتفقت فى محتواها ومضمونها ولو اختلفت عباراتها وألفاظها وعند ذاك يمكن التغاضى عن ذلك ، ونقول بأن خلاف الالفاظ جاء من اختلاف المترجمين .

خامسا : هذه الكتب دونت فى عهد الاضطهاد والتجسس الرومانى ، ذلك العهد الذى لاقى فيه علماء المسيحية العذاب على يد حكام الرومان كأمثال نيرون سنة ٦٤ وتراجان سنة ١٠٦ وديسيوس سنة ٢٤٩ - ٢٥١ ... الخ (١) .

وظل الأمر كذلك حتى دخل قسطنطين فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، فكان عصره بركة وخيرا على المسيحيين .

سادسا : ان هذه الاناجيل لم تكتب بالهام ، وذلك لعدم وجود دليل على هذه الدعوى ، علما بأن دعوى الالهام ليست أمرا مجمعا عليه عند المسيحيين .

وقد أنكر بعض علماء المسيحية هذه الدعوى فهناك عالم مسيحى يدعى ريس ينقل عن بعض المتقدمين من المسيحيين فيقول : (ان الناس قد تكلموا فى كون الكتب المقدسة الهامية وقالوا انه يوجد فى أفعال مؤلفى هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات (٢) علما بأن الحواريين لم يكن يرى بعضهم بعضا صاحبه وحى ولم يدعى أحد منهم أنه يوحى اليه (٣) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية / محمد أبو زهرة ص ٢٩ ط ٣ / ١٣٨٥ .

(٢) محاضرات فى النصرانية / محمد أبوزهرة ص ٩٠ ط ٣ / ١٣٨٥ مطبعة المدنى .

(٣) اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الهندى جـ ١ / ١٧٧ .

ودعوى الالهام منقوضة أيضا بأمور أهمها :-

أولا : تناقضات الأناجيل الاربعة فى الشكل والموضوع :-

أ - التناقض الشكلى :-

اختلافها فى المبدأ فأنجيل متى يبدأ بقوله :

(كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داوود ابن ابراهيم . . . الخ)(١) .

ومرقص يبدأ بقوله :-

(بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله . . . .)(٢) .

ولوقا يبدأ بقوله :-

(اذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا . . . . . الخ)(٣) .

ويوحنا يبدأ بقوله :-

(فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . . . .(٤)

وكذلك تختلف فى النهاية فنهاية كل انجيل تختلف عن الآخر .

---

(١) متى ١/١ .

(٢) مرقص ١/١ .

(٣) لوقا ١/١ .

(٤) يوحنا ١/١ .

ثانيا : اختلاف الاناجيل فى مظهرها العام :-

فعدد اصحاحات كل انجيل تختلف عن عدد اصحاحات الانجيل الآخر .

١ - مرقص عدد اصحاحاته (١٦) اصحاحا .

٢ - متى " " (٢٨) "

٣ - لوقا " " (١٤) "

٤ - يوحنا " " (٢١) "

ب - وأما التناقض الموضوعى فيظهر فى الانجيل الواحد ، وفى الأناجيل الأربعة بين بعضها البعض .

فبالنسبة للأنجيل الواحد يظهر ذلك بالنظر فى أى انجيل من هذه الاناجيل مما يدل على أن هذا الانجيل ليس الهاما ، وانما هو من وضع البشر ، ومثال ذلك ماجاء فى انجيل متى .

(يقول المسيح لبطرس " أحد الحواريين الاثنى عشر " وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ماتحله على الأرض يكون محلولا فى السموات)[1] .

---

(١) متى ١٦ / ١٨ - ٢٠ .

فهذه الفقره تشير الى أن بطرس الحوارى هو الصخرة الصلبة التى تقوم عليها المسيحية والقاعدة القوية لها ، فهى صخرة ثابته لا تنال أبواب الجحيم منها ، وان بيده مفاتيح ملكوت السموات . ثم نسير مع فقرات هذا الانجيل قليلا فنجد صورة أخرى لبطرس تناقض الأولى وتخالفها مخالفة لا يكاد يصدقها عقل الانسان حيث أن هذه الصخرة الصلبة والقاعدة القوية للمسيحية يتحول صاحبها الى صورة شيطان مريد ، بعد أن كان انسانا الهيا بيده مفاتيح ملكوت السموات يقول متى :-

(من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب الى أورشليم ، ويتألم كثيرا من شيوخ ورؤساء الكهنة ، ويقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم ،فأخذه بطرس اليه ، وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب - لا يكون هذا ....

فالتفت المسيح وقال لبطرس (اذهب عنى ياشيطان ، أنت معثرة لى لانك لا تهتم بما لله ،بل بما للناس)[١] .

وأما التناقضات بين الاناجيل الأربعة فهى كثيرة وفى مواطن متعددة[٢] . يظهر ذلك التناقض فى المسأله الواحدة فى مواطن عديده نورد بعض الامثلة على ذلك .

---

(١) متى ١٦ / ٢١ - ٢٣ .

(٢) أورد الشيخ رحمة الله بن خليل الهندى شواهد عديده على التحريفات والتناقضات والزيادات ، الواردة فى الاناجيل المقررة لدى الكنيسة فى كتابه اظهار الحق - الباب الاول - الفصل الثالث.

الاختلاف فى نسب المسيح ، والذى تفرد بذكره الأناجيل الثلاثة الاولى :- فمتى يختلف عن لوقا فى ذكر نسب المسيح ، وقد بين ذلك الاختلاف الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه اظهار الحق فقال ان الخلاف من ستة أوجه :-

الأول : متى يقرر : أن يوسف بن يعقوب .

ولوقا يقرر : أنه ابن هالـــــى .

الثانى : متى يقرر : أن عيسى من أولاد سليمان بن داوود عليهما السلام .

ولوقا يقرر : أنه من أولاد ناثان بن داوود .

الثالث : يعلم من متى أن آباء المسيح من داوود الى جلاء بابل كانوا جميعا سلاطين مشاهير .

أما لوقا : فانه يقرر عكس ذلك غير داوود وناثان .

الرابع : متى يقرر : ان شلتائيل بن يوخانيا .

ولوقا يقرر : ان شلتائيل بن نيرى .

الخامس : يعلم من متى أن اسم ابن زوربابل أبيهود .

ومن لوقا أنه ريسا ، وقد وردت أسماء بنى زوربابل فى العهد القديم - الباب الثالث السفر الأول من أخبار الأيام ، ولم يذكر فيها أبيهود ولا ريسا فهذا يدل على أنهما غلط .

السادس : متى يقرر أن من داود الى المسيح عليه السلام سته وعشرين جيلا .

ولوقا يقرر : أن من داود الى المسيح واحداً وأربعين جيلا (١) .

ونقف أمام هذه التناقضات الوارده فى انجيل متى ولوقا فى نسب المسيح فنقول ان هذا التناقض يشير الى مايلى :-

أ - يدل على أن أحد الانجيلين لم يكن الهاما ، والا لكان الاله الذى أوحى بهذه الاناجيل كاذبا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ب - عدم وجود دليل يثبت أن أحد الانجيلين صحيح والآخر باطل مما يؤدى الى وقوع الاحتمال بينهما ، وتطرق الشك اليهما ، واذا وقع الاحتمال وتطرق الشك بطل الاستدلال بهما معا .

جـ - تحمل هذه الخلافات فى طياتها احتمال أن يكون انجيل متى غير معروف للوقا ، وهذا يقتضى عدم وجود هذا الانجيل ، أو أن يكون معروفا له ولكنه لم يثق به ، ولم يصدقه علما بأن انجيل متى دون قبل انجيل لوقا بأكثر من عشرين سنه حسب اعترافهم (٢) .

---

(١) اظهارالحق / رحمة الله بن خليل الهندى جـ ١ / ٩٦ .

(٢) محاضرات فى النصرانية / أبو زهرة ص ٨٤ ط ٣ / مطبعة المدنى .

ثانيا : ماجاء في قصة المرأة التي لحقت المسيح ، وطلبت منه أن يشفي لها ابنتها المجنونه - ففي انجيل متى :

(ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيداء ، واذا امراة كنعانيه خارجة من تلك التخوم ، صرخت اليه قائلة : ارحمني ياسيد ، يا ابن داود ، ابنتي مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا)(١) .

فمتى يذكر أن هذه المرأه كنعانيه .

وننتقل الى انجيل مرقص فنجد أنه يذكر أنها امرأة أممية وفي جنسها فينقيه سورية .

(ثم قام من هناك ومضى الى تخوم صور وصيداء ، ودخل بيتا ، وهو يريد ألا يعلم به أحد ، فلم يقدر أن يختفي لأن امرأة ان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أمميه وفي جنسها فنيقية سورية)(٢) .

فالروايتان مختلفتان لأن أحدهما تجعل المرأة كنعانية والثانية تجعلها من غير اليهود فينقيه سوريه .

وهذا مما يدل على الشك في احدى الروايتين ، وليس لدينا أي دليل على صدق أحداهما ، وكذب الأخرى ، والأمر محتمل والشك متطرق اليهما ، وليست احداهما الهاما .

---

(١) متى ١٥ / ٢١ - ٢٤ .

(٢) مرقص ٧ / ٢٤ - ٢٦ .

ثالثا : وجود بعض الالفاظ التى يستحيل نسبتها الى نبى :-

ورد فى هذه الاناجيل عبارات قاسية داعية الى الفرقة ، وعدم المحبة والعصيان ، ومخالفة الوالدين ، واثارة الحرب فى الارض ، ولعن بعض الأشياء ، وهى الفاظ لا تليق نسبتها الى نبى من أنبياء الله الذين بعثهم رحمة للعباد ، مع وجود التناقض فى بعضها من هذه العبارات :-

أولا : ماجاء فى انجيل لوقا قوله عن المسيح :-

(ان كان أحد يأتى الىّ ولا يبغض أباه وأمه ، وامرأته ، وأولاده واخوته وأخواته ، حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا)(١) .

لله ما أعظم هذه الهبة على المسيح الذى ذكر الله أنه بارا بوالدته قال تعالى على لسان المسيح عليه السلام (وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا)(٢) .

وقد نقل الاستاذ عبد الكريم الخطيب تعليق صاحب السيف الصقيل على هذا بقوله (وهذا الأدب عجيب ، وليس من كلام السيد المسيح ، فانه قال موبخا اليهود هكذا (فان الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا)(٣) . فبغض الوالدين ليس من اكرامهما فكيف يعلم ببغضهما . . . حاشا جنابه الشريف ، أن يصدر عنه هذا)(٤) .

---

(١) لوقا ١٤ / ٢٥ - ٢٧ .
(٢) سورة مريم آيه ٣٢ .
(٣) متى ١٥ / ٤ .
(٤) المسيح فى القرآن / عبد الكريم الخطيب جـ٣ ٨ ط١ نقلا عن كتاب السيف الصقيل .

ثانيا : ومن هذه الألفاظ أيضا ما جاء في انجيل لوقا على لسان المسيح كلاما يدعو فيه الى التفرقه والبغض أيضاً .

(جئت لا لقى نارا على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ، ولى صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل ، أتظنون أنى جئت لاعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنين على ثلاثة ، ينقسم الاب على الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم/ والحماة على كنتها ، والكنة على حماتها)[1].

فهل يعقل أن يدعو المسيح عليه السلام الى مثل هذه الأمور التي تشيع البغض والانقسام في البيت الواحد ، مع أن المعروف في المسيحيه أنها دعوة الى المحبة والسماحة . والسلام ، كما جاء على لسان المسيح في مواطن أخرى .

أما نحن المسلمين فنعتقد بأن مثل هذه الأقوال لا يصح نسبتها لنبي من الانبياء لأنه لا يجوز منهم الا كل خير وبر ، ولا يصدر عنهم الا ما يشيع الصفاء والوئام .

وهذه الأقوال تدل على زيف مصادر المسيحيه وتحريفها وأنها ليست من عند الله .

---

(١) انجيل لوقا ١٢ / ٤٩ - ٥٠

- المبحث الثالث -

الروايات اللسانية عند اليهود والنصارى

وهى الروايات الشفوية التى وصلت اليهم بواسطة علمائهم والمنقولة جيلا بعد جيل ، ان جمهور علماء اليهود والنصارى يعتبرون الروايات اللسانيه ، كما يعتبرون كتبهم المقدسة ، حيث أنهم يهملونها بنفس المنزلة ، وأنه يجب التسليم بها فهى الاصل الثانى للايمان بعد الكتب المقدسة (١) .

ونورد بعض الأدلة على ذلك من كلام علمائهم :-

يقول آدم كلارك :-

(قانون اليهود كان منقسما على نوعين ، مكتوب ، ويقولون له التوراة ، وغير مكتوب ويقولون له الروايات اللسانية ، التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ ويدعون أن الله كان أعطى موسى كلا النوعين على جبل السطور ، فوصل الينا احداهما بواسطة الكتابة ، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن نقلوها جيلا بعد جيل .

---

(١) أنكر بعضهم هذه الروايات ولم يحتج بها من أجل تحقيق أهدافهم والوصول الى غاياتهم ونشر عقائدهم الجديدة كما فعل الصدوقيون من اليهود والبروتستانت من النصارى .

أ - والصدوقيون : نسبة الى صادوق الكاهن الاعظم فى عهد سليمان ، وبعض الباحثين ينكر هذه التسميه لأن اتباع هذه الفرقه لم يدعوا الانتساب الى كاهن ما ، ويرى بعض الباحثين أن هذه التسميه

.. / بعده

(٠٠/٠٠)

من باب التضاد ، اذ أن هؤلاء منكرون وتقوم عقيدتهم على مايلى : انكار البعث ، والآخرة وما فيها ، انكار التلمود والتوراة ، وعدم تقديسها عندهم ، وانكار الملائكة والجن ، وانكار القضاء والقدر والمسيح المنتظر .

(اليهودية / أحمد شلبى ص ٢٢٥ ط ٤ .

ب - والبروتستانت :-

هم أتباع مارتن لوثر الذى ظهر فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ومعنى البروتستانت أى المحتجين ، وتسمى كنيستهم الكنيسة الانجليكية لدعواهم أنهم انما يتبعون الانجيل دون غيره ، ويفهمونه بانفسهم دون الحاجة الى البابوات ، وينتشر هذا المذهب فى المانيا وانجلترا والدانمارك ، وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشماليه .

(المسيحية / أحمد شلبى / ص ٢٤٠ ط ٥) .

ولهذا يعتقدون أن كليهما مساويان فى المرتبة ومن جانب الله ، وواجبا التسليم ، بل يرجحون الثانى ، ويقولون إن القانون المكتوب ناقص مغلق فى كثير من المواضع ، ولا يمكن أن يكون أصل الايمان على الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانية ، وهذه الرواية واضحة ، وأكمل وتشرح القانون المكتوب وتكمله ، ولهذا يردون معانى القانون المكتوب اذا كانت مخالفه للروايات اللسانيه (١) .

وقد ورد فى كتب اليهود أقوال تشير الى أفضلية أقوال المشايخ وحبهم لها وتقديمها على التوراة ، لأن ألفاظ التوراة عندهم بعضها جيد وبعضها غير جيد بخلاف الفاظ المشايخ فانها كلها جيده فى نظرهم .

فالتوراة عندهم بمنزلة الجسد الميت ، والروايات اللسانيه بمنزلة الروح التى تحيى الجسد وتحركه ، لأن هذه الروايات يفهمون على ضوئها كلام الله الوارد فى التوراة المكتوبة . ويعتقد اليهود أن ما جاء بهذه الروايات هو من جانب الله سبحانه وتعالى ، لذلك فهم يعظمون هذه الروايات ، ويعتقدون وجوب التسليم بها ، وقد جمعت هذه الروايات فى كتاب يسمى المشنا (٢) .

---

(١) اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الهندى جـ٢ / ١٠٢ .

(٢) المشنا : كتاب مشتمل على روايات اليهود المختلفه ، وعلى شرح كتبهم المقدسة ، وهم يعتقدون فى حقه ، أن الله لما أعطى موسى التوراة ، على جبل طور سينا ، أعطاه هذه الروايات اللسانية ، ثم انتقلت هذه الروايات من موسى الى هارون الى أبناء هارون الى يوشع ثم من نبى الى نبى ثم من جيل الى جيل حتى وصلت الى شمعون وهكذا حتى وصلت الى يهوذا وهو الذى جمعها فى آخر القرن الثانى بمشقة بعد أربعين سنه فى كتاب وقد بقيت هذه الروايات لمدة (١٧٠٠) سنه روايات لسانيه ثم دونت بعد ذلك . اظهار الحق جـ٢ / ١٠٥ .

ثم قام علماء اليهود بعد ذلك وشرحوا هذا الكتاب في شرحين يسمى كل واحد منهما (الجمارا) أحدهما جمارا أورشليم ، والثاني جمارا بابل . وقد كتب الأول في القرن الثالث ، وقيل في القرن الخامس ، والثاني في القرن السادس (١) .

مما تقدم يظهر أن اليهود يعتبرون الروايات اللسانية ، كالتوراة بل انهم يفضلون هذه الروايات أكثر من التوراة ، فهي بمثابة الروح في الجسد تحييه بعد موته ، وتحركه ، وتعطيه الحيوية والنشاط واذا نظرنا الى هذه الروايات من حيث نقلها ، نجد أنها روايات آحاد فكل واحد يروى عمن قبله ، وليس فيها روايات متواتره أو مشهورة ، بل ان المتواتر والمشهور مفقود من جميع الروايات اليهودية كما أسلفنا .

ثم ان جميع هذه الروايات منقطعه الاسانيد ، فليس لها سند متصل بخلاف روايات السنة عند المسلمين فهي أعتمدت على السند المتصل اعتمادا لم يسبق لأمة من الامم مثله كما أسلفنا ذلك عند حديثنا عن السنه .

واذا كان الأمر كذلك فحكم هذه الروايات كحكم التوراة لا تصلح أن تكون أساسا دينيا .

---

(١) اظهار الحق جـ ٢ / ١٠٢ - ١٠٦ بتصرف .

وأما النصارى :

فان جمهورهم يأخذ بالروايات اللسانية ويعتمدون عليها ويعتمدون عليها في أحكامهم ، الا ماكان من البروتستانت فانهم ينكرون ذلك ، ونورد فيما يلي شهادات بعض علمائهم .

أ - يقول بوس بيس في تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٨ ذاكرا قول كليمنس (اسمعوا في حق يوحنا الحواري حكاية ليست بكاذبة بل هي صادقه محققه بقيت في الصدور محفوظة)(١) .

ب - وقال أيضا (تلاميذ المسيح مثل الحواريين الاثني عشر ، والسبعين رسولا وكثير من أناس آخرين لم يكونوا غير واثقين على الحالات المذكوره ، أي الحالات التي كتبها الانجيليون لكن كتبها منهم متى ويوحنا فقط ، وعلم من الرواية اللسانية أن تحريرهما أيضا كان لأجل الضرورة)(٢) .

جـ - وذكر رحمة الله ابن خليل الرحمن في كتابه اظهار الحق قول بوبيس (أكتب لانتفاعكم جميع الأشياء التي وصلت من المشايخ الى، وحفظتها بعد التحقيق التام ، ليثبت زيادة تحقيقها بشهادتي عليها ، لأني مارضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين لا يعلمون،

---

(١) اظهار الحق ، رحمة الله بن خليل الهندي جـ٢/١٠٧ - نقلا عن تاريخ يوس بيس .

(٢) نفس المرجع جـ٢/١٠٧ .

الا النصائح الحقة التى هى مروية من ربنا الصادق ، ومن لقيته من متهمى المشايخ سألته عن هذا أن أندراوس أو بطرس ، أو فيلبس ، أو توما ، أو يعقوب ، أو متى ، أو شخص آخر من تلاميذ ربنا أو ارسيتون ، أو القسيس يوحنا مريد ربنا ماذا قال - لأن الفائدة التى حصلتها من ألسنة الأحياء ماحصلتها من الكتب)(١) .

د - كما أورد قول جان ملتز كاتك :-

(كتب باسيليوس أن المسائل الكثيرة محفوظة فى الكنيسة يوعظ بها ، أخذت بعضها من الكتب المقدسة ، وبعضها من الروايات اللسانية ، وقوتهما فى الدين مساوية . ومن كان له وقوف ما على الشريعة المسيوية لا يعترض على هذا ...)(٢) .

وبعد النظر فى هذه الأقوال(٣) الواردة عن بعض علماء النصارى والتى تحمل فى طياتها الدلالة الواضحة على تعظيم النصارى للروايات اللسانية واعتبارها مصدرا من مصادر الايمان ، ومن مصادر الدين ، وأنها مساوية

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ / ١٠٨ نقلا عن كتاب بى ببس .

(٢) " " نفسه جـ٢ / ١١٢ .

(٣) وهناك أقوال أخرى كثيره ذكرها رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى فى كتابه اظهار الحق . تثبت بأن النصارى يعظمون الروايات اللسانيه ويعتبرونها مساوية للاناجيل .

انظر جـ٢ / ١٠٦ وما بعدها .

للأنجيل ، بل ان فيها من الفوائد مالا يوجد فى الأناجيل ، وقد ذهب باسيليوس فى قوله (الى أن المسائل المأخوذة من الكتب المقدسة والمأخوذة من الاحاديث كلتاهما متساويتان فى القوة .

وذهب كرايزاستم الى أنهما متساويتان فى الاعتبار ، وعند ثبوت شىء بالرواية اللسانية لا نطلب زائدا عليه (١) .

وقد جاء فى أناجيلهم المعتبرة لدى الكنيسة مايشير الى هذه الروايات اللسانية من ذلك ماجاء فى انجيل مرقص .

(وبدون مثل لم يكن يكلمهم ، وأما على انفراد ، فكان يفسر لتلاميذه كل شىء) (٢) .

فاذا كان المسيح يفسر لتلاميذه كل شىء فالتفسيرات التى فسرها لابد أن يكون نقل بعضها الى أهل العصور المتأخرة التى جاءت بعد المسيح .

هذه الروايات وأمثالها هى روايات آحاد وليس لها أسانيد تعتمد عليها .

---

(١) المصدر نفسه جـ٢ / ١١٤ .

(٢) مرقص ٤ / ٣٤ .

واليهود والنصارى يعتبرونها بمنزلة الكتب المقدسة بل انها أهم من الكتب المقدسه عند اليهود ، وعند النصارى هى مساوية لما هو فى الانجيل ، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك .

واما الأمر بالنسبة للسنة النبوية عند المسلمين فالأمر يختلف اختلافا تاما ، لأن السنة لقيت منذ البداية عناية فائقة على يد الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بعد أن قاموا بوضع قواعد لتنقيتها من كل مالحق بها من شوائب الدس ، الذى قامت به بعض الأيدى الخبيثة من أجل تشويه صورة الاسلام ، كما أن الأمة الاسلامية امتازت عن غيرها من الأمم السابقة بأن رواياتها نقلت بأسانيدها من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلت الينا ، وهذه الأسانيد لم تحظ بها روايات الامم الأخرى ، وتلك ميزة اختص الله بها دينه الخاتم ليكون محفوظا على مر العصور والأيام ، وقد سبق تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بالسنة النبوية .

النتائج العامه لهذا الباب :-

أولا : ان القرآن الكريم كتاب أنزله الله تعالى على نبيه بالفاظه ومعانيه وهو آخر الكتب الالهية نزولا ، وهو ناسخ لجميع الكتب قبله ، وحكمه باق الى يوم القيامة وهو أعظم الأدلة على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو أصل مستقل بنفسه لا يحتاج أصحابه الى كتاب آخر ، جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها يقرر مافيها من الحق ، ويبطل ماحرف منها ، وينسخ مانسخه الله ، وهو محفوظ من كل تغيير وتبديل من اهتدى به رشد ، ومن أعرض عنه ضل وهلك (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)(١) .

وكذلك التوراة والانجيل هما في الاصل كتابان جاء من عند الله تعالى وأنزلهما الله على رسوليه موسى وعيسى عليهما السلام لبيان الأحكام الشرعية ، والعقائد الصحيحة والتبشير بنبى الرحمة ، وأن التوراة أصل مستقل كالقرآن ، والانجيل تابع لها فقد جاء في القرآن على لسان المسيح (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) وهو في الأكثر متبع لشريعة التوراة ، ثم ان جميع هذه الكتب : هى كلام الله تعالى أوحاه الى رسله ، عن طريق الوحى ، وكلام الله هو صفته فهو قديم ، لكن نسخ التوراة والانجيل الحقيقية فقدت ، وأما النسخ الموجودة الآن فليس شئ منها يوحى ، وقد لحقها من التحريف والتبديل ماسبقت الاشارة الى بعضه .

---

(١) سورة طه آيه ١٢٣ - ١٢٤ .

ثانيا : كان ما ينزل من القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم تتم كتابته في حينه مباشرة بالاضافة الى حفظه في صدور الرجال فلم يدخله شك أو تفريط . وأما الكتب الاخرى فان التوراة لم تدون الا في القرن الأول بعد الميلاد كما أشار الى ذلك أ. موند هاكوب (١) .

وأما الأناجيل الأربعة فهى ليست أسعد حظا من التوراة حيث أنه لم يدون شئ في زمن عيسى عليه السلام وانما دونت هذه الأناجيل في زمن الاضطهادات الرومانيه واليهودية لتلاميذ المسيح وأتباعه فهذا يدل على انقطاع السند العلمى لكتب العهد الجديد والقديم مما يفقد قداستها الدينية .

ثالثا : القرآن ينسب الى الله تعالى بينما نجد كتب العهد الجديد تنسب الى مؤلفيها ، وكذلك أسفار التوراة : وهذا مما يجعلنا نجزم بأنه لا يوجد كتاب على وجه الأرض تصح نسبته الى الله غير القرآن وذلك لما سبق أن عرضناه من أسباب .

رابعا : القرآن جاء مصدقا للكتب السابقه ومهيمنا عليها ورقيبا يقر مافيها من حق ويبين ما دخلها من تحريف ، وقد تضمن خلاصة التعاليم الالهية الواردة فيها قال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (٢) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثه / موريس بكاى ص ١٨ - دار المعارف مصر .

(٢) سورة المائدة آيه ٤٨ .

وقد جاء بشريعة عالمية شاملة ، نسخت الشرائع السابقة ، وأثبتت الأحكام النهائية الخالدة التي فيها صلاح الخلق في كل زمان ومكان ، ولذلك تكفل الله بحفظه من التغيير والتبديل .

خامساً : تضمن القرآن من المبادئ السامية والأخلاق الفاضلة والأحكام العادلة مايكفي ويشفي ، بخلاف كتب اليهود والنصارى ، التي هي سجلات جامعة للعقائد الفاسدة ، والتصورات الباطلة عن الله سبحانه وتعالى ورسله عليهم السلام ، وقد حوت من التناقضات والأغلاط مايدل على قصر عقول واضعيها ، كما حوت من الالفاظ والتفصيلات والتعبيرات الركيكة مايدعو الى السأم .

سادساً : امتاز القرآن بكثرة الحفظة له بخلاف الكتب السابقة التي يكاد ينعدم حفظتها ، ولا يكاد الانسان يسمع عن أحد من علمائها أنه يحفظها لا من العوام ولا من الخواص .

ذكر الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي عن صاحب كتاب الدليلي الى طاعة الانجيل المطبوع سنة ١٩٤٨ قوله (إنني ذات يوم سألت كاهنا - من كهنة كاتلك - أن يجيبني بالصدق عن مطالعة الكتاب المقدس ، وكم مرة قرأه في مدة حياته فقال انه كان يقرأ أحيانا وربما جملة أسفار لم يقرأها ، ولكنه منذ اثنتي عشرة سنة لأجل انهماكه في خدمة الرعية لم يبق له فرصة لمطالعته)[1] .

---

(١) اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي جـ٢ / ١٢٠

سابعاً : اتصال حلقات البحث العلمي للقرآن الكريم مما يصبغ عليه القداسه الالهيه التامة ، بخلاف الكتب السابقه التى لم تتصل بأصحابها وانما دونت بعدهم بقرون طويلة .

ثامنا : اعتماد الروايات الاسلامية على الأسانيد ، كما هو الحال في السنة النبوية ، بخلاف الروايات اللسانية التى عند اليهود والنصارى فانها روايات آحاد وليس للأمم السابقة فى الاسناد نصيب .

الباب الثاني
عالمية الدعوة الإسلامية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

وفيه أربعة مباحث

الباب الثاني : عالمية الدعوة الاسلامية

الفصل الأول: وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : معنى العالمية

=========

تعريف العالمية لغة واصطلاحا :-

أ - عالمية بفتح اللام ، مصدر صناعي[1] ، ترجع الى كلمة عالم بفتح اللام من العلم بفتح فسكون .

فعله : علم من باب نصر وضرب . أو من العلم بالتحريك فعله علم من باب فرح . وكلاهما بمعنى السمة والعلامة .

جاء في التنزيل في صفة عيسى عليه السلام (وأنه لعلم للساعة)[2] بالتحريك في قراءة[3] على معنى أن ظهور عيسى ونزوله الى الأرض علامة تدل على اقتراب الساعه .

وعالم بفتح اللام في الأصل : اسم لما يعلم به ، أي اسم لآلة العلم كخاتم فانه اسم لما يختم به ، وطابع فانه اسم لما يطبع به .

---

(١) المصدر الصناعي : هو أن يزاد على اللفظ ياء مشددة وتاء تأنيث كالحرية والوطنية والانسانية والبهيمية والمدنية ، شذا العرف في فن الصرف / أحمد الحملاوي ص ٥٠ .

(٢) سورة الزخرف آية ٦١ .

(٣) تفسير النسفي جـ٤ / ١٠٩ على هامش الخازن .

فالأول اسم لآلة الختم ، والثانى اسم لآلة الطبع .

وقد غلب على مايعلم به الخالق جل شأنه ، أى على مايكون علامة وآلة دالة على الله - سبحانه وتعالى - ، ولهذا أحالنا عليه فى معرفة وحدانيته فيقول (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض)(١) .

ففيها عالم الحيوان ، وعالم النبات ، وعالم الطير ، وعالم الملائكة ، وعالم الكواكب وعالم الانس ، وعالم الجن ، وهكذا مما يكون علامة ودليلا على وحدانية الله قال ابن سيده : لا يجمع شئ على فاعل بالواو والنون غيره على أن يكون من جملة الألفاظ الملحقه بجمع المذكر السالم(٢) .

وقال الزجاج : العالم لا واحد له من لفظه ، وهو جمع أشياء مختلفه فان جعل اسما لواحد منها ، صار جمعا لأشياء متفقة وجمعه عالمون(٣) .

واختار السيد الشريف : أنه يطلق على كل جنس فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيطلق على كل جنس ، وعلى مجموعها ، الا أنه موضوع للمجموع(٤) .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٨٥ .

(٢) لسان العرب جـ١٢ / ٤٢١ ماده علم / وتاج العروس جـ٨ / ٤٠٧ وشرح ابن عقيل جـ١ / ٦٢ و ٦٣ .

(٣) لسان العرب لابن منظور جـ١٢ / ٤٢١ مادة علم تاج العروس / محمد مرتضى الزبيدى جـ٨ / ٤٠٧ .

(٤) تاج العروس جـ ٨ / ٤٠٧ .

ب - معناها في الاصطلاح :-

اختلف العلماء في المعنى المراد من كلمة (عالم) على أقوال نورد منها مايلي :-

١ - قال قتاده : العالمون جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله تعالى ولا واحد له من لفظه (١) .

٢ - وقال الزجاج :

العالم كل ماخلقه الله في الدنيا والآخرة (٢) .

٣ - وعن ابن عباس :

الجن والانس ودليله على ذلك قوله (ليكون للعالمين نذيرا (٣)) ولم يكن نذيرا للبهائم (٤) .

٤ - قال الفراء وأبو عبيد :

العالم عبارة عمن يعقل ، وهم أربعة أمم الانس والجن والملائكة والشياطين ، ولا يقال للبهائم عالم ، لأن هذا الجمع جمع لما يعقل (٥) .

وقد جمع على هذه الصيغة المختصة بالعقلاء تغليبا على غيرهم وأرجح الأقوال هو القول الأول . لأنه شامل لكل موجود ومخلوق .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي جـ١ / ١٣٨ ط٣ دار القلم.
(٢) فتح القدير للشوكاني جـ١ / ٢١ .
(٣) سورة الفرقان آية ١ .
(٤) الجامع لاحكام القرآن جـ١ / ١٣٨ .
(٥) المصدر السابق جـ١ / ١٣٨ .

ولقوله تعالى (قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين)(١) .

وقد رجح القرطبي هذا القول في تفسيره فقال والقول الأول أرجح الاقوال لأنه شامل لكل موجود ومخلوق، واستدل على ذلك بالآيه السابقه من سورة الشعراء(٢) .

كما رجحه الشوكاني في تفسيره(٣) .

ونستخلص من ذلك أن مضمون العالمية ، هو مضمون عالم ، ويسترشد من ذلك بأن لفظ العالمية ، هو مضمون لفظ العالمين ، والعالمين لفظ شامل لكل موجود سوى الله تعالى ، وبما أن المكلفين من العالمين هم الانس والجن فالدعوة الاسلامية عامة لهما كما سوف نوضحه ان شاء الله .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٣ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن جـ١ / ١٣٩ ط٣ / دار القلم .

(٣) فتح القدير للشوكاني جـ١ / ٢١ دار المعرفة .

- المبحث الثاني -

أدلة عالمية الدعوة من الكتاب والسنة والاجماع وشهج الرسول وصحابته

أولا : الآيات الدالة على عالمية الدعوة :-

وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تثبت عالمية الدعوة الاسلامية ونورد بعض هذه الآيات فيما يأتي .

أ - الآيات التي ذكر فيها لفظ العالمين :-

قال تعالى :-

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (١)).

(قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكر للعالمين (٢)).

(وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين (٣)).

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (٤))

(وما هو الا ذكر للعالمين (٥)).

(فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين (٦)).

ووجه الاستدلال بهذه الآيات : أن لفظ العالمين جمع معرف بأل وهو من صيغ العموم يدخل تحته كل ما خلق الله الا ما أخرجه دليل ، كما يتضح من المدلول اللغوي ، والمراد من لفظة العالمين التي تعني في أرجح الاقوال كل موجود سوى الله .

---

(١) سورة الانبياء آية ١٠٧
(٢) سورة الانعام آية ٩٠ .
(٣) سورة يوسف آية ١٠٤
(٤) سورة الفرقان أولها .
(٥) سورة القلم آية ٥٢ .
(٦) سورة التكوير آية ٢٦ - ٢٧ .

ب- الآيات التى ورد فيها لفظ الناس :-

(قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)[١] .

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)[٢] .

(قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكفمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل)[٣] .

(آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)[٤] .

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به)[٥] .

ووجه الاستدلال بهذه الآيات .

أن لفظ (الناس) اسم جمع لإنسان على غير لفظه ، واللام الداخله عليه للجنس[٦] وهى هنا تخلفها كل ، فهى لشمول أفراد الجنس (الاستغراق الحقيقى) .

وقيل الناس: اسم جمع لا واحد له من لفظه ،ويرادفه أناس ، جمع انسان أو إنس ،وهو حقيقة فى الآدميين ويطلق على الجن مجازا[٧] .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٥٨ .
(٢) سورة النساء آية ١٧٤ .
(٣) سورة يونس آية ١٠٨ .
(٤) سورة ابراهيم أولها .
(٥) سورة ابراهيم آية ٥٢ .
(٦) فتح القدير للشوكانى جـ١ / ٤٠ دار المعرفه بيروت.
(٧) الفتوحات الالهيه / بتوضيح تفسير الجلالين / للجمل جـ١ / ١٦ عيسى البابى الحلبى / مصر.

فمعنى الناس في الآيات (كل ناس) أي كل فرد من أفراد الناس مما يدل على عالمية الدعوة وشمولها واستغراقها لكل فرد من أفراد الناس بالمعنى الشامل للانس والجن اذ لا مخصص هنا للعموم ، والله أعلم ؟ .

جـ - الآيات التي ورد فيها لفظ كافة أو جميعا :-

قال تعالى :-

(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١) .

ووجه الاستدلال بهذه الآيه أن لفظ (كافه) اسم فاعل بمعنى عامه وهي حال من الناس ، أو من الكاف في أرسلناك وكل يدل على العموم .

وقال تعالى :-

(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)(٢) .

وكلمة جميعا تدل على العموم أيضا .

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٨ .

د - ماجاء فيه أخذ الميثاق على النبيين للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم :-

قال تعالى :-

(واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أ أقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)(١) .

قال على وابن عباس رضى الله عنهما : مابعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه)(٢) .

وقال أبو السعود فى تفسيره : (أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم . وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على أممهم)(٣) .

ووجه الاستدلال بالآية :-

أن الله أخذ الميثاق على جميع الانبياء لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه كما بين ذلك على وابن عباس فى القول المتقدم ، واذا كان هذا حال الانبياء فمن باب أولى أممهم ، وهذا يدل على

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ / ٣٧٨ طبعة دار احياة الكتب العربية / عيسى البابى الحلبى .

(٣) تفسير أبو السعود جـ٢ / ٥٣ ط بيروت .

أن الدعوة ليست مقصورة على أمة العرب وانما هى دعوة عالمية شاملة للناس جميعا على اختلاف أجناسهم وألسنتهم .

هـ - ماجاء فيه اطلاق لفظ الانذار والتبليغ :-

قال تعالى :-

(وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)(١) .

وجه الاستدلال بهذه الآيه : أن لفظ (من) من صيغ العموم فالآية نص على عموم رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى لأنذركم يا أهل مكة ، أو يامعشر العرب وجميع من بلغه من العرب أو العجم أو لأنذركم بها أيها المعاصرون لى ، وجميع من بلغه الى يوم القيامة .

وقد وردت بعض الآثار فى تفسير هذه الآيه ، منها عن ابن عباس قال : من بلغه القرآن فكأنما شافهته به) ثم قرأ هذه الآيه .(٢)

وعن محمد بن كعب القرظى أنه قال :

(من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله كان كمن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وكلمه)(٣) .

---

(١) سورة الانعام آية ١٩ .

(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٧ / ٣٤١ .

(٣) المرجع السابق والصفحه .

ثانيا : الاحاديث الدالة على عالمية الدعوة الاسلامية :-

وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الدعوة الاسلامية دعوة عالمية من يومها الاول من ذلك .

أ - أخرج البخارى بسنده قال :-

(كانت بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما محاوره فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عنه عمر مغضبا ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له/ فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجهه ، فأقبل أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال أبو الدرداء ونحن عنده . فقال رسول الله صلى اللهعليه وسلم (أما صاحبكم هذا فقد غامر . وندم عمر على ماكن منه ، فأقبل حتى سلم وجلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقص على رسول الله الخبر . قال أبو الدرداء وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعد أبو بكر يقول والله يارسول الله لأنا كنت أظلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

(هل أنتم تاركوا لى صاحبى إنى قلت يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت)[1] .

ووجه الاستدلال بهذ الحديث فى قوله (انى قلت يا أيها الناس انى رسول اللهاليكم جميعا . وقد تقدم مدلول لفظ الناس وجميعا فى الآيات السابقه وهما واضحان فى الدلالة على عموم الدعوة الاسلامية .

---

(١) فتح البارى / لابن حجر العسقلانى كتاب التفسير جـ٨ / ٣٠٢ - المطبعة السلفيه .

ب - روى الامام أحمد بسنده مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :-

(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، بعثت الى الأحمر والأسود وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته)(١) . فالرسول صلى الله عليه وسلم يصرح بأنه مبعوث الى الناس عامه بخلاف الانبياء السابقين فانهم بعثوا الى أقوامهم خاصة.

جـ - أخرج الامام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار)(٢) .

د - وقد صرح عليه الصلاة والسلام بعالمية رسالته عندما جهر بها لأول مرة فقال بعد حمد الله :

(ان الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا اله الا هو إني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، وانها لا الجنه أبدا أو النار أبدا)(٣) .

---

(١) مسند أحمد جـ٣ / ٣٠٤ طبعه ثانيه - بيروت.

(٢) مسلم كتاب الايمان جـ١ / ١٣٤ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط٢ / بيروت.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٢ / ٦١ - دار صادر - بيروت.

ثالثا : الاجماع :-

أجمع الصحابة وأئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن جميعا .

رابعا : نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده :-

١ - لما كلف عليه الصلاة والسلام بالدعوة أخذ يدعو اليها تحت ستار من الكتمان والتحفظ لمدة ثلاث سنوات كما ذكر ابن هشام ثم جاءه الأمر الالهي باعلان الدعوة والجهر بها ، ذكر ابن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى (ياصباحاه) فاجتمع الناس اليه .... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يابني عبد المطلب ، يابني فهر ، يابني كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني قالوا نعم : قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب لعنه الله : تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا ، فأنزل الله تعالى قوله (تبت يدا أبي لهب وتب) (٢) .

٢ - ثم بعد ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس في مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله ويقول لهم (يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا) (٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ / ٢٦٠ تحقيق محمد خليل هراس.
(٢) سيرة ابن كثير جـ١ / ٤٥٥ - ٤٥٦ تحقيق مصطفى عبد الواحد / دار المعرفة.
(٣) الرسول / سعيد حوى جـ١ / ١٠٨ ط ٣.

٣ - ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف بعد موت أبى طالب يدعو أهلها الى الاسلام ، ولكنهم لم يجيبوه لذلك ، وقد سفهوا به فعاملهم وسفهاءهم فرموه بالحجارة حتى دميت قدماه فعاد الى مكه(١).

٤ - أخذ عليه الصلاة والسلام يعرض دعوته على القبائل بعد رجوعه من الطائف فعرضها على قبيلة كندة ، وكلب ، وبنى حنيفه ، وبنى عامر ، فمنهم من رد ردا حسنا ومنهم من رد ردا قبيحا(٢).

٥ - وظل الأمر كذلك حتى أراد الله تعالى أن يظهر دينه ، فبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة فى الموسم يعرض دعوته على القبائل كما كان يفعل سابقا اذ لقى رهطا من الخزرج بالمدينة فعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن وكانوا فى بلادهم يسمعون من اليهود أن نبيا يبعث قد أوشك زمانه فبادروا بالاجابة والتصديق ، ثم رجعوا الى بلادهم ، وذكروا لقومهم قصة النبى عليه الصلاة والسلام ودعوهم الى الاسلام ، حتى ظهر الاسلام فى المدينة ، وتم ماتم فى العقبة الاولى من البيعة(٣) ، وارسال مصعب بن عمير

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٢ / ٣٢ - ٣٦ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ٢ / ٣٦ - ٣٨ - تعليق محمد خليل هراس.
(٣) ذكر ابن اسحاق : عن عبادة بن الصامت قال : كنا ثنى عشر من حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر .

سيرة ابن هشام جـ٢ / ٤٩ .

لتبليغ الاسلام لهم في يثرب ، وقد دخل الاسلام كل بيت من بيوتها ، ثم حصلت البيعة الثانية وتم فيها أخذ الميثاق من الخزرج على نصرة رسول الله ومؤازرته .

وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة بعد ذلك حتى أذن الله تعالى له بالخروج الى المدينة ، وهناك أقام القاعدة الصلبة للدولة الاسلامية (١) .

٦ - ارسال الرسل للقبائل لتبليغهم الاسلام ودعوتهم الى الله :-

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد - الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام في نفر من المسلمين، فأقام ستة أشهر يدعوهم الى الاسلام ، فلم يجيبوه ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان جميعا ، فكتب علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامهم ، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان ، السلام على همدان (٢) . وكذلك فعل مع بقية القبائل حيث أرسل لهم من يبلغهم أمر الله تعالى ورسالته ويدعوهم الى الاسلام .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٢ / ٤٤ وما بعدها .

(٢) زاد المعاد / لابن القيم جـ٣ / ٧٥ - تحقيق محمد حامد الفقي .

٧ - ارساله الكتب والرسائل الى الملوك والامراء :-

ثم أخذ عليه الصلاة والسلام يوسع نطاق الدعوة خارج الجزيرة العربيه فأرسل فى السنة السادسه بعد صلح الحديبيه ، الكتب والرسائل الى الملوك والامراء يدعوهم فيها الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، فبعث دحية بن خليفه الكلبى الى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، وبعث حاطب بن أبى بلتعه الى المقوقس فى مصر ، وبعث عمرو بن العاص الى جيفر وعياذ ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان ، . . الخ)(١).

وفى قصة هذه الكتب الى الملوك والرؤساء دلالات تشير الى بعضها :-

أولا : الدعوة الاسلاميه دعوة عالميه تشمل العربى والعجمى والابيض والاسود . فهى ليست خاصة بقوم دون قوم ولا بجيل دون جيل ، وانما هى دعوة انسانية شاملة ، بعيدة عن العنصريه أو القومية . لذلك نجد الرسول عليه الصلاة والسلام يخاطب ملوك الفرس والروم والحبشة ، ومصر ، وعمان وغيرهم ممن عرفوا فى زمنه عليه السلام ويدعوهم الى عبادة الله وحده ، والدخول فى الاسلام .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٤ / ١٠٢٦ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

ثانيا : تدل هذه الرسائل بأن على المسلمين في كل زمان ومكان أن يعملوا على تهيئة الأسباب والوسائل التي تعمل على نشر الدعوة بين الناس ، وأن يجهزوا الدعاة الى الله ، العارفين بلغة أقوامهم والمزودين بالعلوم الكافية ، لبيان مبادىء الاسلام وأحكامه من أجل العمل على نشر الاسلام والوصول به الى غاياته المرجوه .

ثالثا : تدل هذه النصوص على التدرج في الدعوة فالانسان يبدأ بنفسه ثم بمن حوله وهكذا يسير في الطريق حتى اذا صلح الجو ، ومهدت الطريق ، انتقل بدعوته الى خارج المحيط الذي يعيش فيه .

ويدل على ذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأنه لم يرسل الى ملوك الارض الا بعد أن استقر أمر الدعوة في الجزيرة العربية وذلك بعد صلح الحديبية وبعد تمهيد الطريق أمامها . مع قدرته على ارسال الرسل قبل هذا الوقت ولكنه لم يفعل (١) .

---

(١) انظر فقه السيرة/د . محمد سعيد رمضان البوطي / ٣٧٧ وما بعدها ط٥ / ١٣٩٢ دار الفكر - بيروت.

٨ - الجهاد وأثره فى نشر الدعوة الاسلامية :-

سبق أن ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الى الله عز وجل بشتى طرق الدعوة ، لكنه لم يجد قبولا من أهل مكه ولما تآمروا على قتله أذن الله له بالهجرة الى المدينة بعد أن كانت عمرت بالاسلام ، ولما استقر أمر المسلمين بها أذن لهم بالقتال لتأمين الدعوه وازالة العقبات من طريقها ، حتى يدخل من يريد الدخول اليها وهو مطمئن آمن قال تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير)(١) . ثم فرض عليهم قتال المشركين الذين يقاتلونهم (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين)(٢) . وينزل بعد ذلك الأمر الأخير بقتال المشركين (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)(٣) .

واثر ذلك بدأت المعارك بين المسلمين واعدائهم ففى السنة الثانية من الهجرة وقعت معركة الفرقان وتلتها معركة أحد فى السنة الثالثة ، وتوالت الغزوات ففى السنة الرابعة غزوة بنى النضير ، وغزوة ذات الرقاع وفى السنة الخامسة غزوة الخندق التى تكالب فيها أعداء الله جميعا على عاصمة الاسلام يريدون اطفاء نور الله ، وقد كان لهذه الغزوة أثر بعيد فى تقرير مصير الدعوة الاسلامية فهى محنة ابتلى الله فيها المسلمين ابتلاء لم يبتلوا بمثله (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)(٤) .

---

(١) سورة الحج آية ٣٩ .
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠ .
(٣) سورة التوبه آية ٣٦ .
(٤) سورة الاحزاب آية ١١ .

ولكن الله تعالى رد كيد الأعداء (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا)(١) .

وقد قال عليه الصلاة والسلام بعد رجوع قريش وانصراف الاحزاب عن المدينه (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم)(٢) .

وقد تحقق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تغزهم قريش بعدها حتى غزاهم المسلمون وفتحوا مكة .

ثم جاءت بعدها غزوة بني قريظه ، الذين خانوا الله والرسول ونقضوا العهود التي أعطوها للمسلمين ، وبها تم تطهير المدينة من كيد اليهود ومؤامراتهم على المسلمين .

وفي آخر السنة السادسة من الهجرة حصل صلح الحديبيه حيث كان فتحا للمسلمين وهزيمة لاعدائهم قال تعالى : (انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا)(٣) .

قال عمر رضي الله عنه (أو فتح هو يارسول الله ؟ قال نعم)(٤) .

وقد دلت الحوادث على أن صلح الحديبية كان فعلا فتحا على المسلمين ، وطريقا الى فتح مكة ونشر الدعوة خارج جزيرة العرب حيث كتب عليه الصلاة والسلام بعده لملوك العالم يدعوهم للاسلام .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢٥ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ٣ / ٢٣٣ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
(٣) سورة الفتح آية ١ - ٣ .
(٤) مسلم كتاب الجهاد والسير / صلح الحديبيه جـ٣ / ١٤١٢ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

نقل ابن هشام عن الزهرى :-

(فما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعه ، فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ولقد دخل فى ثينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر .)

ثم ذكر ابن هشام الدليل على ذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج الى الحديبيه فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

وفى السنة السابعة وقعت غزوة خيبر التى كانت أشبه بمستعمرة يهودية ، فيها حصون منيعة ، وقلاع حربية أستغلها اليهود لايذاء المسلمين ، وكانت آخر حصن من حصونهم فى جزيرة العرب ، وقد كان لهذه الغزوة أثر عظيم فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، حيث كان لها وقع عظيم فى قلوب القبائل العربية التى لم تسلم بعد وقد علق الدكتور اسرائيل ولفنسون على هذه الغزوه وأثرها فى تاريخ الدعوة الاسلاميه فقال :-

(ومما لا شك فيه أن غزوة خيبر كانت ذات شأن عظيم فى تاريخ الفتوح الاسلامية ، اذ كانت كل قبائل الحجاز تراقب نتيجتها باهتمام وتنظم شؤونها على حسب ماكان يتراءى لها من نتيجه صليل السيوف بين الانصار واليهود ،

وقد كان أعداء الرسول الكثيرون فى بادية العرب وحاضرتها يعلقون آمالا كبيرة على تلك الغزوة (١) .

ثم أقبلت السنة الثامنة للهجرة وكان فيها أحداث عظيمة أولها غزوة مؤته التى جهزت لتأديب حاكم بصرى التابع لقيصر ملك الروم ، واسمه شرحبيل بن عمرو الغسانى حيث تعدى على رسول رسول الله الحارث بن عمير الأزدى ، والذى بعثه رسول الله اليه ليبلغه دعوة الاسلام فقتله (٢) وكانت هذه طلائع نشر الدعوة الاسلاميه خارج الجزيرة العربية ، وازالة العقبات التى تعترض مسيرتها .

ثم كان دخول المسلمين البيت الحرام ، وتطهيره من أرجاس الجاهلية وأوثانها وجعله مثابة للناس وأمنا ، فبعد أن نقضت قريش العهد الذى وقع فى الحديبيه ، سار الجيش الاسلامى بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم متوجها الى مكة لتأديب قريش وكبح جماحها ، ورد ظلمها ، وقد هيأ الله أسباب النصر لنبيه فدخل مكة فاتحا وأصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عفوا شاملا حيث جمع قريشا وقال لهم ، ماترون أنى فاعل بكم؟ .

قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : فانى أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء (٣) .

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب / دكتور اسرائيل ولفنسون ص ١٦٢ .

(٢) زاد المعاد ج٢ / ٣٧٤ تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية .

(٣) المرجع السابق ج ٢ / ٣٩٤ . ،،

وطهر عليه الصلاة والسلام البيت من الأوثان ، والأصنام ، وأزال منه الصور والتماثيل وأخذ يطعنها وهو يقول (جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا ، وما يبدئ الباطل وما يعيد)(١) .

وأمر بلالا أن يصعد على الكعبة فيرفع الآذان ، ورؤساء قريش يسمعون كلمة التوحيد تملو ، وفجاج مكة ترتج بها ، لقد كان لفتح مكة في قلب الجزيرة العربيه ومركزها الروحي والسياسي أثر بالغ في تدعيم قواعد العدل ونشر مبادئ المساواة ، ورفع راية الاسلام على جزيرة العرب وازالة العوائق من طريق الدعوة ، فأقبل الناس على الاسلام ، بعد خضوع قريش إقبالا لم يعرف قبل ذلك ، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا وصدق الله اذ يقول (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)(٢) .

وقد كان لهذا الفتح أثر عظيم في نفوس القبائل (حيث كانت بعض القبائل بينها وبين قريش حلف ، وكانت ممتنعة عن الدخول في الاسلام لمكانة هذا الحلف وكانت قبائل ترهب قريشا ، وتجلها ، فلما رأتهم استسلموا للاسلام رغبوا فيه ، وزال الحاجز ، وكانت قبائل تعتبر مكه لا يفتحها ولا يدخلها ملك جبار أو من يريد لها سوءا ، ولا يزال فيها من عاصر حادثة الفيل وشاهد مافعل بأبرهة ، فيقولون اتركوه وقومة ، فانه ان ظهر عليهم فهو نبي صادق)(٣) . فلما ظهر عليه الصلاة والسلام على قريش ، ودخل مكة آمنا أقبل الناس على الاسلام وهم آمنون مقتنعون .

---

(١) المرجع السابق جـ٢ / ٣٩٤ . (٢) سورة النصر .

(٣) فتح الباري لابن حجر / باب مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة زمن الفتح جـ٨ / ٢٢ السلفية والسيرة النبويه لابي الحسن الندوي ص٢٨٩ - دار الشروق .

ثم كانت غزوة مؤتة وتبوك بابا لفتح بلاد الشام ونشر الاسلام بين أهلها النصارى ، وما أن التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وآل الأمر الى الخلفاء الراشدين من بعده ، حتى سلكوا طريق قائدهم ومعلمهم ، فوجهوا الجيوش والدعاة الى خارج الجزيرة العربية ففتحت بلاد الشام والعراق وفارس ولم يأتى القرن الثانى من الهجرة الا والمسلمون على أبواب الصين وفى الاندلس .

وهكذا ظلت جهود الدعاة المخلصين مبذولة الى يومنا هذا يحملون رسالة الله ويبلغونها للناس ، فنجد الدعوة الاسلامية تنتشر فى العالم أجمع فى آسيا وأفريقيا وأمريكا ، واستراليا ، وأوربا كلها بالرغم من الصعاب والعقبات التى يضعها اعداء الاسلام فى طريق الدعاة وبالرغم من قلة العدد والامداد فى أيد هؤلاء الدعاة ، وهذا يشير الى عالمية هذه الدعوة وخلودها .

فرية باطلة :-

ادعى بعض أعداء الاسلام بأن الاسلام استخدم السيف وسيلة لأرغام الناس على الاسلام .

وهذه دعوة باطلة لأن الاسلام انتشر بمبادئه وتعاليمه السامية ، تلك المبادىء التى تقوم على الحجة والاقناع ، والله تعالى يقول :

(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)[١] .

ولعل هذه الفكرة الخاطئة عن انتشار الاسلام بالسيف جاءت من اقتران ظهوره خارج الجزيرة العربية بظهور الدولة الاسلامية . وامتزاج تاريخ الفتوحات السياسيه والدوليه بتاريخ الفتح الدينى ، مما جعل الناس يخلطون بين دخول الناس فى الايمان وقبولهم لرسالة التوحيد وبين خضوعهم لسلطان الامة الجديدة التى كانت السابقة الى قبول الرسالة المحمدية[٢] .

وهى دعوى كاذبة ، والا فمن الذى أجبر الناس على الدخول فى الاسلام فى بداية الدعوة عندما كان المسلمون مستضعفون لا يستطيعون الدفاع حتى عن أنفسهم .

ومما يدل على بطلانها أيضا أن قادة الفتح الاسلامى كانوا يخيرون أصحاب البلاد المفتوحة من أمور ثلاث / اما قبول دعوة الاسلام ، أو دفع الجزية أو القتال لمن أبى ، فكانت الدعوة الى الاسلام تسبق القتال .

ذكر ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية أن سعد ابن أبى وقاص بعث طائفة من أصحابه الى كسرى يدعونه الى الله قبل وقعة القادسية .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) الرسالة الخالدة / عبد الرحمن عزام ص ٢٩٠ - ٢٩١ - دار الشروق ط٥ / ١٣٩٩ .

فلما دخلوا عليه وسألهم عن سبب قدومهم الى هذه البلاد بين له النعمان بن مقرن ذلك (بأن الله رحم العرب فأرسل لهم رسولا يدلهم على الخير وينهاهم عن الشر ...

ثم قال : وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين الاسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء (الجزيه) ، فان ابيتم فالمناجزة ، وان أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا باحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وان أتيتمونا بالجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم) .(١)

فالاسلام لم يخض الحرب رغبة فيه وانما خاضها للضرورة ، التى تقتضى ازالة العقبات من طريق دعوته . وقد شهد بذلك عدد من علماء الغرب المنصفين كأمثال كارلايل فى كتابه الابطال حيث يقول :-

١ - (لقد قيل كثير فى شأن نشر محمد دينه بالسيف ، ولشدما أخطأوا وجاروا فهم يقولون : ماكان الدين لينتشر لولا السيف ، ولكن ماهو الذى أوجد السيف ؟ إنه قوة ذلك الدين وانه حق ، إن الرأى الجديد أول ماينشأ يكون فى رأس رجل واحد ، فالذى يعتقده هو فرد - فرد ضد العالم أجمع فاذا تناول هذا الفرد سيفا وقام

---

(١) البداية والنهايه / لابن كثير جـ٧ / ٤١ ط١/١٩٦٦ - مكتبة المعارف مكتبة النصر .

فى وجه الدنيا فظما والله يضيع ان كان مايقوله حقا ، ان الحق ينشر نفسه بأى طريقه . . . الخ)[١].

٢ - ويقول جيمس متشنر (أعتقد الغرب أن توسع الاسلام ماكان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون الى السيف ، ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأى فالقرآن صريح فى تأييده لحرية العقيدة ، والدليل قوى على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان ، مادام أهلها يحسنون المعامله ، وقد حرص محمد على تلقين المسلمين التعاون مع أهل الكتاب ، أى اليهود والنصارى/ولا شك أن حروبا نشبت بين المسلمين وغيرهم فى بعض الاحيان ، وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات الأخرى أصروا على القتال . . . . وقد قطع الرهبان بأن أهل الكتاب كانوا يعاملون معاملة طيبة وكانوا أحرارا فى عبادتهم ، ولعل مما يقطع بصحة ذلك/ الكتاب الذى أرسله البطريرك النسطورى ايشوياب الثالث الى البطريرك سمعان زميله فى المجمع بعد الفتح الاسلامى وجاء فيه :-

(ها ان العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الارض أصبحوا عندنا/ ومع ذلك نراهم لا يعرضون للنصرانية بسوء ، فهم يساعدوننا ، ويشجعوننا على الاحتفاظ بمعتقداتنا ، وانهم ليجلّون الرهبان والقديسين ، ويعاونون بالمال الكنائس والأديرة)[٢].

---

(١) الابطال / توماس كارليل ص ٧٩ ط ٣/ ١٣٤٩ - المكتبة التجارية الكبرى .

(٢) محمد رسولا نبيا / عبد الرزاق نوفل ص ٢٠٤ ط ١/ ١٣٨٠ .

هذا ؛ وقد جاءت الآيات القرآنيه آمرة بالدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى أحسن، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)(١) .

والرسول صلى الله عليه وسلم أعطى قريشا العهود بعد أن اصبح صاحب قوة وسيادة كما فعل فى الحديبية حيث رضى بأن يجور على المسلمين ويرضى بشروط قريش ، وهذا يدل على التسامح فى الاسلام وأنه دين الحجة والاقناع .

---

(١) سورة النحل آيه ١٢٥ .

المبحث الثالث

شمول الدعوة الاسلامية للجن أيضا

ان موضوع عالمية الدعوة لم يقتصر على الانس فقط ، وانما امتد ذلك الى الجن أيضا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن ، وقد جاء فى القرآن قوله تعالى (وإنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)(١).

وقوله تعالى (وأنا لما سمعنا الهدى أمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا)(٢). وقد وصف لنا القرآن استماع الجن لرسول الله ببطن نخلة عند رجوعه من الطائف .

قال تعالى :-

(وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه ، قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا ياقومنا ان سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين)(٣).

---

(١) سورة الجن آية ١٤ - ١٥ .

(٢) سورة الجن آية ١٣ .

(٣) سورة الاحقاف آيه ٢٩ - ٣٢ .

وقد اختلف العلماء فى تكليف الرسول بدعوة الجن على قولين :

الأول : أن الرسول لم يكلف بدعوة الجن ، وانما اتفق أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان عائدا من الطائف لما بلغ بطن نخلة قام يقرأ القرآن فمر به نفر من الجن لأن إبليس بعثهم ليعرفوا السبب الذى أوجب حراسة السماء بالشهب ، فسمعوا القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا . بعد أن عرفوا الخبر .

الثانى : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بانذار الجن ودعوتهم الى الله تعالى وقراءة القرآن عليهم ، وأمرهم بانذار أقوامهم اذا رجعوا اليهم.(١) ويدل على ذلك مايلى :-

قوله تعالى (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) . فالداعى الى الله هو محمد عليه الصلاة والسلام وهذا يدل على أنه بعث الى الجن أيضا ، ويقوى هذا الرأى ماجاء فى صحيح مسلم .

(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود . . . الخ .

قال مجاهد : الاحمر والأسود الجن والانس .(٢)

وفى رواية من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (وبعثت الى الخلق كافة وختم بى النبيون) .(٢) والجن من الخلق ، ومن ذلك أيضا ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لأصحابه

---

(١) التفسير الكبير للامام محمد الرازى فخر الدين جـ٧ / ٥١٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ١٦ / ٢١٧ - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - مصر .

(انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ... الخ .(١)

وقال مقاتل : (لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله)(٢).

وقد ورد مايدل على أنهم أمروا بانذار أقوامهم اذا رجعوا اليهم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : (ان أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم)(٣)

وقد أخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه / عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (صرفت الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وكان أشراف الجن بنصيبين)(٤).

وقد جاء فى سورة الجن قوله تعالى (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن) فهذا أمر منه تعالى لنبيه أن يظهر لأصحابه ماحصل له فى ليلة الجن وهذا يفيد أنه مرسل اليهم.(٥)

وقد جاء فى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن جابر رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا ، فقال : لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله (فبأى

---

(١) التفسير الكبير للامام الرازى جـ٧ / ٥١٨ وجـ٨ / ٣١٧ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ٧ / ٥١٩ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى جـ١٦ / ٢١٣ .
(٤) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / جلال الدين السيوطى جـ٦ / ٤٤ . دار المعرفة ببيروت .
(٥) التفسير الكبير للامام الرازى جـ٨ / ٣١٨ .

آلاء ربكما تكذبان قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (١).

فالحديث يشير الى تصديق الجن بنعم الله كلها ، وأى نعمة أعظم من نعمة الدعوة التى هى هداية الناس الى الحق والهدى .

---

(١) الجامع الصحيح / لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى جـ٥ / ٧٣ - ٧٤ مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية.

المبحث الرابـــع
مواصفات العالمية في الدعوة والداعيـة

أولا : مواصفات العالمية فى الدعوة :

لكى تكون الدعوة عالمية لا بد أن تتوفر فيها مواصفات معينة هى :-

١ - أن تكون وافية بحاجات المجتمع ومتطلبات الحياة فى كل زمان ومكان.

٢ - أن تكون أنظمتها صالحة لشئون الحياة محققة لمصالح الناس.

٣ - الا تصادم نصوصها الحقائق العلميه الثابته (١).

أما عن الأمر الأول ، وهو أن تكون وافية بحاجات المجتمـــع ، ومتطلبات الحياة ، فهذا أمر له حديث مستقل فى الباب الثالث من أبواب الرساله المسمى (بالشمول) أى شمول الشريعه الاسلاميه لكل شـــئون الحياة والاحياء وسوف نفصل القول فيه بمشيئة الله تعالى :-

أما عن الأمر الثانى : وهو أن تكون أنظمتها صالحة لشئون الحياة .... محققة لمصالح الناس فيقول الاستاذ علال الفاسى عن الشق الأول ، وهو أنها صالحه لشئون الحياة (ان صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان أمر مفروغ منه ، تحدث عنه فقهاؤنا ، وبينه علماؤنا منذ العصر الأول الى الآن ، ذلك أن الله أمرنا بطاعة شريعته أمرا ليس موقوفا على زمن معـــين ولا قطر خاص ، ولكنه أمر عام لجميع الأزمنة والأمكنة ، واذن فلا محيـد

---

(١) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية / محمد الراوى ص٦٤ ط ثانيه.

لأحد من أهل الدنيا في أي عصر من طاعة الأمر الالهي ، ولا يمكن أن يكون الأمر الالهي غير صالح للزمان والمكان اللذين يطلب اتباعهما فيهما ، والا كان تكليفا بغير المصلحة وهو مايتنزه البارى عز وجل عنه (١) .

والمؤمن بكمال علم الله تعالى وحكمته وبره بخلقه لا يستطيع أن يتصور أن يغلق الله باب النبوة عن العباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقطع وحيه عنهم ، ثم يتعبدهم بشريعة قاصره تصلح لقوم ، ولا تصلح لغيرهم وتصلح لزمن ولا تصلح لآخر ، وتصلح لبلد ولا تصلح لغيره مع أنهم جميعا مكلفون باحكامها (٢) .

ان من أكبر الشهادات على خلود هذه الشريعة وصلاحيتها أن النظريات والمبادئ القانونيه التى يباهى بها العصر الحديث ، وتزهى بها فلسفات القانون وأنظمته ، قد سبقت بها الشريعه ، وأرست قواعدها ، وقام على ذلك فقهها - وقضاؤها ، وحفل بذلك تاريخها) وقد عرض الاستاذ عبد القادر عوده في مقدمة الجزء الأول من كتابه القيم (التشريع الجنائي الاسلامى) طائفة من النظريات والمبادئ الشرعيه التى لم تعرفها القوانين الوضعيه الا أخيرا أو لم تعرفها بعد ، تتوافر فيها جميعا كل المميزات الجوهرية التى تميز الشريعة عن القانون وهى الكمال ، والسمو ، والخلود أو الدوام (٣) .

---

(١) دفاع عن الشريعة / علال الفاسى / ١٦٢ ط ثانيه .

(٢) شريعة الاسلام / د . يوسف القرضاوى ١٣ ط أولى بتصرف .

(٣) المرجع السابق .

ومن هذه الأمور التي بين الاستاذ عبد القادر عوده سبق الشريعه الاسلاميه فيها لسائر الانظمةوالقوانين نظرية المساواة ، حيث بين بأن الشريعة الاسلامية من وقت نزولها جاءت بنصوص صريحة تقرر نظريـــــة المساواة ،وتفرضها فرضا ، فالقرآن يقرر ذلك على الناس جميعا في قولـه تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكرر هذا المعنى في قوله (ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء الناس من آدم ، وآدم من تراب ثم تلا الآية السابقة يا أيها الناس ....)(٢) .

وقد فرضت النصوص المساواة بصفة مطلقة ، من غير قيود ولا استثناءات فهي على الناس كافة أي على العالم كله ، فلا فضل لفرد على فرد ، ولا لجماعة على جماعه ،ولا لجنس على جنس ،ولا للون على لون ،ولا لسيد على مسود ولا لحاكم على محكوم .

فالناس خلقوا من أصل واحد ، من ذكر وأنثى ، ولا تفاضل اذا استوت الاصول ،وانما مساواة ،وقد جاءت نظرية المساواة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يعيش في قوم أساس حياتهم وقوامها التفاضل ، فهم يتفاضلون بالمال والجاه ، والشرف واللون ، ويتفاخرون بالآباء والامهات ، والقبائـل

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٢) زاد المعاد / ابن القيم الجوزية جـ٢ / ٣٩٤ تحقيق محمد حامد الفقي .

والاجناس ، فلم تكن الحياة الاجتماعيه ، وحاجة الجماعة هى الدافعة لتقرير نظرية المساواة ، وانما كان الدافع لتقريرها من وجه هو رفع مستوى الجماعه ودفعهم نحو الرقى والتقدم ، كما كان الدافع لتقريرها من وجه آخر ضرورة تكميل الشريعة بما تقتضية الشريعة الكاملة الدائمة من مبادئ ونظريات.

وقد جاءت نصوص الاسلام عامة ومرنة الى آخر درجات العموم والمرونة ، فلا يمكن مهما تغيرت ظروف الزمان والمكان والاشخاص أن تضيق عبارة النصوص بما يستجد من الظروف والتطورات ، والعلة فى ذلك أن الشريعة لا تقبل التعديل والتبديل ، فوجب أن تكون نصوصها بحيث لا تحتاج الى تعديل أو تبديل (١).

يقول الاستاذ عبد القادر عوده :

اذا كانت نظرية المساواة قد عرفت فى الشريعة الاسلامية من ثلاثة عشر قرنا فان القوانين الوضعية لم تعرفها الا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، واذن فقد سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الوضعية فى تقرير المساواة بأحد عشر قرنا ، ولم تأت القوانين الوضعية بجديد حين قررت المساواة ، وانما سارت فى أثر الشريعة واهتدت بهداها (٢).

---

(١) التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى / عبد القادر عوده جـ١ / ٢٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

ونظرية الشورى التى قال فيها :-

ولقد سبقت الشريعة الاسلاميه القوانين الوضعية فى تقرير مبدأ الشورى بأمد عشر قرنا ، حيث لم تعترف هذه القوانين بمبدأ الشورى الا بعد الثورة الفرنسية ، اللهم فيما عدا القانون الانجليزى فقد عرف مبدأ الشورى فى القرن السابع عشر ، وقانون الولايات المتحده الذى أقر المبدأ بعد منتصف القرن الثامن عشر ، أما القانون الفرنسى فقد أخذ بمبدأ الشورى فى آخر القرن الثامن عشر ، وعلى اثر ذلك انتشر مبدأ الشورى وأخذت به معظم القوانين فى القرن التاسع عشر ، فالقوانين الوضعية حين قررت مبدأ الشورى لم تأت بجديد ، وانما انتهت الى ما بدأت به الشريعة الاسلامية ، وسارت فى الطريق الذى سلكته الشريعة فى القرن السابع الميلادى (١) .

وأما عن الشق الثانى من الأمر الثانى ، وهو أن تكون الشريعة محققه لمصالح الناس فيقول ابن القيم رحمه الله : ان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) أعلام الموقعين جـ٣ / ٣ تحقيق طه عبد الرؤوف .

ويقول الشاطبى ، ان وضع الشرائع انما هو لمصالح العباد فى العاجل والآجل معا (١) . وقد بين القرآن الكريم أن الشريعة الاسلامية انما جاءت لمصالح الناس وخيرهم وذلك واضح من تعليل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم بالرحمة لكل الناس . قال سبحانه : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (٢)) .

ومما يزيد الانسان اقتناعا بروح الشريعة الاسلامية الرامية الى مصالح العباد ماقرره الرسول صلى الله عليه وسلم من درء الحدود بالشبهات (٣) دائما فى مصالح المتهم ،لتخفيف العقوبة عنه أو لرفعها نهائيا ، قال عليه الصلاة والسلام : (ان الامام أن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة (٤)) . يقول الدكتور صبحى الصالح : (لو صيغ هذا الحديث صياغة قانونية حديثة لتناول على الأقل نظريتين احداهما نظرية الظروف التخفيفية ، والأخرى نظرية الظروف الطارئة (٥)) . والامثلة على رعاية الشريعة للمصلحة كثير ، أشرنا الى بعضها ، حتى الحدود التى قد يظن أن فيها شيئا من الشدة مع أن فيها الحكمة والمصلحة ، والرحمة أيضا .

ففى القصاص حياة للمجتمع وصيانة لأمنه ومعاشه : قال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب (٦)) .

---

(١) الموافقات جـ٢ / ٦ .
(٢) سورة الانبياء آيه ١٠٧ .
(٣) حديث أدرؤا الحدود بالشبهات رواه البيهقى عن على موقوفا ذكره الحافظ بن حجر فى بلوغ المرام فى كتاب الحدود .
(٤) الترمذى - كتاب الحدود باب ٢ / جـ٤ / ٣٣ ط ٢ .
(٥) معالم الشريعة الاسلامية . صبحى الصالح / ٧١ ط أولى .
(٦) سورة البقرة آية .

وفى حد الزنا حفظ لأعراض الناس ، وحفظ لأنسابهم وبقاء نوعهم .

وفى حد السرقة حفظ لأموال الناس واشاعة للأمن بينهم . . . الخ .

كما أجمع علماء الامة - الامن لا يعتد به - على تعليل أحكام الشرع بالمصالح ودرء المفاسد ، من ذلك وجوب الشفعة للجار من أجل مصلحته ، وجواز السلم والاجارة من أجل مصلحة الناس (١) .

وأما عن الأمر الثالث فان أى شىء من الحقائق العلميه التى توصل اليها العلم الحديث ، لا يمكن أن تتصادم مع شىء جاء به الاسلام بل إننا نجد أن القرآن الكريم قد سبق العلم الحديث بالاشاره الى كثير من خفايا الكون ، وظواهر الطبيعه ، ونكتفى بما سبق عرضه فى جانب الاعجاز العلمى للقرآن الكريم .

يقول الدكتور موريس بكاى فى كتابه (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثه) (ولقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامه باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف ، قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعيه ، ولكن معرفتى كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابله للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث . . . . . وبنفس الموضوعية قمت بنفس

---

(١) المصلحة فى التشريع الاسلامى د . مصطفى زيد ٢١٤ - ٢١٥ ط ثانيه . والجريمة والعقوبه فى الفقه الاسلامى ص ٢٨ وما بعدها .

الفحص على العهد القديم والاناجيل ، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب الى أبعد من الكتاب الأول ، أى سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا .

وأما بالنسبةللاناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ونعني بها شجرة أنساب المسيح ، وذلك أن نص انجيل متى يناقض بشكل جلي انجيل لوقا (Luke) وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصه بقدم الأنسان على الأرض (١) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بكاى ص ١٣ ط. رابعه .

ثانيا : مواصفات العالمية فى الداعية :

واذا كان ماتقدم مواصفات العالمية وكيفية تحققها فى الدعوة الاسلامية ، فان حامل الدعوة العالمية لابد له من مواصفات كذلك ، حددها الأستاذ سليمان الندوى فى الآتى .

١ - أن تكون سيرته تاريخية : أى أن التاريخ الصحيح يصدقها ويمحصها ويشهد لها .

٢ - أن تكون كاملة أى تكون متسلسلة لا تنقص شيئا من حلقات الحياة ، بمعنى أن تكون متصلة السند من غير انقطاع فى أى مرحلة من مراحل الحياة .

٣ - أن تكون (جامعة) أى محيطة بأطوار الحياة ومناحيها ، وجميع شئونها .

٤ - أن تكون عملية ، أى أن تكون الدعوة بعمل الداعى وأخلاقه ، وأن يكون كل مادعا اليه بلسانه قد حققه بسيرته وعمل به فى حياته ، فأصبحت أعماله مثلا عليا للناس يأتسون بها (١) .

---

(١) الرسالة المحمدية ، سليمان الندوى ص ٤١ ، ٤٢ .
ط . ثالثه بتصرف .

وسنرى بالبحث : كيف أن هذه الأمور توفرت في رسول الاسلام وحده عليه الصلاة والسلام ، وليس معنى ذلك أن صحائف الانبياء السابقين خلت من هذه الميزة مدة وجودهم في الحياة الدنيا ، بل لأن سيرتهم التي توجد الآن بين أيدى الناس لا تنص على هذه الأمور ، ولعل الحكمة في ذلك ترجع الى أن أولئك الأنبياء بعثوا لأزمانهم وشعوبهم وكان الموفقون من شعوبهم في أزمانهم يرون سيرتهم فيقتدون بها ، ولم يكن هناك حاجة الى أن تبقى سيرتهم معلومة للأجيال التالية بعدهم ، لأن النبوات ستختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الكاملة الى الناس كافة في كل زمان ومكان فمست الحاجة الى أن تكون هذه السيرة معلومة على حقيقتها في كل زمان الى يوم القيامة (١) .

الأول : الجانب التاريخي :-

المقصود بتاريخية سيرته عليه الصلاة والسلام أن التاريخ الصحيح يسجل أحداثها ووقائعها بدقة ، من يوم ولادته - ان لم يكن قبل ذلك - حتى وفاته . كل ذلك مدون بأيد أمينة يعجز التاريخ أن يأتي بمثلها الا لمحمد عليه الصلاة والسلام .

والناظر في القرآن الكريم يجد لمحات بسيطة عن سيرة هؤلاء الانبياء السابقين وكذلك كتب من أنزل الله تعالى عليهم كتبا ليس فيها تفصيلات أيضا عن جوانب حياتهم .

(١) مقتبس من المرجع السابق نفس الصحيفه .

وأما سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهى موجودة فى العالم فى متناول أيدى الناس ، فهى سيرة كتب الله لها البقاء والخلود لكى تكون حياة صاحبها قدوة للناس وقد جاءت شاملة لمختلف جوانب الحياة العسكرية والسياسية والأداريه ، والتربويه . . . الخ فهى وافيه بحاجات المجتمع ومتطلبات الحياة الى يوم القيامة . وكذلك تعاليمه التى جاء بها من عند ربه .

ان أقوال الرسول وأفعاله ، وعاداته وخصاله كلها مدونة فى كتب السير والحديث . ومن كانت سيرته كذلك فهو بحق صاحب دعوة عالمية .

سير الانبياء السابقين :-

ان سير الانبياء السابقين لم يكتب لها الخلود ، ولم تحفظ ، وما وصل منها الينا الا النزر اليسير ، وهذا يدل على أن دعوات هؤلاء الانبياء خاصة بأقوامهم ويدل على ذلك مايلى :-

١ - أن تعاليم هؤلاء الانبياء قد انقرضت ولم يبق منها الا الاصول التى تشترك بها الرسالات جميعا .

٢ - تعرضها للتحريف والتغيير والتبديل كما مر معنا فى الباب الأول ، وعدم حفظها .

٣ - عدم وجود تاريخ حياة هؤلاء الانبياء ودقائق أمورهم وأحوالهم حيث أن هذه الحقائق ضاعت واختلطت مع التحريفات التى أدخلها المحرفون .

٤ - جاءت الرسائل السماوية كل واحدة منها مكملة للتى قبلها فى الأنظمة والاحكام والتشريعات لذلك لم يتعهد المولى بحفظها فكل واحدة أتم من التى قبلها ولا يمكن الاقتداء بالناقص . ثم توج الله تعالى هذا الشرائع بشريعة خالدة صالحة لكل زمان ومكان (١) .

فسيرة هؤلاء الانبياء أسوة لمن كان فى أيامهم من شعوبهم ، علما بأنه لم يصل الينا من سيرهم الا القليل - كما تقدم - والذى وصل الينا لا يشمل نواحى الحياة ومتطلبات المجتمع من أجل قيام أمة كاملة فى جميع أمورها ومتطلبات حياتها المتنوعه .

فحديث القرآن عنهم يكاد يقتصر على دعوتهم الناس الى عبادة الله وحده ، وذكر العقبات التى واجهتهم فى هذه الدعوة ، وربما تعرض لبعض النواحى الأخرى كالحديث عن طفولتهم واصطفائهم وهجرتهم ، وما أصاب أقوامهم فمثلا عيسى عليه السلام وهو آخر رسل بنى اسرائيل الذى ورد فى الاناجيل عن سيرته قد كتبه بعض أتباعه الذين تنسب اليهم الاناجيل وهى كما مر مقطوعة السند لا تتصل رواياتها بعيسى عليه السلام .

يقول المستشرق ريورند باسورث سمث : (ولا نعلم من سيرة عيسى الا شذرات تتناول شعبا قليلة من شعب حياته المتنوعة والكثيرة ، ومن ذا الذى يستطيع أن يكشف لنا الستار عن شئون ثلاثين عاما هى تمهيد واستعداد للثلاثة الاعوام التى لنا علم بها فى حياته .... وحياته المثاليه

---

(١) مبادئ الاسلام للمودودى ص ١١٨ - ١٢٠ باختصار .

بعيدة عنا مع قربها منا ، وأنها تتراوح بين الممكن والمستحيل، بيد أن كثيرا من صفحاتها لا نعلم عنه شيئا أبدا ، وما الذى نعلمه عن أم المسيح ، وعن حياته فى بيته ، وعيشته العائليه ، وما الذى نعلمه عن أصحابه الأولين وحواريه ، وكيف كان يعاملهم ، وكيف تدرجت رسالته الروحية فى الظهور ، وكيف فاجأ الناس بدعوته ورسالته ؟ وكم . وكم من أسئله تجيش فى نفوسنا ، ولن يستطيع أحد أن يجيب عليها الى يوم القيامه (١) .

ان الداعية القدوة لا بد أن تكون جوانب حياته واضحة كل الوضوح من يومه الأول حتى وفاته .

الثانى : اتصال سند السيرة النبوية :-

تتميز السيرة النبويه باتصال سندها ، وقد هيأ الله تعالى رجالا وقفوا أنفسهم على خدمتها وحفظها ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم قاموا بنظها الى من بعدهم حيث قام هؤلاء بتدوينها وكتابتها ، وهم أصحاب السير وأهل الحديث .

والذى تجدر الاشارة اليه أن التدوين قد بدأ منذ القرن الأول الهجرى واكتمل فى القرن الرابع حيث كان التدوين شاملا .

---

(١) الرسالة المحمديه / للندوى ص٦٢ نقلا عن محاضرات محمد والمحمديه .

وبهذا يثبت اتصال سند السيرة النبوية ويتسلسل من الرسول صلى الله عليه وسلم الى أصحابه ، والتابعين ، وتابع التابعين حيث تم جمع وتدوين مانقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا كان علماء الحديث قد اعتمدوا على الاسانيد فى نقل مروياتهم فاننا نجد أن علماء السير سلكوا نفس المنهج الذى سلكه علماء الحديث فقد أصبحت الاسانيد تتقدم الروايات التاريخيه لذلك نجد أن كتب السيره الأولى مثل سيرة ابن اسحاق ، ومغازى الواقدى والطبقات الكبرى لابن سعد ، وكتب التاريخ ، مثل تاريخ خليفة بن خياط ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، تتقدم رواياتها الاسانيد ولكن استعمال الاسانيد فى كتب التاريخ لم يكن بالدقه التى استعمل بها فى كتب الحديث ، وذلك لأهمية الحديث حيث تبنى عليه الأحكام الشرعيه فلابد من التدقيق فيه.(١)

واذا كان التاريخ الاسلامى امتاز عن تواريخ باقى الامم باعتماده على الاسانيد فاننا نجد أن المسلمين قد وضعوا شروطا لقبول هذه الاسانيد وجعلوا لها ضوابط منها :-

أولا : عدم قبول رواية الواقعة الا عمن شهدها مع تسلسل السند والتأكد من أمانة رجاله وعدالتهم وضبطهم .

ثانيا : وضعوا علم مصطلح الحديث لبيان الصحيح من غيره .

---

(١) بحوث فى تاريخ السنة المشرفة د . / أكرم ضياء العمرى ص٥٧ مؤسسة الرساله .

والشروط التى وضعها المسلمون لقبول الاسانيد تدل على الامانة والاحتياط ، فكان الواحد يقول الحق ولو على نفسه من ذلك نجد أن على بن المدينى قال لمن سأله عن أبيه (سلوا عنه غيرى فأعادوا المسألة عليه فأطرق ثم رفع رأسه فقال (هو الدين انه ضعيف)(١) .

دعوى باطلة :-

من الشبه التى وجهها أعداء الاسلام الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قولهم (ان السنة النبوية بدأ تدوينها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعين سنه وبما أن السيرة جزء من السنه فان هذه الدعوة تتوجه أيضا الى السيرة .

وهذه الدعوى باطلة لما يلى :-

أولا : مخالفتها للحقائق التاريخية الثابته ، فقد سبق بيان أن السنة بدأت كتابتها فى العهد النبوى والسيرة جزء من السنة فقد بدأت كتابتها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك والأدلة على ذلك كثيره .

١ - ماجاء فى صحيح البخارى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن تكتب خطبته التى خطبها يوم الفتح اجابه لسؤال صحابى من اليمن يدعى أبا شاه(٢) .

---

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص٦٦ ط١٣٩٩ - دار الكتاب العربى - بيروت.

(٢) فتح البارى / لابن حجر - كتاب العلم جـ١ / ٢٠٥ - السلفيه.

٢ - الرسائل التى بعثها النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام كلها كانت مكتوبة، وقد دل الحديث على ذلك عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله تعالى (١).

٣ - الكتاب الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك مصر قد وجد ملصقا بدقة كتاب فى أحد الأديرة المسيحية فى مصر، ويغلب على الظن أنه هو أصل الكتاب المرسل من النبى صلى الله عليه وسلم، وخطه عربى قديم، وعباراته وترتيب كلماته التى فى الخاتم هى عين مايروى فى الاحاديث وهذا من أصدق الأدلة على صدق الأحاديث المروية وصحتها (٢).

٤ - ماحصل يوم الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو وكتابة المعاهدة على نسختين واحدة للمشركين وأخرى مع الرسول صلى الله عليه وسلم (٣).

وهكذا تتظافر الأدلة مثبتة أن السيرة النبوية بدأ التدوين بها منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام. على يد أصحابه. وكان هذا الذى دون هو الأساس الذى أعتمد عليه من أتى بعدهم من التابعين/الذين جاءوا بعد الصدر الأول فجمعوا مرويات الصحابة وكتبوا ماوصل اليهم من الاخبار، وقد تحروا الصدق والأمانة فى كتابة هذه الاخبار.

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٤/١٠٢٥ - مسلم كتاب الجهاد والسير جـ٣/١٣٩٧.

(٢) الرسالة المحمدية/ للندوى ص٩٤ ط ٣.

(٣) طبقات ابن سعد جـ٢/٩٧ - دار صادر بيروت.

وضوح السيرة المحمدية وكمالها وشمولها :-

بالاطلاع على تاريخ السيرة النبوية نجد أن كتّاب السيرة والشمائل أحصوا كل شيء عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ، بحيث لم يغب عن التاريخ شيء من تلك السيرة الطاهرة ، حتى أضحت حياته عليه الصلاة والسلام معلومة لكل المسلمين وكثير من غير المسلمين ، ومن لا يعلمها منهم يستطيع أن يقف على وقائعها وتفاصيلها من بدايتها الى نهايتها ان أراد ، فالتاريخ يعلم عنه عليه الصلاة والسلام ، الحمل به ، وولادته ، ورضاعه ، وطفولته ، وشبابه ، وكهولته ، وبعثته ، وهجرته ، وجوانب حياته المتعددة وما بذله في سبيل نشر دعوته ، وجهاده ، كل ذلك مجموع في بطون الكتب (كتب السير والحديث) فلم يفت أمر من أمور حياته ، من قيام وجلوس وأكل وشرب ونوم وضحك وعبادة ، واغتسال ولبس ، وحديث مع الناس وحديث مع أهله .... الخ .

وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن يبلغوا عنه مايبلغهم به دون استثناء لاى أمر كان ، صغيرا كان أو كبيرا .

كما أذن لامهات المؤمنين أن يحدثن عن كل مايرينه منه من قيام وقعود وأكل وشرب ونوم ولبس وخروج ودخول من غير استثناء لأمر من أمور حياته ، فأى داع في الدنيا بلغ به هذا المبلغ من الكمال ووضحت سيرته هذا الوضوح ؟ غير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول .

يقول البروفسور ستوربارت :-

(أنه لا يوجد مثال واحد فى التاريخ الانسانى باكمله يقارب شخصية محمد ، ويضيف قائلا .... ألا ما أقل ما أمتلكه من الوسائل المادية ، وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة ، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية فلن نجد فيه اسما منيرا هذا النور واضحا هذا الوضوح غير اسم النبى العربى)(١) .

ويقول باسورث سمث الانجليزى :-

(نرى الشمس ها هنا بارزة بيضاء تنير أشعتها كل شىء ، وتصل الى كل شىء ، لا شك أن فى الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئا ، ولا تتبين حقيقتها أبدا ، أو تبقى منها أمور مجهولة ، بيد أن التاريخ الخارجى لمحمد صلى الله عليه وسلم - نعلم جميع تفاصيله من نشأته الى شبابه ، وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته ، ونسلم أول تفكيره وتطوره وارتقائه التدريجى ثم نزول الوحى العظيم عليه نوبة بعد نوبة ، ونعلم تاريخه الداخلى بعد ظهور دعوته واعلان رسالته)(٢) .

الثالث: واما أن سيرته عليه الصلاة والسلام جامعة شاملة :-

فاننا بالنظر الى البشر فى هذه الحياة نجد تكاثر الخلق ، وتعدد الاجناس البشريه ، وتنوع اعمال الدنيا ، ومهن الحياة ، فمنهم الرئيس والمرؤوس ، والحاكم والمحكوم والغنى والفقير ، والجنود والقاده ، والصناع والزراع والتجار .... الخ وكل واحد من هؤلاء يحتاج الى نظام يسير عليه وقدوة يقتدى بها فى حياته .

---

(١) هل محمد عبقرى مصلح أم نبى مرسل / محمد شيخانى ص٢٣٢ ط١ / ١٣٩٢ .

(٢) الرسالة المحمديه للندوى ص٦٧ ط. ثالثه .

وجاء الاسلام ودعا الناس جميعا للاقتداء برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى جمع الكمالات الانسانيه ،فى مختلف نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والادارية والاجتماعية .

هذا فى الاعمال الظاهرة ، واما الاعمال الباطنة والخفية فكل انسان له أعمال باطنة وخفية فهو يرضى ويغضب ، ويحب ويبغض ، ويفرح ويحزن ..... الخ فلابد له من قدوة يقتدى بها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة فى ذلك .

فهو يرضى لما يرضى الله ، ويسخط لما يغضب الله ، ويحب ما أحب الله ويفرح لكل خير ، ويحزن للمصائب ... الخ .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : (ماضرب رسول اللهصلى اللهعليه وسلم خادما ولا امراءة قط ، ولا ضرب بيده الا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما نيل منه شىء فانتقم من صاحبه الا أن تنتهك محارم الله عز وجل ،فينتقم لله عز وجل ، وماعرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر الا أخذ ايسرهما الا أن يكون مأثما ، فإن كان مأثما كان أبعد الناس عنه)(١) .

---

(١) المسند جـ٦ / ٣٢ .

وأما الصفات المكتسبه التى تثرى حياة الانسان ، كالجود ، والشجاعة والعزيمه والصبر والتضحيه والشكر .... الخ .

فإن الانسان معرض لضدها فلابد له من قدوة يقتدى بها . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة فى جميع هذه الصفات . عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (ما رأيت أحدا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١).

وفى مجال الشجاعه يقول على رضى الله عنه (إنا كنا اذا اشتد البأس وأحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو فيه .)(٢).

وفى مجال الشكر تقول عائشة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام حتى تفطّر رجلاه ، قالت عائشة : يارسول الله ، أتصنع هذا وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا)(٣) .

فمن وجدت به هذه الصفات الكريمة والاخلاق الفاضلة يستحق أن يكون قدوة للناس جميعا فى سرهم وعلنهم فى ظاهرهم وباطنهم فى أقوالهم وأفعالهم فى كل أمور حياتهم ، علما بأن السيرة النبويه تمثل جوانب متعدده

---

(١) أخلاق النبى لابى الشيخ ص ٥٠ ط ١٩٧٢ .

(٢) الوفاء بحوال المصطفى لابن الجوزى جـ٢ / ٤٤٣ ط ١ / ١٣٨٦ .

(٣) مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم جـ٤ / ٢١٧٢ .

وأعمالا متنوعه صالحه لأن تكون أسوة للناس جميعا ومنهجا لحياتهم

يقول الشيخ سليمان الندوى :

(اذا كنت غنيا مثريا فاقتد بالرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما كان تاجرا يسير بسلعه بين الحجاز والشام وحين ملك خزائن البحرين ، واذا كنت فقيرا معدما فلتكن لك أسوة به ، وهو محصور فى شعب أبى طالب ، وحين قدم الى المدينه مهاجرا اليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا .

وإن كنت ملكا فاقتد بسنته وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على آفاقهم ، ودان لطاعته عظماؤهم ، وذووا أحلامهم .

وإن كنت رعية ضعيفا فلك فى رسول الله أسوة حسنه أيام كان محكوما بمكة فى نظام المشركين .

وان كنت فاتحا غالبا فلك من حياته نصيب أيام ظفره بعدوه فى بدر وحنين ومكة .

وان كنت منهزما - لا قدر الله ذلك - فاعتبر به يوم أحد وهو بين اصحابه القتلى ورفقائه المثخنين بالجراح .

وإن كنت معلما فانظر اليه وهو يعلم أصحابه فى صفة المسجد ، وإن كنت تلميذا متعلما فتصور مقعده بين يدى الروح الأمين جالسا مسترشدا .

وإن كنت واعظا ناصحا ومرشدا أمينا فاستمع اليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوى .

وان هزمت عدوك وخضدت شوكته وقهرت عناده فظهر الحق على يديك ، وزهق الباطل واستتب لك الأمر فانظر الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة وفتحها .

وان كنت شابا فاقرأ سيرة راعى مكة . وان كنت قاضيا أو حكما فانظر الى الحكم الذى قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود فى محله وقد كاد رؤساء مكه يقتتلون ...(١) الخ .

ففى كل مجال من مجالات الحياة تجد لك تعاليم ودروسا فى حياته وهذا شأن سيرة الداعية العالمى الذى جمع الله فى رسالته ماتفرق فى رسالات الانبياء السابقين . فمنهم من غلب عليه الزهد والتقشف كعيسى الذى جاء على لسانه مخاطبا لتلاميذه . (لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون)(٢) .

---

(١) الرسالة المحمدية / للندوى ص ٨٥ .

(٢) متى ٦ / ٢٥ .

ومنهم من غلب عليه الغضب والحنق على الكفر وأهله كنوح الذى دعا ربه فقال (ربى لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)[١] .

ومنهم من جاهد فى تحطيم الاصنام وابطال عبادة الأوثان كابراهيم عليه السلام (اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . . الى أن قال (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون)[٢] .

ومنهم من غلبت عليه الشدة والقسوة كموسى عليه السلام الذى دعا على قومه قائلا : (ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)[٣] .

فكل نبى من الانبياء السابقين نجد أنه غلب عليه وصف من الاوصاف وكانت رسالته مقصورة على تنمية وجه من وجوه الخلق البشرى وأن حياته تعتبر نموذجا لهذا الجانب من جوانب الأخلاق بينما نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان جامعا لهذه الأوصاف كلها وغيرها من الكمالات البشريه ولا ينبغى أن يفهم من هذا أن فى ذلك تنقص برسل الله السابقين .... لا .. بل كلهم صفوة مختاره . ولكن ارادة

---

(١) سورة نوح آية ٢٦ .
(٢) انظر سورة الانبياء آية ٥١ - ٥٨ .
(٣) سورة يونس آية ٨٨ .

اللسه اقتضت أن تكون رسالاتهم محدودة بزمن معين ومكان معين أيضا ، فامتدت سيرهم مع الأيام الا قليلا ، لأن ارادة الله لم تتعلق بحفظها .

الرابع : أن تكون حياته عمليه :-

في وقت اكتمل فيه نضوج البشريه ، بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لتطوير الفطرة البشرية بوصفها كلا كاملا ، فرسم الطريق المستقيم ، ودلهم على الخير وحذرهم من الشر . يقول الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله يدعوه الى الاسلام (والله لقد دلنى على هذا النبى الامى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شر الا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد وينجز الموعود) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم كانت حياته قدوة عمليه لأتباعه في مختلف مجالات الحياة الانسانية .

فهو الذى دعا الى مكارم الاخلاق بقوله (بعثت لأتمم حسن الأخلاق)(٢) وقوله (إن خياركم أحسنكم أخلاقا)(٣) . وكان أشد الناس تمسكا بها وحسبه شهادة ربه له (وإنك لعلى خلق عظيم)(٤) .

---

(١) الاسلام / سعيد هوى جـ١ / ٥٥ .
(٢) شرح موطأ الامام مالك / لابى عبد الله بن عبد الباقى الزرقانى جـ٥ / ٢٥١ .
(٣) فتح البارى لابن حجر العسقلانى
كتاب الأدب جـ١٠ / ٤٥٦ السلفيه .
(٤) سورة نون آية ٤ .

وقد شهدت خديجه له بذلك عندما نزل عليه الوحى ، وخاف الرسول على نفسه حيث قالت له (كلا والله مايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق)(١) .

وهو الذى دعا الى عبادة ربه ، وكان من أكثر الناس محافظة عليها ، فلم تفته الصلاة فى حياته حتى ولو كان فى ساحة المعركة الا ماكان يوم الخندق ، حيث شغله المشركون عن صلاة الظهر والعصر وقال (شغلونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم أو قبورهم نارا)(٢) .

وفى الصوم كان يصوم حتى يقال أنه لا يفطر ويفطر حتى يقال أنه لا يصوم ، وكذلك الصدقات كان يدعو الى الصدقة ويحث عليها ، وهو أجود الناس يقول أبو ذر رضى الله عنه (كنت يوما أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرة المدينة ، فاستقبلنا أحد فقال : يا أباذر ؟ قلت لبيك يارسول الله قال : مايسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا تمضى على أيام ثلاثه ، وعندى منه دينار الا شيئا أرصده لدين ، الا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه)(٣) .

وأما فى الجهاد فحدث عنه ولا حرج فهو القائد الذى قاد المعارك ، وخاض غمارها وعرف مداخلها ومخارجها ، اتصف بقوة البصر ، ونفاذ البصيرة ، والاستعداد للمواقف وكان قدوة للناس فى هذه المواقف ، وحسبه شاهدا على

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى كتاب كيف كان بدء الوحى جـ١ / ٢٢ . السلفيه .
(٢) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى جـ٢ / ٦٩٤ - تحقيق مصطفى عبد الواحد
(٣) فتح البارى لابن حجر / كتاب الرقاق جـ١١ / ٢٦٣ - السلفيه .

ذلك يوم حنين اذ وقف في وسط الوادي ثابتا قويا عندما تفرق عنه أصحابه وقاتل العدو وهو يقول : أين الناس ؟ هلموا الي أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله (١) .

وفي مجال السياسة ، فهو السياسي المحنك الذي عرف الأمور وقدر لها قدرها وحسبك شاهدا على ذلك يوم الحديبية (٢) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان قدوة عليه في مختلف جوانب الحياة حيث رسم لكل جانب ما يصلحه من الأنظمة والقوانين .

وأعود فأكرر ما سبق تقريره وهو أننا لا نفضل بين الانبياء ولا نقول ان الأنبياء السابقين خلت صحائف حياتهم من الأسوة والقدوة ، فهذا ما تبرأ الى الله منه ، فلقد قاموا جميعا عليهم الصلاة والسلام بواجب الدعوة الى الله وما توانوا أو فرطوا ، وكان المؤمنون من شعوبهم في أزمانهم يرون سيرتهم فيأتسون بها ، لكن هذه السير انمحت بكر الليالي والأيام ولم يبق منها الا النزر اليسير ، لأنه ليس هناك حاجة الى أن تبقى سيرتهم معلومة بتفصيل للاجيال التالية بعدهم لأن النبوات ستختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الكاملة الى الناس كافة في كل زمان ومكان .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٤ / ٨٩٣ - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ١ / ١٣٨٣ المدني .

(٢) سيرة ابن هشام جـ٣ / ٧٨١ - نص المعاهدة .

ولذلك مست الحاجة الى أن تبقى هذه الأخيرة فقط بدقائقها وتفاصيلها ليتيسر التأسي بها لجميع أمم الأرض ، وهذا من أصدق البراهين على كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده (١) ، (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٢) .

---

(١) الرسالة المحمدية - سليمان الندوي / ٥٠ .

(٢) سورة الاحزاب - آية ٤٠

الفصل الثاني

إقليمية الدعوات السابقة

- الفصل الخامس -

أ - اقليمية الدعوات السابقة على الاسلام :-

يؤكد القرآن الكريم اقليمية الدعوات السابقة ، وأن كل رسول أرسل الى قوم مخصوصين ، والى بقعة من الارض معينة .

ولم يدع نبى من الانبياء أنه تجاوز بدعوته أكثر من قومه كما تنطبق بذلك الآيات القرآنيه الوارده فى كتاب الله تعالى . ونستعرض بعض هذه الآيات التى تدل على خصوصية تلك الدعوات .

أولا : ماورد بخصوص دعوة نوح عليه السلام :-

قال تعالى :-

(لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون)(١) .

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)(٢) .

(كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إنى لكم رسول أمين)(٣) .

---

(١) سورة الاعراف آيه ٥٩ .

(٢) سورة نوح آيه ١ .

(٣) سورة الشعراء آيه ١٠٥ - ١٠٧ .

رابعاً : الآيات الوارده بخصوص دعوة ابراهيم عليه السلام :-

قال تعالى :-

(ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون)(١) .

(وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ، اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون)(٢) .

خامساً : الآيات الوارده بخصوص دعوة لوط عليه السلام :-

قال تعالى :-

(ولوطا اذ قال لقومه ، أتأتون الفاحشة ، ماسبقكم بها من أحد من العالمين)(٣) .

(كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون)(٤) .

سادساً : الآيات الوارده بخصوص دعوة شعيب عليه السلام :-

قال تعالى :-

(والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره)(٥) .

---

(١) سورة الانبياء آية ٥١ - ٥٢ .
(٢) سورة الصافات آية ٨٣ - ٨٥ .
(٣) سورة الأعراف آية ٨٠ .
(٤) سورة الشعراء آية ١٦٠ - ١٦١ .
(٥) سورة الاعراف آية ٨٥ .

(والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير ، وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط)(١) .

سابعا : ماورد بخصوص دعوة يونس عليه السلام :-

قال تعالى :-

(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)(٢) .

ثامنا : اقليمية الدعوتين اليهودية والنصرانية :-

عرفت الرسالات التى سبقت الرسالة المحمديه بخصوصيتها بأقوام معينين ومن جملتها رسالة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وسنقوم بايراد بعض الأدلة على اقليمية هاتين الدعوتين من القرآن ، وبعض النصوص من كتبهم مفصلين فى ذلك بعض الشىء لأن هاتين الديانتين أوسع نطاقا من غيرهما ، وتقف وراءهما قوى تحاول أن تفرضهما على أكبر مساحة من الأرض .

---

(١) سورة هود آية ٨٤ .

(٢) سورة يونس آية ٩٨ .

أ - الديانة اليهودية :-

تختص الديانة اليهودية ، باليهود وحدهم ، ولا تتعداهم الى غيرهم ، فهى ديانة مغلقة ، ليست ديانة دعوة ، وقد أشارت نصوص التوراة الى ذلك . جاء فى سفر التثنيه .

(لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، ولا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب الى الأبد)(١) .

وقد علق على هذه العباره الاستاذ محمد عزة دروزه بقوله : (ان الديانه اليهودية ليست دينا تبشيريا ، ولا إنسانيا عاما ، وان بنى اسرائيل كانوا يعتبرون الديانة ديانتهم والإله خاصا بهم ، وان دخول غير اليهود فيها لم يكن تبشيرا بها ، وانما كان من باب السماح لمن يريد ، بنفسه وبدون دعوه - أن يدخل فى جماعة الرب بشرط مرور عدة أجيال وفى بعض الحالات نرى الكتاب المقدس يسد باب الله ودينه أمام بعض الناس الى الأبد)(٢) .

وقد ضيق اليهود فى هذه الأيام الدائرة أكثر من قبل حيث أنه لا يعتبر صهيونيا الا الذى يقدم الى فلسطين ويعيش بها ، أعلن ابن جوريون (أنه لا يعد صهيونيا الا اليهودى الذى يسارع الى جبل صهيون مضحيا بكل شىء مؤثرا الحياة بفلسطين على كل حياه) وهو يرى أن الرباط بين اليهود

---

(١) سفر التثنية ٢٣ / ٣ .

(٢) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم / محمد عزة دروزة جـ١ / ١٠٥ وما بعدها بتصرف - المكتبة العصرية للطباعة والنشر .

ليس رباط الدين لأن هناك يهود متدينون ،ويهود لادينيون ، وليست اللغه هى الرباط، لأن اليهود يتكلمون لغات متعددة ، وانما الربـــاط الذى لا يتخلف هو رؤيا العودة الى جبل صهيون حيث أقام داوود معبده الأول .

وتقول جولدامايير (بعد قيام صهيون لا يمكن أن يعد صهيونيا الا ذلك الذى يحمل حقائبه ويأتى على الفور)(١) .

فهذه النصوص وأمثالها تدل على اغلاق الديانة اليهودية وارتباطها بشعب اسرائيل دون غيره، نقلا عن كتاب المطالعات فى الأديان العالمية مايلى :-

(إن ديانة اليهود أيضا ذات أرتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها باليهودية أو العبرية ،وهى لهذا تشبه الهندوكية(٢) والشنتيه(٣) فى أنها ديانة مقفله ،أى ليست من ديانات الدعوة ، وانما تختلف بـــأن الهندوكية والشنتيه كلتاهما ديانة شعب مستقر فى وطنه منذ عهد بعيد ، وأن اليهود تعرضوا للشتات غير مره فوقعوا فى أسر مصر وبابل وفقدوا وطنهم بعد أن استولى الماهل الرومانى (تيتوس) على أورشليم سنة سبعـــين للميلاد)(٤) .

---

(١) اليهودية / أحمد شلبى ص١٢٢ و ١٢٦ و ١٢٧ ط٤ .

(٢) الهندوكية : هى احدى ديانات الهند ،نشأت فى القرن الثامن قبـــل الميلاد ،وتسمى بالديانة البرهمية ،نسبة الى براهما وهو الاله عندهم . وقد اشتقت منه كلمة براهمه وهم طبقه رجال الدين عندهم ،تمثل هـــذه الديانه العادات والتقاليد التى جاء بها الآريون لها كتاب مقدس اسمه الويدا ، ويعبد اصحاب هذه الديانة آلهة متعدده كالشجر والحجر والبقر ومن عقائدها الكارما وتناسخ الأرواح ،والانطلاق . أديان الهند الكبرى / أحمد شلبى ص٣٩ ط ٤ .

../بعده .

٠٠/٠٠

(٣) الشنتية : وهي ديانة يابانيه قديمة ، وقد كانت في بدايتها ديانة بدائيه ، ولكن اليهودية ساعدت هذه الديانه على النمو والارتقاء ، وذلك في القرن السادس الميلادى ، وقد عمت فيها عبادة مظاهر الطبيعة وعبادة الشمس والقمر والنجوم والجبال والانهار ... الخ . وعبدوا أباطرتهم وأبطالهم الحربيين ، والشينتو تعني (طريق الآلهه) أو (طريق الأرواح الخيرة) و (شن) تعني الأرواح الخيرة و (تاو) اسم الديانة الداويه التى جاء بها (لاورتسى) في الصين وتقوم هذه الديانه على قواعد خمسه هى :-

١ - الايمان بأن النار مطهره .

٢ - لابد من التطهير الروحى بالخضوع للعقل ولابد من التطهير الجسدى بالاحتراس من النجاسات .

٣ - تقديس الاعياد وضبط أيامها .

٤ - الحج الى الاماكن المقدسه وعددها حوالى ٢٢ معبدا .

٥ - عبادة الآلهه في المعابد والهياكل

المراجع : الاديان دراسة تاريخيه مقارنة القسم الاول الديانات القديمة رشدى عليان / سعدون الساموك ص ١١٧ .

(٤) مايقال عن الاسلام / العقاد ص ٣٢١ - الموسوعه جـ ٥ - اليهوديه / أحمد شلبي ص ١٨٩ جـ ٤ / ١٩٧٤م .

كما أنه لا يوجد في التوراة نصوص تشير الى أن اليهود كانوا مأمورين بدعوة غيرهم من الامم الى ديانتهم ، بل اننا نجد الى جانب النصوص التي تشير الى اقليمية هذه الدعوة بعض النصوص التي تشير الى أن الرب خاص بهم .

والذي يظهر أن اغلاق هذه الديانة اليهودية على أصحابها وعدم اشراك غيرهم فيها ، نوع من الانانية في نفوسهم التي جبلت على ذلك حيث أنهم يشعرون بالرفعة والتعالي على بقية شعوب العالم ، ويعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وغيرهم همجا أو شبه أنعام ، وهي ديانة لا ترحب بدخول الغرباء ، ولا تريد أن يدنس دمها دم آخر .(١)

أما الدين الاسلامي فهو حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الاجناس والشعوب على مختلف ألوانهم وأجناسهم وطبقاتهم وبلادهم وأوطانهم ليس فيه احتكار لتعاليم الشرع كمثل بني لاوي في اليهود أو البراهمة من الهنود ، حارب الطبقات والعصبيات وجعل التقوى هي الوسيلة التي تقرب العبد من ربه . ان أكرمكم عند الله أتقاكم .(٢)

ومما يدل على اقليمية هذه الدعوة ، مانورده الآن من نصوص كتبهم ، ونحن اذ نورد هذه النصوص لا نوردها على أنها صحيحة فمعروف أنهم غيروا وبدلوا ، وانما لنحاكمهم بها من باب التسليم بما عند الخصم جدلا أو من باب من فمك أدينك .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام / جواد علي جـ٦ / ٣٤٦ .

(٢) النبوة والانبياء / للندوي ص١٩٥ ومابعدها بتصرف ط٥ / دار القلم .

جاء في سفر الخروج مايلي :-

١ - (والآن هوذا صراخ بني اسرائيل قد أتى اليّ ، ورايت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون ، فالآن هلم فأرسلك الى فرعون ، وتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر) (١) .

٢ - (فقال موسى لله من أنا حتى أذهب الى فرعون ، وحتى أخرج بني اسرائيل من مصر فقال إني أكون معك ، وهذه تكون لك العلامة أني أرسلتك .... فقال موسى لله ها أنا آتي بني اسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني اليكم ..... هكذا تقول لبني اسرائيل يهوه إله أبائكم اله عظيم ، وإله اسحق واله يعقوب أرسلني اليكم) (٢) .

فهذه النصوص وأمثالها تدل على اقليمية الديانة اليهودية ، وأنها خاصة ببني اسرائيل ولا يوجد نص يصرح بغير ذلك ، وها هو القرآن يأتي مصدقا لما في كتبهم من أن دعوة موسى خاصة بهم .

قال تعالى :-

(ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه فظلموا بها ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (٣) .

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) (٤) .

(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك ياموسى مسحورا) (٥) .

---

(١) سفر الخروج ٣/٩ - ١٠

ب - اقليمية الديانة النصرانيه :-

واذا كان ماتقدم شأن اليهوديه . . . . فالنصرانيه كذلك ديانة قومية خاصه ببنى اسرائيل لم تتعداهم الى غيرهم ، وقد جاء فى كتاب عيسى الناصرى فى سنواته المجهولة للمؤرخ الفرنسى روبرت هارون كما نقله العقاد مايشير الى أن عيسى عليه السلام نشأ من اسرائيل ، وبعث فى بنى اسرائيل كما دلت نصوص الأناجيل على اقليمية هذه الديانة .(١)

١ - جاء فى انجيل متى مايلى :-

(ثم خرج يسوع من هناك ، وانصرف الى نواحى صور وصيدا ، واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ، ارحمنى ياسيد ابن داود ، ابنتى مجنونه جدا ، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه ، وطلبوا اليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فاجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة)(٢) .

٢ - وفى نفس الانجيل أيضا (أن عيسى عندما حدد الحواريين الاثنى عشر أوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضاله)(٣) .

---

(١) مايقال عن الاسلام للعقاد ص٤٩٣ - الموسوعه جـ٥ نقلا عن كتاب عيسى الناصرى فى سنوات مجهوله .

(٢) متى ١٥/ ٢١ - ٢٥ .

(٣) متى ١٠/ ٥ - ٦ .

٣ - وهنا في متى أيضا (وأنت يا بيت لحم - أرض يهوذا - لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر - يرعى شعبي اسرائيل)[١].

٤ - وها هم اليهود يخاصمون بطرس لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم (ولما صعد بطرس الى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان[٢] قائلين انك دخلت الى رجال ذوى غلفه[٣] ، وأكلت معهم)[٤].

٥ - وفي رسالة بطرس أيضا (بطرس رسول يسوع المسيح الى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينيه المختارين)[٥].

فهذه النصوص وأمثالها من كتبهم تثبت أن المسيح عليه السلام ، كانت دعوته خاصه ببنى اسرائيل لا تتعداهم الى غيرهم حيث أنه رفض أن يعالج البنت الكنعانية المجنونه ، وقال بالحرف الواحد لم أرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة ، ومخاصمة الحواريين لبطرس ، لدخوله على غير اليهود وتكلمه معهم ، فهذا يدل أيضا على أن تلاميذ المسيح قصروا دعوتهم على بنى اسرائيل . . . ؟ .

---

(١) متى ٢/٦ .

(٢) الختان / الاسم الختان والختانه ، والختانه صناعة الخاتن ، والختن فعل الخاتن والختان / موضع الختن من الذكر ، وموضع القطع من نواة الجارية لسان العرب جـ١٣/ ١٣٨ ختن .

(٣) الغلفه : جمع أغلف كأحمر وحمر ، وقيل وأصله ذو الغلفة : الذى لم يختن - تفسير روح المعانى الآلوسى جـ١/ ٣١٨ - لسان العرب مادة غلف جـ ١١/ ١٧٧ .

(٤) أعمال الرسل ١١/ ٢ - ٣ .

(٥) رسالة بطرس الأولى ١/ ١ .

ويأتي القرآن الكريم ليثبت ذلك ويقرره في آيات متعددة منها :-

ماقال تعالى في حق عيسى عليه السلام :-

(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل)[١] .

وقوله :-

(واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)[٢] .

وبعد فان دلالة الآيات الواردة في القرآن على اقليمية دعوات الرسل السابقين للاسلام واضحه حيث بين الله عز وجل أنه أرسلهم الى أقوامهم فقط وقوم كل رجل شيعته وعشيرته[٣] .

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٨ - ٤٩ .

(٢) سورة الصف آية ٦ .

(٣) لسان العرب جـ١٢ / ٥٠٥ لفظ قوم .

الفصل الثالث
شبهات حول العالمية

الفصل الثالث

- شبهات حول عالمية الدعوة -

مناقشتها والرد عليها :-

أثار المستشرقون عددا من الشبهات حول عالمية الدعوة الاسلامية، حاولوا فيها تغيير الحقائق ، والنيل من عالمية هذا الدين وعمومه . من هذه الشبهات مايلى :-

١ - (ماجاء عن المستشرق الهولندى (فنسنك)[١] أن الدعوة خاصة بالعرب ، لأن الرسول عربى ، وظهر فى جزيرة العرب ، والقرآن عربى ، وأحكامه عربيه ، ويجرى العمل به فى بلاد العرب ، والدعوة ظهرت فى بلاد العرب : فالدعوة اذا خاصة بالعرب[٢] .

وقد استدل بالايات التالية :-

قوله تعالى :-

(وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)[٣] .

(نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)[٤] .

(انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[٥] .

---

(١) فنسنك : مستشرق هولندى أتقن اللغات السامية ، وتخصص فى أديان الشرق ، وانتدب أستاذا للعبرية فى جامعة ليدن (١٩٠٨ - ١٩٢٧) ثم خلف سنوك فى كرسى العربيه حتى وفاته - اهتم بعلوم الحديث فسعى فى وضع المعجم المفهرس وله عدة مؤلفات منها موقف الرسول من يهود المدينه ومحمد واليهود وغيرذلك من المؤلفات (المستشرقون للعقيقى جـ٢/ ٦٦٧ ط٣/ ١٩٦٥ - دارالمعارف - مصر .

(٢) الدعوة فى عصر النبوه د . /أحمد أحمد غلوش ص١٤٣ مطبعة المدنى - عالمية الدعوه / محمد الراوى ص٥٣ - الدار العربية / بيروت .

(٣) سورة الشورى آية ٧ . (٤) سورة الشعراء آية ١٩٣ .

(٥) سورة يوسف آية ٢ .

هذا بالنسبة للقرآن أما الآيات التى تدل على أن الرسول عربى وظهر فى امة العرب فمنها قوله تعالى :-

(فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى)[١] .

والأمى هو العربى .

(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم)[٢] .

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا)[٣] .

(لقد من الله على المؤمنين أذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته)[٤] .

٢ - هذا ..... وقد استدل آخرون ببعض آيات قرآنية أخرى على تخصيص الاسلام بقوم الرسول صلى الله عليه وسلم وحدهم ، وهذه الآيات هى[٥] :-

١ - (وأنذر عشيرتك الأقربين)[٦] .

٢ - (لتنذر ام القرى ومن حولها)[٧] .

٣ - (لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك)[٨] .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٥٨ .
(٢) سورة الجمعة آية ٢ .
(٣) سورة البقره آية ١٥١ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٦٤ .
(٥) الدعوة فى عصر النبوه وأحمد غلوش / ١٤٤ .
(٦) سورة الشعراء آية ٢١٤ .
(٧) سورة الشورى آية ٧ وسورة الانعام آيه ٩٢ .
(٨) سورة القصص آية ٤٦ .

الشبهة الثانية :-

(١)

(يرى المستشرق " فلهاوزن " وعدد آخر من المستشرقين أن الحركة الاسلامية كانت فى البداية حركة قومية وأنها لم تنتقل الى المرحلة العالمية فى العصر المدنى الا بعد أن أتاحت لها الظروف ذلك ، وأن الرسول لم يكن يفكر فى ذلك أول الأمر لأنها ، كما يزعمون - كانت حركة قومية .

يقول فلهاوزن :-

(لقد كان فى وسع محمد صلى الله عليه وسلم من طريق عقيدة تتجاوز دائرة مستلقيها الدائرة التى ترسمها رابطة الدم ، أن يحطم رابطة الدم هذه ، لانها لم تكن برغبة من العصبية وضيقها ، ولا كانت ذات صفة خارجية عارضة ، هذا هو الذى جعلها لا تتسع لقبول عنصر غريب عنها ، ولكن محمدا لم يرد ذلك ، ومن الجائز أيضا أنه لم يكن يستطيع أن يتصور امكان رابطة دينية فى حدود غير حدود رابطة الدم . . .) (٢) .

---

(١) فلهاوزن : عالم المانى مبرز فى ميدان الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد وباحث محقق فى ميدان التاريخ العربى ، ولد فى مدينة (هاملن) سنة ١٨٤٤ ودرس اللاهوت واشتغل فى التدريس ، له عدة مؤلفات منها ترجمة كتاب المغازى للواقدى بعنوان محمد عليه السلام فى المدينة وكتاب تاريخ الدولة العربية (مقدمة تاريخ الدولة العربية ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو زيده .) .

(٢) تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية / يوليوس فلهوزن ص ٤ ط ٢ / ١٩٦٨ .

ويقول وليم موير (١) .

(ان فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد ، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والاحاديث التي تؤيدها ، لم يفكر فيها محمد نفسه ، وعلى فرض أنه فكر فيها ، فقد كانت الفكرة غامضة ، فان عالمه الذي كان يفكر فيه انما كان بلاد العرب ، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ الا لها وأن محمدا لم يوجه دعوته ، منذ بعث الى أن مات ، الا للعرب دون غيرهم ، وهكذا نرى أن نواة عالمية الاسلام قد غرست ولكنها اذا كانت قد أختمرت ونمت بعد ذلك فانما يرجع هذا الى الظروف والاحوال أكثر منه الى الخطط والمناهج (٢)) .

---

(١) وليم موير : مستشرق اسكتلندي درس الحقوق في جامعتي جلاسجو وادنبرا ، وكان ملما بالعربية والفارسية والأردية الماما بمعظم اللغات الأوربية ، وقد اشتهر في جامعة ادنبرا بمحاضراته كما امتاز بخدماته التي أداها للهند يوم ارسل الى البنغال سنة ١٨٣٧ ، عين أمينا لحكومة الهند (١٨٦٥ - ١٨٦٨) واختير رئيسا لجامعة أدنبرا (١٨٨٥ - ١٩٠٤) له عدة مؤلفات منها سيرة النبي والتاريخ الاسلامي ، وحوليات الخلافة صعودها وانحدارها وسقوطها . المستشرقون جـ٢ / ٤٩٢ ط٣ / ١٩٦٥ .

(٢) الدعوة الى الاسلام / سيرتوماس أرنولد هامش ص ٥ ط٣ / مكتبة النهضة المصرية .

ويقول المستشرق بندلى جوزى (١) :-

(بأن الرسول كان متأثرا بالظروف وكان يتحرك وفق متطلباتها .)

(فمن ذلك تبين أن سياسة النبى مع المكيين قد تغيرت كثيرا فى المدينة تحت تأثير عوامل جديدة ، ولأسباب عديدة أوجدتها الظروف ، وأدى اليها الاختيار ، وحب النبى لوطنه الاصلى ، وأهله وذويه ، الى غير ذلك من الانفعالات النفسية ، والعوامل السياسية التى ظهرت بعد موقعتى بدر وأحد ، وحصار المدينة ، وكان من نتائجها أن النبى أخذ يلطف من سياسته نحو اخوانه المكيين ، كما أن أصحاب السلطة فى مكة رأوا بعد ما أصابهم فى موقعة بدر ، وبعد مالحق تجارتهم من الخسائر ... أن يتساهلوا فى أمور كثيرة مع النبى على شروط تضمن لهم بقاء الكعبة والحج وحفاظ على ماكانت عليه قبل الاسلام ، وأن يشملهم بالعفو - الا بعض أشخاص ، ويشركهم فى عمله الحديد الذى أخذوا يتوقعون منه خيرا لأنفسهم ، وربما كان من شروط التفاهم أن يبقى النبى فى المدينة وأن لا يتعرض فى كلامه لأمزرعهم الماليه ، فكانت الحديبيه وسياسة تأليف القلوب أو بعبارة أخرى

---

(١) بندلى جوزى : ولد سنة ١٨٧١ وينسب الى مدينة القدس ، نشأ فيها فى الفترة التى تمت فيها المؤامرات لانتزاعها من المسلمين ، وقد التحق فى سن مبكره الى جامعة (قازان) على نهر الفولجا فى روسيا درس اللغات السامية ، وتخصص فى المباحث الشرقية ، وتولى التدريس فى معهد للرهبان فى القدس ثم فى جامعة (قازان) ، ثم فى جامعة (باكو) على بحر الخزر وظل هناك حتى آخر أيامه ، من آثاره كتاب الأمومة عند العرب ، وكتاب الامراء الغساسنه - المستشرقون جـ ٣ / ٩٣١ .

، سياسة التسامح والتساهل المتبادل) فصار الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . . . . . لا عن اعتقاد بصحة الدين الجديد الذى لم يكونوا يعرفون عنه الا الشىء القليل ، بل عن رغبة فى التقرب من أصحاب السلطة الجدد ، وحفظا لمراكزهم القديمة وثروتهم المجموعة فى أجيال (١) .

الشبهة الثالثة :-

يحاول بعضهم قصر النصوص الدالة على عالمية الدعوة وعمومها على عموم العرب وحدهم فالجميع هم جميع العرب والعالمون هم عالم العرب ، والكافة هم كافة العرب وهكذا (٢) .

مناقشة هذه الشبهات وتفنيدها :-

أما عن الشبهة الاولى . . . فالرد عليها فى نقاط :-

أولا : أما قولهم أن الرسول عربى فيلزم أن تكون الدعوة عربية . هذا الاستدلال باطل) لأنه لا يلزم من كون الرسول عربيا أن تكون دعوته خاصة بالعرب ، لأن الله تعالى يختار من يشاء من عباده لحمل الرسالة وتبليغها للناس (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٣) .

---

(١) دراسة فى السيرة / عماد الدين خليل ص٢٢ ط٣ / ١٣٩٨ - مؤسسة الرسالة .

(٢) الدعوة فى عصر النبوة / أحمد أحمد غلوش ص ١٤٤ .

(٣) سورة الانعام آية ١٢٤ .

والله تعالى قد اختار رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لحمل رسالته العالميه من أشرف العرب نسبا، وأحسنهم خلقا، وقد جمعت رسالته هذه أصول الرسالات السابقة التى كانت خاصة بالامم السابقة، ثم ان الله سبحانه قد جعل هداية البشرية فى أصلين من ولد ابراهيم عليه السلام ، أولاد اسحاق الذين تناسل منهم أنبياء بنى اسرائيل حتى خاتمهم عيسى عليه السلام ، ولقد سار بنوا اسرائيل فى الطريق الذى اغضب رب العالمين ، فحاربوا الانبياء ، وقتلوا بعضهم ، ولما لم ينتظر من ورائهم خير للبشرية حول الله عز وجل النبوة عنهم الى الاصل الثانى (بنو اسماعيل) حيث بعث فيهم محمدا عليه الصلاة والسلام ليكون هو وأمته شهداء على الأمم السابقة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)(١) .

ثانيا : وأما ظهور الدعوة فى بلاد العرب :-

فاننا اذا امعنا النظر فى أحوال الجزيره العربية وجدنا أن هذه البلاد كانت بالنسبة لغيرها فى ذلك الوقت أصلح بيئة لتنزل الرسالة فيها، فهى بلاد ليس فيها حكومة ولا ملوك يستذلون أهلها ، ولا قوانين ثابتة تسير شعبها ، وانما أمرهم بيد زعماء القبائل يوجهونهم كيف شاءوا .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

وفى المقابل اذا نظرنا الى الظروف فى خارج الجزيره العربية لوجدنا أن العالم الخارجى كانت تقوم بأموره الحكومات التى تعتمد على القوانين والانظمة فى تسيير أمرها وشعوبها ، فتسن لهم قوانين الأخلاق ، وقوانين السياسة والاقتصاد وأنظمة الجيش وقوانين الحروب . . . الخ .

فدولة الروم : يحكمها القياصرة الذين خضع لحكمهم العامة ، فأذلوهم بقوانينهم ، وزرعوا فى نفوسهم المهانة والضعة .

ودولة الفرس يحكمها الأكاسرة ، ولم تكن بأحسن حالا من دولة القياصرة فى أنظمتها وقوانينها ، وقس على ذلك بقية دول العالم .

فلو فرضنا أن الرسول ظهر فى دولة من هذه الدول فان النتيجة الحتمية ستكون محاربة هذه الدعوة والقضاء عليها من يومها الأول ، لأنها مخالفه لأنظمتها وقوانينها المعمول بها ، وستقوم بتجهيز الجيوش ضدها ، واغلاق الحدود أمامها ، حتى يتم القضاء عليها .

وأما أهل الجزيره العربيه فلم يكن لهم حكومة ولا ملوك يستذلونهم وانما أمرهم بيد زعماء القبائل ، تلك القبائل التى تميز نظامها أن تقوم كل قبيلة بالدفاع عن أفرادها ، فلا تسمح لأحد بالاعتداء عليهم ومحمد صلى الله عليه وسلم هو أحد أفراد هذه القبائل ، فلو قام أحد من أجل القضاء عليه لثارت ثائرة قبيلته ولما سمحت بأن يذهب دم ابنها هدرا .

كذلك نجد أن قريشا حاولت بشتى الطرق القضاء على محمد صلى الله عليه وسلم الا أنها ماكانت تستطيع لحماية عمه وقبيلته له وفى الحديث (مابعث الله من نبى ... الا وهو فى ثروة من قومه)(١) .

ولكن قريشا ماكان لها الا التسليم والسكوت عن كره بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يقبل المساومة على دعوته وهو الذى قال لعمه أبو طالب (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته)(٢) .

ولو تصورنا أن فى جزيرة العرب دولة لها أنظمتها وقوانينها فهل يعقل أن تسمح لهذه الدعوة بالنجاح والتقدم ؟ أو أنها ستقف فى وجهها كالطود الشامخ فتمنع انتشارها وبلوغها للناس .

ثالثا : وأما الآيات التى استدل بها أصحاب هذا الرأى :-

وهى قوله تعالى :-

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته)(٣) .

---

(١) المسند جـ٢/ ٣٣٢ والثروة هى الكثره والمنعه .

(٢) سيرة ابن هشام جـ١/ ٢٦٤ - تحقيق محمد خليل هراس .

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا)[١] .
وقوله (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم)[٢] .

فالخطاب فيها إما أن يدل على العموم فيكون المراد منه : (إنا بعثنا اليكم رسولا من البشر إذ كنتم لا تطيقون أن تأخذوا عن ملك من الملائكه ، فمن الله عليكم بأن أرسل اليكم رسولا بشريا ، لكى يتم الأنس بجامع البشرية بينكم ، ولو كان ملكا لم يحصل ذلك الأنس والالفة)[٣] .

قال تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)[٤] .
وإما أن يدل على الخصوص : أى أن الله أرسل رسوله من العرب مثلهم ومن جنسهم لكى يفقهوا حديثه ، فهموا كلامه ، ولا يحتاجون الى ترجمان يترجم لهم كلامه[٥] .

وعلى كلا المعنيين فان هذه الآيات تضمنت إنعام الله تعالى على عباده المؤمنين بأن أرسل لهم رسولا من جنسهم ، واذا كان الرسول من جنسهم فأى مانع يمنع أن يكون رسولا لغيرهم ، علما بأن غير العرب أقرب الى العرب من الجن ، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم تشمل الانس والجن على ماسبق بيانه .

---

(١) سورة البقرة آية ١٥١ .
(٢) سورة الجمعه آية ٢ .
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لابن تيمية جـ١ / ١٦١ مطبعة المدنى وفتح القدير للشوكانى جـ١ / ٣٩٤ .
(٤) سورة الانعام آية ٨ - ٩ .
(٥) فتح القدير للشوكانى جـ١ / ٣٩٤ .

رابعا : وأما عن اختيار العرب لحمل الدعوة الاسلامية :-

فان ذلك الاختيار لا يدل على اختصاصها بهم دون غيرهم من الأمم والشعوب الأخرى .

والآيات التى جاء بها المستشرقون للاستشهاد بها على خصوصية الدعوة بالعرب من مثل قوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) وقوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) .

هذه الآيات لا تدل على اختصاص الرسالة الاسلامية بالعرب ، وانما هى تثبت رسالته صلى الله عليه وسلم اليهم ، وهذا لا ينفى أن تكون لغيرهم كذلك ، وقد وردت فى القرآن آيات أخرى تثبت رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه كما فى قوله تعالى : (وانه لذكر لك ولقومك)[1] .

وآيات تثبت عموم رسالته الى أهل الكتاب قال تعالى :-

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا)[2] . وآيات أخرى غير ذلك كثيرة تدل على أنها للناس جميعا الى قيام الساعة كما سبق بيانه فليس التخصيص فى الآيات التى أوردوها ينافى التعميم فى غيرها من الآيات الأخرى .

---

(١) سورة الزخرف آية ٤٤ .

(٢) سورة النساء آية ٤٧ .

ثم أن اختيار العرب لحمل الرسالة ، وتخصيصهم بذلك انما هو لحكمة من الله عز وجل ، فهو سبحانه الذى يختار مكان الرسالات السماوية والذين يبلغونها ، والذين يحملونها (الله أعلم حيث يجعل رسالته)(١) وكان يمكن أن نقتصر على هذا لكنه لا يمنع أن نلتمس وجوه الحكمة فى اختيار العرب حملة لرسالة السماء الأخيره وجزيرتهم مكانا لها . فمن تلك الوجوه :-

أولا : الفصاحة والبيان وصفاء النفس وقوة الادراك :-

تلك الصفات التى كان يتمتع بها العربى دون غيره من الأمم وهذا أمر طبيعى مهم بالنسبة للدعوة الاسلامية لأن معجزتها معجزة عقلية أدبية ، فلا بد لها من دعاة تتوفر فيهم هذه الصفات لكى يقوموا بتبليغها للناس جميعا .

ونجد أن حامل الدعوة ومبلغها الناس وهو محمد بن عبد الله كان من أفصح العرب ، وقد أعطاه الله جوامع الكلم ، حتى أنه لشدة فصاحته كان يبهر العقول ويستهوى القلوب ، وهو الذى ينطق بالحكمة وفصل الخطاب وقد وصفت حديثه أم معبد بعد البعثه فقالت :-

(اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن)(٢) .

---

(١) سورة الانعام آية ١٢٤ .

(٢) خاتم النبيين / محمد أبوزهرة جـ١ / ٢٣٦ ط١ / ١٩٧٢ .

ورغم الصعاب والعقبات التى واجهت الدعوة الاسلاميه الا أنها شقت طريقها ووصلت الى الناس على يد دعاة تخرجوا من المدرسة المحمدية ، بأفصح بيان وأقصر عبارة مقتدين فى ذلك بقائدهم ومعلمهم محمد عليه الصلاة والسلام ، مما جعل الدعوة تسير فى طريقها المرسوم وتصل الى الاسماع بالحكمة والموعظة الحسنه ، والمجادلة بالتى هى أحسن .

ثانيا : اتصاف العرب بالشجاعة والشهامة ، وعدم الاستسلام والصبر على الشاق ووجود العزة والكرامة والأنفة فى نفوسهم ، اذا وجدوا القائد الذى يقودهم ، وقد أحسن الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وصفه لهم حيث قال (مثل العرب، كمثل جمل أنف فليعلم قائده أين يقوده)[1].

ولما كان لا بد للدعوة الاسلامية من رجال يقومون بنقل هدايتها الى أمم الارض وتبليغها للناس ، وهذا أمر صعب وشاق ، تعترضه العقبات وتقف فى وجه أصحابه المصاعب ، ولا بد لأزالتها من الشجاعة والصبر ، وهاتان صفتان قد تحلى بهما العرب ، وجمعوا اليهما الشهامة والجود . وقد كان لهذه الصفات الأثر الكبير فى نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها للناس فى أول أمرها ، فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعرضون

---

(١) خاتم النبيين / محمد أبوزهرة جـ١ / ٦٠ .
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب للالوسى ص ٢٧ .

لصنوف الايذاء، وأشد أنواع العذاب على يد مشركي مكة وهم صابرون محتسبون، يعملون على تبليغ دعوتهم ، وها هي قريش تفرض عليهم الحصار لمدة ثلاث سنوات فلم يفت من عزمهم ، ونجد بعض سادة قريش لا يرضون بهذه المقاطعة الجائرة بل يقومون في الخفاء بارسال الطعام والشراب للمسلمين في شعبهم، ومنهم هشام بن عمرو، وزهير بن أمية، وهم الذين عملوا على نقض هذه الصحيفة.(١) وهذا يدل على الشهامة والمروءة، وقد أشار ابن خلدون الى أن العرب أسرع الناس قبولا للحق، والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات ، وهم أقرب الى الشجاعة، لأنهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها الى سواهم ، ولا يشقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح .... وقد صار لهم البأس خلقا ، والشجاعة سجية ، وأهل البدو منهم أشد بأسا ممن تأخذه الاحكام ،وهم لا يزالون موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في النطق ، فالبيان سمتهم بين الأمم منذ كانوا...(٢) .

وبالرغم من وجود هذه الصفات الطيبة عندهم الا أنها لم تكن صافية تماما ، وانما كانت مختلطة بأوضار الجاهلية ،فقد كان فيهم التهور والتعصب والانحراف النفسي، وحب الغارات ،فلما جاء الاسلام محص هذه الاخلاق للحق ونظفها من سوءات الجاهلية ،ووجهها وجهة الحق والخير.

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ / ٣٩٢ محمد خليل هراس.

(٢) لماذا ظهر الاسلام في جزيرة العرب/أحمد سالم ص٥٣ بيروت /١٩٧٧.

ثالثا : ظروف العالم الخارجى ، هيأت الجزيره العربية للرسالة :

ونستعرض فيما يلى ما أمتازت به الجزيرة العربيه من المؤهلات التى ساعدتها لأن تكون موطن الرسالة الخاتمه ثم نتبع ذلك بالحديث عن أحوال العالم الخارجى وظروفه .

أ - الجزيرة العربية : -

توفر للجزيرة العربية أمور لم تتوفر لغيرها من البلاد الخارجية منها :-

١ - موقعها الجغرافى الممتاز :-

فهى تقع فى وسط العالم ففى شرقها الخليج العربى ونهر الفرات ، وكانت هناك دولة فارس ، وفى شمالها البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هناك دولة الروم فى بلاد الشام وفلسطين ، وفى غربها البحر الأحمر وقناة السويس ، وفى جنوبها المحيط الهندى وخليج عدن .(١)

وهى جزيرة مترامية الاطراف ، ترتبط ببلاد العالم المختلفة شرقا وغربا ، وتتصل بأطرافه جنوبا وشمالا ، وقد هيأ لها هذا الموقع الممتاز سوقا تجارية داخلية وسوقا خارجية عالمية ، وموقعها هذا يسر لأهلها الاتصال بكل شعوب العالم على السواء ، فقد كانت طريقا للتبادل التجارى بين الممالك

---

(١) جزيرة العرب / حافظ وهبة ص ١ ط ٥ / ١٣٨٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - حضارة العرب فى العصور الاسلامية د . / مصطفى الرافعى ص ١٧ ط / ١٩٧٨ - دار الكتاب اللبنانى .

المتاخمة ، وكانت مكة أهم المراكز التجارية ، ولأمر ما سمى الله عز وجل مكة بأم القرى ، فكأنها الأم وما حولها تابع لها .

ومع اتساع الجزيرة وصعوبة المواصلات بها وكثرة الجبال والهضاب التى تعوق السير فيها ، الا أن العربى استطاع تذليل تلك الصعاب عن طريق معرفة طرقها وشعابها .

٢ - كان فى الجزيرة بقايا من دين ابراهيم عليه السلام ، وهو دين التوحيد ، وقد وفدت الوثنية الى جزيرة العرب عن طريق بعض القبائل من النصارى مثل نصارى نجران وتغلب التى غلب عليها عبادة الآلهة المصنوعة من دون الله .

وقيل إن الوثنية دخلت الى جزيرة العرب على يد عمرو بن لحى الخزاعى ، فكان أول من غير دين اسماعيل جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار إنه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى (١) .

ولما طال الزمن بين العرب ودين اسماعيل ، تغيرت عقائدهم ، ونسوا دين التوحيد ، الا أنه بقى بعض الاشخاص من ذوى العقول وأصحاب البصائر يبحثون عن الحقيقة وهم المعروفون بالحنفاء مثل

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ / ٨٥ - تحقيق محمد خليل هراس .

ورقه بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث .

وقد اجتمعوا فقال بعضهم لبعض (تعلموا والله ماقومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ماحجر نُطيف به (١) ، لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم دينا فانكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين ابراهيم أما عبيد الله بن جحش فقد أسلم ثم تنصر ومات على النصرانية في الحبشة .

وأما ورقه فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب وصار عنده علم بها ، وظل حتى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فنبأه بالرسالة . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فأقام عنده ، وأما زيد بن عمرو فلم يدخل في اليهودية ولا في النصرانية ، وفارق دين قومه ، واعتزل الأوثان والأصنام والميتة والدم ونهى عن قتل الموؤدة وقال أعبد رب ابراهيم .

وكان يقول لقومه (ما أصبح أحد على دين ابراهيم غيري ثم يقول (اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب اليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته) .

---

(١) أي نلم به ونقبل عليه .

وقد سأل سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب رسول الله أن يستغفر لزيد فقال لهما نعم فانه يبعث أمة وحده (١) ! وهذا يدل على وجود بعض النفوس الطيبة التي تحب الحق وتبحث عنه ، مما يساعد على تهيئة الفرصه أمام الدعوة ونشرها .

٣ - كان أهل الجزيرة عربا رحلا ينتقلون وراء الماء والكلأ ، ولا يألفون الحضر ، ولا يطيب لهم الاستقرار . وفي الانتقال من مكان الى مكان مصلحة للدعوة ، فهو يسهل نقلها للناس ونشرها بينهم .

ب - وأما أحوال الدول الخارجيه :-

فنقدم موجزا لأهم أوضاع الدول الخارجيه عن جزيرة العرب ، وكيف تردت أحوالها ، وساءت أمورها على يد حكامها ، وغلبت عليها الوثنية العمياء التي لم تدع مجالا أمام عقول هؤلاء القوم للتعرف على التوحيد والخضوع له ، بخلاف أهل جزيرة العرب الذين تقدم وصفهم وظهر بالبحث أنهم كانوا أصلح الاجناس يومئذ لنزول الرسالة عليهم .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ / ٢٢٦ ومابعدها - تحقيق محمد خليل هراس.

أ - دولة الروم :-

وهى احدى الأمبراطوريات القديمة التى كانت أجزاؤها متاخمة لجزيرة العرب ، أسسيت سنة ٧٥٣ ق.م. وانتخب روملوس أول ملك لها .

وقد قسم شعبه الى ثلاثة أقسام ، طبقة الاشراف والامراء ، وهى صاحبة الحول والطول والمال . ، وطبقة الفرسان والمحاربين ، وعامة الشعب وهما طبقتان لا قيمة لهما ولا وزن .(١)

وقد تتابع الملوك على هذه المملكة ، وقد بلغت ذروة عزها ومجدها فى زمن اتحادها ، واتسعت رقعتها ، وحكمت أقساما كبيرة من العالم فى أوربا ، وطرفا من آسيا وأفريقيا ، ثم مالبثت أن دخلها التفكك والانقسام ، وقد تم انقسامها بعد موت قسطنطين الأكبر سنة ٣٢٣-٣٣٧ . حيث أنها قسمت بين أولاده ثم اتحدت وقسمت مرة أخرى الى أن تم تقسيمها الى امبرطوريتين شرقية وعاصمتها القسطنطنية وغربيه وعاصمتها روما .

وقد بدأ الانحلال والضعف بعد الانقسام ، فظهرت علامات التفرق وظهر التنازع بين الأحزاب السياسية والفرق الدينية ، واختلف الأمراء على الحكم وتدخل الأجانب فى ذلك ، وكثرت الغارات البربرية على الأمبراطورية الغربيه التى لم تعش طويلا ثم ذهبت ، فقد بقيت مدة احدى وثمانين عاما ثم سقطت سنة ٤٧٦ وهذا هو مبدأ القرون الوسطى .(٢)

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى جـ٤ / ٤٢٩ - وما بعدها كلمة روم .

(٢) الاسلام ظهوره وانتشاره / حامد عبد القادر ص٧٨ ط٢ / ١٣٧٤ .

وأما الأمبراطورية الشرقية فلم تكن أحسن حالا من الغربية فقد ظهرت فيها الفرق الدينية ، وعمت فيها الخلافات المذهبية بين أتباع المسيح ، فمن قائل بألوهية المسيح ، ومن قائل بأنه عبد ورسول الى غير ذلك من الأقوال .

وقد عقدت المجامع لفض الخلافات المذهبية ، ولكن أصحاب المذاهب تعصب كل لرأيه ، ولم تنته هذه الخلافات بل زاد تمسكهم بمذاهبهم ، ودفاعهم عنها ، فظهر على اثر ذلك النفى والتشريد لأصحاب المذاهب المخالفة ، وانتشر الفساد وعم الظلم ، وخضعت عقيدة المسيح للرأى ودخلتها الفلسفة فانحرفت عن الطريق المستقيم الذى جاء به المسيح (١) .

وقد تدخل الحكام فى ذلك وحاولوا فرض مذاهب معينة على الناس وقد سببت الخلافات الدينية فى هذه الأمبراطورية خصومات اجتماعيه ودولية كما جرت الخصومات التجارية والزوجية الى خصومات مذهبية ، حتى كانت أطراف المدينة ملأى بالجدل العقيم فى الدين ، فى الأسواق وعند باعة الملابس ، والصيارفة ، وتجار الأطعمة تجد الجدل عما خلق وما لم يخلق ، وأيهما أعظم الأب أو الابن (٢) .

يقول المؤلف الانجليزى ولز :-

(لقد حل الدمار بالأمبراطورية الرومانية ، وساءت أحوالها السياسية والاقتصادية وكانت حضارتها قائمة على أكتاف الفقراء الذين كانوا يعملون

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى جـ٤ / ٤٢٩ وما بعدها دار المعرفة - بيروت .

(٢) انتشار الاسلام / محمد كمال حسين ص٢١ ط١ / ١٩٧٦ .

لحساب الأغنياء فكانت في ظاهرها عظيمة فخمة ، ولكنها كانت في الباطن مليئة بالقسوة والغباوة والجهل والجمود (١) .

وقد غلب على المجتمع الروماني التناقض والفساد ، فقد ظهر التناقض في الحياة الاجتماعية حيث رسخت النزعة الدينية في أذهانهم ، وانتشرت الرهبنة في البلاد في عرضها وطولها ، وصار الرجل المادي يتدخل في الابحاث الدينية العميقة ، وغلب على الناس المذهب الباطني ، والى جوار ذلك انتشرت حياة اللهو واللعب ، وحرص الناس عليها ، ففتحوا ميادين الرياضة الواسعة ، التي تتسع لجلوس ثمانين ألف شخص من المتفرجين على المصارعات ، بين الرجال والرجال أحيانا ، وبين الرجال والسباع أحيانا أخرى ، واتسمت حياة سادتهم بالمجون والترف والمؤامرات وقبائح الأعمال والمادات (٢) .

لقد كانت هذه النزعات مظهرا من مظاهر انفجار العقل البشري ، وفوران الدم الانساني الذي لم يعد يتحمل مثل هذه الآراء المستحدثة التي خالفت تعاليم الديانة المسيحية .

ولم يكن الأمر مقصورا على الامبراطورية الرومانية بل انعكس ذلك على الولايات التابعة لها ، في مصر حيث ظهر الاستبداد السياسي ، وشاع البؤس والشقاء والحرمان بالرغم من كثرة خيرات البلاد التي وجهت لمصالح الحكام .

---

(١) الاسلام ظهورة وانتشاره / حامد عبد القادر ص. ٨ ط ٢ - نهضة مصر .

(٢) السيرة النبوية / لابي الحسن الندوي ص. ١ دار الشروق .

وفى سوريا : فهى ليست أسعد حظا من مصر ، فقد أثقل الشعب بالضرائب مما اضطرهم فى كثير من الأحوال الى بيع أولادهم لدفع الضرائب.(١)

والى جانب ذلك ظهر الاضطهاد الدينى فى هذه الامبراطورية وولاياتها المتعددة ، وقد سبق أن أشرنا الى ماأصاب المسيحية ودعاتها على يد حكام الرومان، وذلك فى عهد نيرون الذى كان يضعهم فى جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب واتخذ من أجسامهم مشاعل يستنير بها ، وفى عهد دقلديانوس سنة ٢٨٤ - ٣٠٥ م. وفى عهد غيبوس، وظل الأمر كذلك حتى جاء قسطنطين فى أوائل القرن الرابع فكان رحمة على المسيحية، وقد حاول فى الخلافات المذهبية ولكنه لم يستطع فدعا الى مجمع نقية سنة ٣٢٥ فقرر فيه عقيدة الألوهية بالنسبة للمسيح، وقرر الاناجيل الأربعة المعتمده وأحرق ماسواها(٢)، كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى باب المصادر .

ان هذه الصورة القاتمه التى كشفت أحوال الدولة الرومانية لتشير الى أن هذه الدوله كانت سائرة فى طريق الهاوية ، والانحلال فى جميع المجالات الحيوية والعلمية ويعلق على ذلك ولز . (بأنه ظهر لكثير من الناس فى تلك الأيام المظلمه أن العلوم والفلسفه وكل مايرغب فى الحياة ، ويجعلها مما يعتد به سائرا فى طريق الفناء(٣) .

---

(١) السيرة النبويه / للندوى ص. ١٠ دار الشروق .
(٢) المسيحيه / أحمد شلبى ص. ٧٠ ومابعدها ط٥ مكتبة النهضه المصريه . - محاضرات فى النصرانيه / أبوزهره ص ٢٥ ومابعدها ط/ ١٣٦١ - مطبعة العلوم بشارع الخليج .
(٣) موجز تاريخ العالم / ه.ج . ولز ص ١٩٣ بتصرف.

دولة فارس :-

لم تكن الا بقايا دولة أصابها ما أصاب الامبراطورية الرومانيه من فساد العقيدة وسوء الأخلاق ، وتغلب الشهوات على النفوس ، وظهور الطبقات ، حيث قامت الجماعة الايرانية على عمادين النسب والملكية ، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمه ، وكان التمييز يبدوا واضحا فى المركب والملبس والمسكن ، والنساء والخدم جاء فى كتاب ايران فى عهد الساسانيين مايلى :-

(وميز الاشراف عن المحترفه والمهنه باللباس والمركب والزينه ، كما ميزت أزواجهم بثياب الحرير والقصور العظيمة ، والسراويل وغطاء الرأس والصيد ، وبكل مزايا الأشراف)(١) .

وقد جار الحكام وظهرت المذاهب الفاسدة من زارد شت(٢) به ظهرت فى القرن السابع قبل الميلاد كانت تعبد مظاهر الطبيعة ، متبعة فى ذلك أسلافها ، وقد بنت عقيدتها على وجود النزاع بين القوى المختلفه من النور والظلمة ، والخصب والجدب وإله الخير وإله الشر(٣) .

---

(١) ايران فى عهد الساسانيين / أرثركريستنسن ص٣٠٢ نقلا عن كتاب تنسر .

(٢) زرداشيته : نسبة الى زارد شت بن يورشب الذى ظهر فى زمن كستاسف بن لهراسب الملك ، وأبوه من أذربيجان وأمه من الرى وقد زعم أنه نبى ورسول الى الخلق .
الملل والنحل / للشهرستانى جـ٢/٧٧ هامش الفصل .

(٣) الملل والنحل / للشهرستانى جـ٢/٧٧ هامش الفصل .

وما نوية[1] ظهرت فى أوائل القرن الثالث المسيحى مؤلفة من النصرانيه والزرداشتيه داعية الى الرهبنه ، وحرمت النكاح لكى تستعجل فنـــاء العالم[2].

ومزدكية[3] ظهرت فى أوائل القرن الخامس المسيحى قامت على الثانوية فهى تقول بالنور والظلمة ، وتدعو الى الاشتراكيه ، ولا باحية والفوضى فـــى الأموال والاعراض ، لاعتقادهم أن الناس ولدوا سواء فيجب أن يعيشوا سواء ، وأهم ماتجب فيه المساواه المال والنساء ، فاحلت النساء وأباحت الاموال ، وجعلت الناس شركة فى ذلك كاشتراكهم فى الماء والنار والكلاء ، وقالوا ان الله جعل الارزاق فى الارض ليقسمها الناس بينهم بالسواء ، ولكن الناس تظالموا ، وقد عم هذا المذهب ، وصار أتباعه يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونـــه على منزله ونسائه وأمواله .

ومضت فترة فى الناس أصبح الرجل لا يعرف ولده ، ولا المولود أبـــــاه فنشأ جيل لا كرامة له ولا عمل .

---

(١) المانوية : نسبة الى مانى بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمن شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور وذلك بعد عيسى عليه السلام ، كان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام وتقوم عقيدته على وجود أصلين فى العالم هما النور والظلمه .
الملل والنحل جـ٢ / ٨١ - هامش الفصل .

(٢) المرجع السابق جـ٢ / ٨١ .

(٣) تنسب الى مزدك الذى ظهر فى أيام قباد والد أنوشروان ، وقد دعا قباد الى مذهبه فاجابه ، فاطلع انوشروان على فضائحه فقتله .
(الملل والنحل / للشهرستانى جـ٢ / ٨٦ هامش الفصل) .

وقد كانت هذه الاعمال فى نظرهم من البر الذى يرضاه الله ويثيب عليه احسن الثواب .

يقول صاحب كتاب أيران فى عهد الساسانين :-

(والواقع أن زواج المحارم كان لا يعتبر سفاحا ، بين الاقارب ، ولكنه عمل صالح يثاب عليه صاحبه من الناحية الدينيه .) (١) ، (٢) .

وقد كان عامة الناس يعيشون فى هذه الدولة على أسوأ حال ، حيث سيطر الفقر على المجتمع ، وخيم الذل ، وهان الناس أمام الحكام ، الذين احتكروا خيرات البلاد واملاكها لأنفسهم ، فكان ذلك واضحا فى ايوان كسرى حيث كانت توجد فيه العجائب من البسط ، والخدم والحشم الذين تخصصوا لخدمة الملوك .

وعندما استولى المسلمون على ايوان كسرى خرج يزدجرد آخر ملوكهم هاربا بنفسه ، ومعه ألف طباخ ، وألف مطرب ، . . . . . وحاشية أخرى ، وكان يستقل هذا العدد (٣) .

---

(١) ايران فى عهد الساسانين ص ٣١١ ط/ ١٩٥٧ لجنة التأليف والترجمه والنشر .

(٢) انظر كتاب الملل والنحل / للشهرستانى جـ٢/ ٧٧ - ٩١ - ٨٦ ومابعدها فجر الاسلام/ أحمد أمين ص ١٠٤ ط/ ١٠ دار الكتاب العربى - بيروت مطلع النور / عباس محمود العقاد ص ٧٧ الموسوعه جلد / ١ .

(٣) ايران فى عهد الساسانيين ٤٨٥ ط ١٩٥٧ - مصر .

أما الأمبراطورية الهندية والصينية :-

فقد كانتا أمبراطوريتين منعزلتين عن العالم ، جعلتا حول أنفسهما سورا منيعا .

أما الهند :-

فقد وصلت الى درجة الانحطاط فى أول القرن السادس الميلادى ، بعد أن تقدمت فيها العلوم ، والفلسفة ، وكانت مركزا من مراكز الحضارة القديمة فى العالم .

وقد ظهرت فيها عقائد زائفة ومذاهب باطلة نظرت الى المرأة بأنها لا قيمة لها ولا كيان ، وقد كان يصل الأمر بالرجل أن يلعب القمار على زوجته ، واذا مات الزوج حرم عليها الزواج بعده ، وظهرت عادة احراق المرأة بعد زوجها ، وخاصة فى الطبقات الشريفة من باب الوفاء والاخلاص لزوجها ، وانتشر مذهب اباحة النساء ، وقد بلغ من الفحش أن يصل الكاهن الى العروس فى يومها الأول ، لكى ينشر عليها وعلى زوجها البركة والنعمة (١) .

---

(١) محمد المثل الكامل / محمد جاد المولى ص ٥٩ ط/٦ مكتبة محمد على صبيح .

وعمت الطبقية الفاحشة ، وقسم الشعب الى عدة طبقات[1] وأضفوا على هذا التقسيم صبغة دينية من كتبهم كما جاء في قوانين منو[2].

(ثم خلق البرهمى من فمه والكاشتريا من ذراعه ، والوشيا من فخذه ، والشودراء من رجله ، فكان لكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو)[3].

وقد صارت حالة البلاد نتيجة ذلك فى فوضى واضطراب ، مزقتها الحكومات ، والادارات وانتشر الظلم ، وعم الفساد ، وانتشرت الخرافات .

---

(١) أ - البراهمة : وهم رجال الدين ، وأصحاب الحل والربط ، وهم الذين خلقوا من فم الاله براهما .

ب - طبقة الكاشتريا : وهم طبقة رجال الملك والحرب وهم مخلوقون من ذراع الاله براهما .

جـ - طبقة الوشيا : وهم طبقة التجار والزراع وهم مخلوقون من فخذ الاله براهما .

د - طبقة الشودراء : وهم طبقة العبيد والخدم للطبقات السابقة وهم مخلوقون من رجل الاله براهما .

(٢) كتاب منو : وهو كتاب جامع يحتوى على الشرائع التى تتبعها الطوائف الهندوسية ، وقد قال عنه ناشره بانه مؤلف عتيق لا نعرف مبدأه ولا مؤلفه ، وزعم بعضهم : أنه تأليف أول انسان على الارض ، أو أول عارف وضعه بالهام من الله ، ولكن الاصح أنه وضع فى فترات متتالية بعيد ما بينهما ، لانه ورد ذكره فى المؤلفات التى يرجع عهدها الى القرن السابع ق . الميلاد ، مما يدل على أن بعض اجزائه كتب قبلها .

(أديان الهند الكبرى / أحمد شلبى ص٨٥ عن الفقه الهندوسى) .

(٣) أديان الهند الكبرى / أحمد شلبى ص ٥٦ .

نقل الشيخ أبو الحسن الندوى عن مؤرخ هندوسى وأستاذ فى احدى جامعات الهند قوله :-

(كان أهل الهند منقطعين عن الدنيا ، منطوين على أنفسهم ، لا خبرة عندهم بالأوضاع العالمية ، وهذا الجهل أضعف موقفهم فنشأ فيهم الجمود ، وعمت فيهم امارات الانحطاط ، وظهر التفاوت العظيم بين الطبقات ، ومنع الايامى من الزواج وشددوا على أنفسهم فى أمور الطعام والشراب)(١) .

وأما الصين : فلم تكن أحسن حالا من الهند ، فقد انتشرت فيها عبادة المظاهر الطبيعية ، وعبادة الأرواح الكامنة فى الاشياء ، وتقديس الصور الرهيبة التى على وجه الأرض ، وعبدوا الريح والرعد والاشجار والجبال والأفاعى ، ولم يقف الأمر عند هذا بل عبدوا أرواح أسلافهم وحكمائهم وأبطالهم ، وظهرت فيهم الديانات المتعددة كالكنفوشيوسيه (٢) ، والداوية (٣) ، والبوذية (٤) .

---

(١) السيرة النبوية / للندوى ص ١٧ - دار الشروق .

(٢) الكنفوشيوسيه : من الديانات الصينية ، مؤسسها كونفوشيوس المولود (٥٥١ - ٤٧٩) ق.م. وهى ليست دينا فى نظر كثير من المفكرين ، لأنها مجموعة من الحكم والاقوال العظيمة نطق بها مؤسسها ، لم يتعرض صاحبها للحديث عن العبادة والعبادات ، وذكر عنه أنه كان يسلم بشرائع السماء ، حارب الطبقية ، ورفض الكهنوت ودعا الى الفضيلة وخلف تراثا قيما فى خمسة كتب تدعى (كنج) وهى حكم وأمثال .

(الاديان دراسة تاريخيه مقارنه / رشدى علبان وسعدون الساموك ص ١٠٧ وما بعدها ، ٠٠ / بعده .

١٠/٠١

(٣) الداوية : احدى الديانات الصينية نشأت الى جانب الكونفوشيوسيه مؤسسها (لاوتس) وهو المسمى الفيلسوف العجوز ولد فى القرن السادس قبل الميلاد ، ولما بلغ التسعين من عمره كتب كتابه (العقل والفضيله) فاصبح كتابا مقدسا لطائفه من الصينيين ، دعيت فيما بعد بالداويه ، وكلمه (داو) تعنى الله أو طريقة التفكير أو الامتناع عن التفكير لأن فلسفة داو تنصب على هجر التفكير ومن عقائدها ضرورة الايمان بداو ، وهى تميل الى السكون والهدوء والاستسلام للطبيعة وقد زاد أصحاب داو فى هذه العقيدة بعده حيث ألهوا كل شىء فى الطبيعة حتى الفئران والثعابين ... الخ .

(الاديان / رشدى عليان ص ١١٠ - ١١١ .

(٤) البوذية : مؤسسها سدهارتا (٥٦٠ - ٤٧٠) ق.م. وهى احدى الديانات الهندية ، وقد انصبت الدعوة البوذية على تطهير النفس ، والعمل على ازالة الآلام والرذائل التى منشؤها اللذات والانهماك فيها وحاربت نظام الطبقات ، ورفضت الرهبنة ، ولها كتاب مقدس يسمى السلاسل الثلاث .

١ - سلة النظام . ٢ - سلة العظات. ٣ - سلة العقائد .

ومن عقائدها الكارما (قانون الجزاء) والنرفانا (التخلص من تكرار المولد)

(الاديان / رشدى عليان ص ٩٦ - ١٠٣) .

وعلى كل حال فالعالم كان في ظلام دامس في القرن السادس الميلادي ، وهذا القرن يعتبر من أحط أدوار التاريخ ، حيث سادت الهمجيه ، والخرافات وانتشر الظلم ، وعمت الفوضى في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وقد كان مبعث ذلك الانحراف عن الشرائع السماوية واتباع أهواء النفوس وشهواتها .

وقد أدى هذا الاضطراب الى تعطيل الفكر الانساني ، وتبلده ، وايقاف طاقاته العلمية ، وشيوع الانحلال الخلقي ، وظهور العصبيات ، وفرض القيود على العقول والقلوب معا ، وطغيان المادة على الروح ، وأصبح البذخ والترف غاية الحياه .

العالم بحاجة الى منقذ :-

فاذا كانت حالة العالم هكذا فهو بحاجه الى انقاذ سريع ، وعلاج حاسم ، فكانت الدعوة الاسلامية التي انبثقت من الجزيرة العربية تشقى السقم ، وتطب للعالم ، وتحييه من جديد وبالمقارنة بين أوضاع العالم الخارجي عن الجزيره العربية ، وأوضاع الجزيره العربية نجد أن الوضع في الجزيرة العربية على ماكان فيه من علل وانحراف أنسب حالا من غيره ، فانبثقت منها الدعوة الاسلامية .

ونعود فنقول : تلك حكمة الله (والله أعلم حيث يجعل رسالته) .

خامسا : القرآن عربي :-

وأما دعواهم بأن القرآن عربي فيلزم من ذلك أن تكون الدعوة للعرب ، فهذا قول باطل ، ومردود عليهم لأنه لما كان الرسول عربيا ناسب أن تكون لغة الدعوة هي لغته التي يتكلم بها حتى يتمكن من افهامها للناس وايصالها لهم ، وكذلك لما كان نزول الدعوة بأرض العرب ناسب أيضا أن تكون هذه الدعوة بلغتهم لكي يفهموها ، ثم يقوموا بنقلها وتبليغها للناس .

ونزيد قائلين لهؤلاء الذين يدعون هذه الدعوى :-

١ - ان اعترافكم بالرسالة المحمدية الى العرب ، يلزم من ذلك تصديقكم له فيما قال وما أخبر ، ويلزم بذلك تصديقكم بما جاء في الكتاب المنزل عليه ، وقد جاء في هذا الكتاب التأكيد على عموم الدعوة الاسلامية وشمولها للعالمين (١) .

قال تعالى :-

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (٢) .

وقال : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (٣) .

وقال (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) (٤) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لابن تيمية جـ١ / ١٦٤ . مطبعة المدني .

(٢) سورة الانبياء آيه ١٠٧ .

(٣) سورة سبأ آيه ٢٨ .

(٤) سورة الاعراف آيه ١٥٨ .

وإن لم تصدقوا بذلك فأنتم كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض .

٢ - ثم انه قد جرت سنة الله فى الرسل السابقين الذين بعثهم الى أقوامهم أنه كان يبعث كل رسول بلغة قومه .

قال تعالى :-

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)(١) .

وها هى الكتب السماوية التى أنزلها الله تعالى قبل القرآن أكبر شاهد على ذلك ، فالتوراة أنزلت باللغة العبرية ، وموسى عليه السلام كان يتكلم بها ، وكذلك الانجيل أنزله الله بالعبرية أيضا ، وسائر أنبياء الله كانوا يخاطبون أقوامهم بلغتهم التى يفهمونها ويعرفونها .

والدعوة الاسلامية جاءت بلغة العرب الذين بعث منهم محمد عليه الصلاة والسلام كذلك . قال الله تعالى :-

(انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)(٢) .

وأما تبليغ الاقوام الذين لا يعرفون العربية فيتم عن طريق الترجمة ، أو بتعلم الأقوام الأخرى لغة الدعوة ومعرفة معانيها ثم ان شرط التكليف بالشريعة الاسلامية هو تمكن العباد من فهم ماجاء به الرسول من عند الله اليهم ، ويحصل ذلك بأن يرسل الرسول

---

(١) سورة ابراهيم آيه ٤ .

(٢) سورة يوسف آيه ٢ .

بلسان يعرف به مراده ، ويستطيع الناس معرفة مراد الرسول بترجمة معاني ما جاء به الى لغتهم ، أو معرفة لغته التي جاء بها . والذي لا يمكنه فهم ما جاء به الرسول الا بتعلم لغته وجب عليه تعلمها ، لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .(١)

ويلاحظ أن الله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)(٢) . ولم يقل وما أرسلنا من رسول الا الى قومه ، ولكن الله تعالى يبين أنه أرسله بلسان قومه ، فاذا بين لهم ما أرسل به حصل المقصود لهم ولغيرهم ، لأن قومه الذين بلغهم دعوته يمكنهم تبليغ دعوته ونقلها الى الأمم الأخرى ، عن طريق الترجمة ، ويمكن غيرهم أن يتعلم لسانهم ، وبهذا تقوم الحجة على الخلق ويحصل لهم الهدى .(٣)

ومن هذا يتبين أنه لا يشترط على الرسول الاحاطة بجميع لغات العالم لأن الرسول بشر وهو محدود الطاقة والمقدرة ، والله تعالى يقول على لسان رسوله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي)(٤)

فالرسول بشر كسائر البشر الا أنه يتميز عليهم بأنه يوحى اليه من عند الله .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لابن تيميه جـ١ / ١٨٦ .
(٢) سورة ابراهيم آيه ٤ .
(٣) المرجع السابق جـ١ / ٩٠ .
(٤) سورة الكهف آيه ١١٠ .

كما أنه فى مقابل ذلك لا يشترط أن تكون لغة الاجناس البشريه على وجه الأرض واحدة ، لأن الله تعالى خلقهم مختلفين فى الاجناس والألوان واللغات قال تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)(١) .

واذا نظرنا الى العالم فى هذه الايام نجد أنه يتم التفاهم بين شعوبه عن طريق الترجمة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد تغلب على مشكلة تعدد اللغات بتعليم بعض أصحابه للغة الأقوام الآخرين ، فمن ذلك عندما كانت ترد اليه بعض الكتب السريانيه دعا زيد بن ثابت وقال له : انى أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا فتعلم السريانية ؟ قال زيد : فتعلمتها فى سبعة عشر يوما)(٢) .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود حيث قال له (تعلم كتاب يهود فانى ما آمنهم على كتابى ففعلت ، فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له اليهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له)(٣) .

وبهذا تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التغلب على هذه المشكله .

---

(١) سورة الروم آية ٢٢ .

(٢) الاصابة فى تميز الصحابة / لابن حجر العسقلانى القسم الثانى / ٥٩٣ و ٥٩٤ - حرف الزاى مع الياء تحقيق على محمد البجاوى / مطبعة نهضة مصر .

(٣) المرجع السابق جـ٢ / ٥٩٣ .

٣ - ثم ان الناظر فى مبادىء الدعوة الاسلامية وتعاليمها وأحكامها يجدها عامة لكل الأجناس، لا تختص بشعب دون شعب ولا بزمان دون غيره ، ولا بمكان دون آخر - حتى يقال إنها للعرب وحدهم -.

والمسلمون كلهم سواء أمام أحكام الاسلام لا فرق بين عربى أو تركى ، أو ايرانى أو هندى ، ولا تفاضل الا بالتقوى والعمل .

٤ - ثم انه لا يجب على المسلم فهم كل آيه من كتاب الله تعالى ، بل يجب عليه أن يعلم ما أمره الله به ، وما نهاه عنه ، بأى وسيلة كانت وهذا أمر ممكن لجميع الأمم والشعوب ، لذلك نجد أن الدعوة الاسلامية قد انتشرت فى العالم ، وعمت بقاع الدنيا ، ودخل فيها العجم من الفرس والترك والهند ، وغيرهم من شعوب العالم ، وها هى الدعوة فى هذه الأيام تخترق القارات الخمس ، ويدخل الناس فى الاسلام على يد دعاة الله فى كل مكان . علما بأن كثيرا من الشعوب لا يعرف اللغة العربية وقد وصلتهم أحكام القرآن عن طريق الترجمه (١) .

سادسا : أما ما استدل به البعض من مثل قوله تعالى :-

أ - (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٢) .

ب - (لتنذر أم القرى ومن حولها) (٣) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ١ / ١٩٤ ط. المدنى .

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٣) سورة الانعام آية ٩٢ وسورة الشورى آيه ٧ .

جـ - (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون)[1] .

فالرد عليهم بما يلي :-

أما الآية الأولى وهي قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) . فهي مكية نزلت في بداية الدعوة الاسلاميه ، وكل دعوة لابد أن تمر بمراحل تتدرج خلالها ، لكي تصل الى أهدافها ، وتبلغ غاياتها ، ويتم تبليغها للناس ، واذا نظرنا الى أول الآيات نجد أن الله تعالى بدأ برسوله فنهاه أن يتخذ مع الله الها آخر ، ثم كلفه بانذار أهله .

قال تعالى (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ، وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)[2] .

فالداعية يبدأ بنفسه ثم بأقرب الناس اليه ، لأنه اذا طبق الدعوة على نفسه والتزم بها ، سهل عليه دعوة غيره واستجابتهم .

فاستدلالهم بهذه الآيه ليس له سند أو دليل علمي ، لأن الآيه لا تزيد على كونها بيان لمرحلة من مراحل تبليغ الدعوة لا أكثر .

يقول الرازي : ان الله بدأ بالرسول نفسه فتوعده ان دعا مع الله الها آخر بقوله له (فلا تدع مع الله اله آخر فتكون من المعذبين) . وبعدها مباشرة أمره بدعوة الأقرب فالأقرب ، وذلك لأنه اذا تشدد

---

(١) سورة القصص آية ٤٦ .

(٢) سورة الشعراء آيات ٢١٣ : ٢١٥ .

على نفسه أولا ، ثم على الأقرب فالأقرب ثانيا ، لا يكون لاحد مطعن عليه ألبته ، وكأن قوله أنفع وكلامه أنجح (١) .

فالدعوة الاسلامية بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قومه ، وبأقرب الناس اليه والزمهم به ثم وسع نطاق الدعوة عندما نزل عليه قول الله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) فصعد على الصفا وأخذ ينادى يابنى فهر ، يابنى عدى - لبطون قريش حتى اجتمعوا ..... فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم ، ما جربنا عليك الا صدقا قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... الخ (٢) .

وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم سار فى دعوته حسب الطريق الذى رسمه له رب العزة والجلال ، فى تبليغ دعوته ، حيث انه بدأ بدعوة أقرب الناس اليه ، ثم أخذ يتدرج ، فبعد أن دعا قريشا قام بدعوة من جاورها ، وذلك عندما ذهب الى الطائف لدعوة أهلها ، بعد أن أبت قريش الاستجابة له ومناصرته ، وبعد عودته من الطائف أخذ يعرضها على جميع القبائل التى تحضر الحج ، وتجتمع فى أسواق مكة ، ثم نقل دعوته الى المدينه بعد أن هيأ الله الأسباب لذلك ، وفى المدينه سارت الدعوة فى طريقها ، وراح الرسول صلى الله عليه وسلم يزيل العقبات التى تعترض طريقها ، ثم قام بمكاتبة الملوك ودعوتهم الى الاسلام ، وهكذا تدرجت الدعوة حتى بلغت لأهل الأرض .

---

(١) تفسير الامام فخر الدين الرازى / وبهامشه تفسير العلامه ابى السعود جـ٦ / ٤٧

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى / كتاب التفسير سورة الشعراء جـ٨ / ٥٠١ باختصار .

يقول ابن القيم رحمة الله تعالى في بيان مراتب الدعوة .

(المرتبه الأولى: النبوة ، والثانية: انذار عشيرته الأقربين والثالثه: انذار قومه ، الرابعة : انذار قوم ما أتاهم من نذير من قبل وهم العرب قاطبه ، الخامسه : انذار جميع من بلغته دعوته من الجن والانس الى آخر الدهر . . .) (١) .

ونزيد في الجواب ونقول بأن المستشرقين أخطأوا بالاستشهاد بهذه الآية ، حيث أن لفظ الأقربين بالآية يشمل أقرب الناس للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل في هذا الخطاب غيرهم من قريش ومن القبائل العربية ، علما بأن اصحاب هذه الدعوى لا يقولون بذلك ، بل انهم يقولون بأن الدعوة الاسلامية خاصة بالعرب وبناء على ذلك فاستشهادهم باطل من أساسه . بهذه الآية الكريمة (٢) .

وأما استدلالهم بالآية الثانية وهي (لتنذر أم القرى ومن حولها) فليس فيها دليل لهؤلاء على أن الدعوة الاسلاميه خاصة بالعرب حيث أن الله تعالى أمر رسوله بانذار أم القرى وهي مكة ومن حولها ولفظ (ومن حولها) لفظ واسع يتسع للاحياء المجاورة لها ، ولسائر بلاد بني آدم من العرب والعجم تماما كما دلت الآيات الأخرى على العموم (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) (٣) . وقوله (لأنذركم به ومن بلغ) (٤) وقوله (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (٥) .

---

(١) زاد المعاد ابن القيم جـ١ / ٣٤ .
(٢) الدعوة في عصر النبوة د . / أحمد أحمد غلوش ص١٤٨ مطبعة المدني .
(٣) سورة الاعراف آية ١٥٨ .
(٤) سورة الانعام آية ١٩ .
(٥) سورة الفرقان آية ١ .

فالآية ليس فيها دليل على ما يدّعونه ، لانها لم تقصر الدعوة على أهل مكة وحدهم بل طالبت بدعوة غيرهم ممن حولهم ، وممن هم أهل للدعوة فدعوة أم القرى ومن حولها يشمل الناس جميعا وهذا ماذكره علماء التفسير (١) .

وأما الآية الثالثة : (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)(٢) .

فالقوم هم العرب وهم المقصودون في الآية السابقة ، وهم الذين لم يأتهم رسول من عهد اسماعيل عليه السلام .

وكون القرآن خص العرب بالذكر في هذه الآية بالانذار فإنه لا يدل على انحصار الدعوة فيهم ، فقد يقال فيها ماقيل في الآية السابقة من أنها مرحلة من مراحل التدرج في تبليغ الدعوة على حد ماذكره ابن القيم في عبارته السابقة علما بأن الآية السابقة قد عطفت على أم القرى ، التي هي موطن العرب ، وموطن محمد عليه الصلاة والسلام قوله (ومن حولها) وقد بينا أن قوله ومن حولها يتسع فيشمل جميع الصحارى والبلاد التي تحيط بمكة حتى يشمل العالم كله .

---

(١) تفسير بن كثير جـ٣ / ٢٩٤ - تحقيق عبد العزيز غنيم وزملائه - الشعب وفتح القدير للشوكاني جـ٢ / ١٣٩ ط٢ / مصطفى البابي الحلبي .

الرد على الشبهة الثانية والثالثة :-

وهى قول بعض المستشرقين منهم سوندرس ووليم موير أن الدعوة الاسلامية بدأت حركة قومية ، ثم انتقلت الى العالمية فى العصر المدنى ، بعد أن أتاحت لها الظروف ذلك ، فى زمن عمر ، وان انتشار الاسلام خارج الجزيرة العربيه لم يكن فى برنامج الدعوة الاسلامية ، لأن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يفكر فى دعوة غير العرب الى الاسلام (١) ، وقصرهم النصوص التى دلت على العموم بأن المراد بها عموم العرب ، (والعالمون) هم عالم العرب والكافة هم كافة العرب والجميع هم جميع العرب (٢) . وهذا الذى ذكروه زعم باطل لأن الدعوة الاسلامية من يومها الأول كانت تحمل الصبغة العالمية ، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك عمليا فيما هو كتاب الله تعالى يعلن بعالمية الدعوة الاسلاميه قال تعالى : (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) (٣) . وقوله (ان هو الا ذكر للعالمين) (٤) . وقوله تعالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (٥) .

وهذه آيات مكية ، ولكن هؤلاء القوم غلب على نفوسهم المكر ، وملأ قلوبهم الحقد فقالوا ان هذه الآيات خاصة فالمراد بالناس هم العرب ، والمراد بالكافة هم كافة العرب ، وهذه جرأة منهم على كتاب الله يريدون تسيير معانيه حسب أهوائهم وليس عندهم فى ذلك حجه ولا برهان يستندون اليه .

---

(١) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية / محمد الراوى ص٥٣ - دار العربية - بيروت والاسلام دعوة عالمية / عباس محمود العقاد ص١٣٣ / الموسوعة ج٦ .
(٢) المرجع السابق ص١٣٧ . (٣) سورة الاعراف آية ١٥٨ .
(٤) سورة سبأ آية ٢٨ . (٥) سورة ص آية ٨٧ .

وقد ذكر العقاد فى كتابه الاسلام دعوة عالمية رداً للاستاذ أحمد ابراهيم الشريف مدرس الفلسفة بالمدارس الثانويه على المستشرق سوندرس بين فيه الأدلة الكثيره التى تثبت دعوة الاسلام العامه . قال :-

(إننا اذا تركنا هذه الأدلة جانبا ، واكتفينا بالنظر فى القرآن الكريم وحده فهناك أكثر من أربعين آيه يذكر فيها الله سبحانه وتعالى بأسم رب العالمين ، وهذا عدا الآيات التى ذكر فيها بالنص الواضح أنه عليه السلام قد أرسل الى الناس كافه ، وأن القرآن قد تنزل عليه ليقرأه على الناس)(١) .

ثم ان تخصيص هذه الآيات بالعرب يحتاج الى دليل وليس هناك أى دليل للتخصيص فتبقى الآيات على عمومها .

واذا كانت هذه الآيات الواضحه وضوح الشمس تحتمل اللبس عندكم فما قولكم فى وصف الله تعالى العباد الذين قامت الآيات بدعوتهم الى هذا الدين بقوله .

(قل لعبادى الذين أمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال ، الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)(٢) .

---

(١) الاسلام دعوة عالمية / للعقاد ص١٣٤ الموسوعة جـ٦ - دار الكتاب اللبنانى .

(٢) سورة ابراهيم آية ٣٢ - ٣٣ .

فالذى ينظر فى هذه الأوصاف التى وصف الله بها عباده ، تسخير البحر والانهار والليل والنهار ، والشمس والقمر ، لا يخطر بباله أن هذه الأوصاف لأهل جزيرة العرب دون غيرهم من العالم (١) .

هذا وقد جاء فى السنة المطهرة كثير من الأحاديث التى تدل على عالمية هذا الدين : منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعا قومه الى الاسلام (والله الذى لا اله الا هو إنى رسول الله اليكم خاصه ، والى الناس عامه (٢)) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها (٣)) وفى رواية (ان ربى زوى لى الأرض) .

والأرض فى الحديث هى كل الأرض اليابسه ، وليست هى أرض مكة ، ولا أرض جزيرة العرب .

وجاء فى رواية ابن اسحاق قال : حدثت عن سلمان الفارسى ، أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ، فلما رآنى أضرب ، ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ،

---

(١) الاسلام دعوة عالمية للعقاد ص١٣٧ ط ١ / دار الكتاب اللبنانى - بيروت .
(٢) الكامل فى التاريخ لابن الاثير جـ٢ / ٦١ دار صادر بيروت .
(٣) سنن أبى داوود / كتاب الفتن والملاحم جـ٤ / ٤٥ - حديث ٤٢٥٢ تعليق عزت عبيد الدعاس - وعادل السيد طباعه حمص - سوريه .

قال ثم ضرب به ضربة أخرى ،فلمعت تحته برقة أخرى ؛قال : قلـــت بأبى أنت وأمى يارسول الله ماهذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال: قلت : نعم قال : أما الأولى فان الله فتح علىّ بها اليمن ، وأما الثانيه : فان اللـــه فتح على بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق)(١).

فالحديث يشير الى الجهات التى ستصل اليها بمشيئة الله وهـذا دليل على عالميتها .

هذه أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصرح بعالمية الدعـوة ، وأما أفعاله فاننا نجد أن الطريق الذى سلكه عليه الصلاة والسلام كان يحمل طابع العالمية ،وقد مر بيان كيفية تدرجه عليه الصلاة والسلام بالدعوة حيث بدأ بالأقرب فالأقرب ثم وسع النطاق حتى شملت دعوتـه العالم فدعا ملك الفرس ،وملـك الـروم وملك الحبشة وملك مصر وغيرهم .

وكذلك دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكان يكتب لهـم (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)(٢) .

وأما وصفهم عمر بالمستعمر العربى ، وأنه هو الذى جاء بفكرة العالمية فقول باطل منبعه الحقد الدفين على الاسلام ، حيث ان عمر هو الخليفـة الثانى للمسلمين ،وهو أحد تلاميذ المدرسة المحمدية تخرج منها ، واتبع

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٢/ ٢١٦ تحقيق مصطفى السقا وزميله طـ٢ - مصطفى البابى الحلبى / مصر .

(٢) سورة آل عمران آيـه ٦٤ .

طريق سلفه محمد عليه الصلاة والسلام وطريق سلفه فى حياته فسير الجيوش لفتح الشام والعراق ، وكان ذلك اتماما للطريق التى سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبوبكر الصديق ، والرسول صلى الله عليه وسلم جهز جيشا لغزو الروم فى حياته ، ونصب أسامة بن زيد قائدا له قبل وفاته ، ثم جاء الخليفة الأول أبو بكر الصديق فسير هذا الجيش، ولكن الخليفة الأول شغل بالأوضاع الداخلية ، والخلافات المحلية التى حصلت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يتمكن من اتمام عمليات نشر الدعوة الاسلامية فى الخارج ، حتى جاء الخليفة الثانى عمر فهدأت الأوضاع ، واستتب الأمن فتابع طريق صاحبيه من قبله ، فى نشر الدعوة الاسلامية التى أمر الله تعالى بتبليغها ونشرها وايصالها للناس .

واذا كان الأمر كذلك فكيف لا يقوم بهذا الأمر عمر رضوان الله عليه وهو يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الاسلام، وذلا يذل به الكفر)[1] .

---

(١) المسند جـ٤ / ١٠٣ .
المكتب الاسلامى للطباعه والنشر / بيروت .

واذا نظرنا الى تاريخ هذا الخليفة العادل لوجدناه تاريخا حافلا بمحاسن الأعمال نحو المسلمين ، ونحو غيرهم من أهل الكتاب مما يرد هذه الشبهة التى أقامها أعداء هذا الدين وألصقوها بالخليفة عمر رضى الله عنه حيث اتهموه بأنه مستعمر ، فأى استعمار هذا أهو الاستعمار بمعناه الحقيقى وهو الاعمار للبلاد ، أم هو الاستعمار بمعناه الحاضر البغيض الذى يذل فيه العباد ، وتسلب فيه الأموال ، وتنتهك فيه الاعراض ، وتخرب فيه الأوطان ان الجيوش الاسلامية عندما فتحت البلاد ، أقامت فيها العدل ، وطردت الظلم ، وأنارت الابصار والبصائر ، وحافظت على الأموال ، وصانت الأعراض ، وأعطت الناس حقوقهم روى أبو يوسف فى كتاب الخراج أن عمر مر على قوم قد أقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام فقال : ماشأن هؤلاء ؟ فقيل له : إنهم أقيموا فى الجزيه - فكره ذلك ، وقال : هم وما يعتذرون به .

قالوا : يقولون لا نجد

قال : دعوهم ولا تكلفوهم مالا يطيقون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تعذبوا الناس ، فان الذين يعذبون الناس فى الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة ، ثم أمر بهم فخلى سبيلهم.(١)

وهو الذى كان يوصى من بعده من الولاة خيرا بأهل الذمة وهو على فراش الموت ، كما جاء فى كتاب الخراج قوله رضى الله عنه :

---

(١) الخراج / لابى يوسف ص ١٣٥ ط ٥ - السلفيه / مصر .

(أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا وأن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم)(١) .

هذا هو الرجل الذى يقول عنه أصحاب الأهواء والميول أنه مستعمر ؟ لقد خضعت له دولتى فارس والروم ، وما روى عنه فى يوم من الايام أنه أعمل السيف فى رقاب هؤلاء أو استذلهم والتاريخ شاهد على ذلك بل انه عاملهم أحسن معامله ، ولو كان مستعمرا - كما يزعمون - لاستأصلهم عن آخرهم . ولكن التاريخ يسطر بحروف من نور ذلك الأمان الذى أعطاهم اياه على أموالهم وعلى كنائسهم وعلى صلبانهم ، ولم يكرههم على ترك دينهم بل أعطاهم حرية العبادة .

كما فعل مع أهل ايلياء عندما كتب لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وصلبانهم ، وعلى عدم اكراههم على ترك دينهم ، وعدم مضارتهم (٢) .

فهل المستعمر حسب لغة العصر - يعامل الناس معاملة بالحسنى هكذا ؟ . يحافظ على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم وعقائدهم ، ويرفع شعار العدل ويقضى على الظلم ، ويقيم دين الله فى الأرض ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٢) انظر نص الامان فى تاريخ الطبرى جـ٣ / ١٠٥ ط/ ١٣٥٧ المكتبة التجارية الكبرى .

ويعمر البلاد ويعز العباد . ان الاستعمار الذى يقولون عنه ، قد أثبت التاريخ أنه عكس ذلك تماما فهو تخريب للأوطان ، وتدمير للأديان ، ونهب للأموال ، وسفك للدماء وانتهاك للأعراض هذا هو الاستعمار بمعناه البغيض .

ان الذى أوجد الجفوة بين الأوربيين والمسلمين ، هو أن الاسلام جاء لهداية البشريه كافة فلما بسط نفوذه على كثير من البلاد الوثنيه وتبعه خلق كثير من أهلها خافت أوربا من نفوذ الاسلام الى بلادها ، فاجتمعت كلمة ملوكها ، ورجال الدين فيها على حرب الاسلام ، فقامت الحروب الصليبيه التى دامت قرنين .

ظهرت

وبعد فشل هذه الحروب/الاحقاد والضغائن فى نفوس هؤلاء القوم فجندوا جيوشهم من المستشرقين للطعن فى الاسلام والنيل منه وتشويه حقائقه ، لكن أنى لهم ذلك ، فهم :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فما أضرها وأوهى قرنه الوعل .

والى جانب هذه الطائفة المدعية من المستشرقين نجد طائفة منهم أكثر انصافا كالسير توماس وأرنولد الذى قال : (ولم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل ان للعالم أجمع نصيبا فيها ،

ولما لم يكن هناك غير الله واحد ، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعو اليه الناس كافه ، ولكى تكون هذه الدعوة عامة وتحدث أثرها المنشود فى جميع الناس ، وفى جميع الشعوب ، نراها تتخذ صورة عملية فى الكتب التى قيل ان محمدا بعث بها فى السنة السادسه من الهجرة (٦٨٨م) الى عظماء ملوك ذلك العصر (١).

ويقول فى مكان آخر (ومن الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الاسلام قد قصد به مؤسسة فى بادىء الأمر أن يكون دينا عالميا برغم هذه الآيات البينات (٢) .

---

(١) الدعوة الى الاسلام / سيرتوماس وأرنولد ص ٤٨ ترجمة حسن ابراهيم وزميليه ط ٣ .

(٢) المرجع السابق هامش ٢ ص ٤٩ ط٣ / نهضة مصر.

الباب الثالث
الشمول

وفيه ثلاثة فصول

- الباب الثالث -

الشمول

تمهيد :-

تميزت الدعوة الاسلامية عن الدعوات السابقة بشمولها ، بكل ما للشمول من معان ودلالات ، زمانية ومكانية ، ونظم حياة للبشرية جمعاء مما دفع أحد العلماء الى التعبير عن ذلك الشمول بقوله : (انها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة)(١) . هذا ماقاله الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى عن شمول الدعوة الاسلامية وأبعاده .

فالاسلام منهج وخطة عمل يتلائم مع الطبيعة البشرية في خصائصها وإمكانياتها سواء كانت هذه الطبيعة في الفرد أو الأسرة أو في المجتمع.

وقد شملت أحكام الاسلام نواحي الحياة المختلفة ، ومتطلبات المجتمع الانساني فلم تقتصر تعاليمها على النواحي الاعتقادية والتعبدية فقط وانما امتدت لتشمل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونظم التربية والقضاء والأخلاق .

---

(١) الخصائص العامة للاسلام - د . يوسف القرضاوي / ٩٩ - مكتبة وهبة - مصر.

وقد استهدفت تعاليمها اقامة حياة انسانية سامية يتحرر فيهـا العقل البشرى من الخرافات والأوهام . وجاءت هذه التعاليم موافقة لطبيعة الدعوة الاسلامية . . . الخالدة ، الخاتمة ، فلابد لها ، والأمر هكذا أن تشمل تعاليمها جميع أنظمة الحياة الى أن تقوم الساعة .

شمول الشريعة لجوانب الحياة الانسانية :-

من مظاهر شمول الشريعة الاسلامية احاطتها بجميع مجـــالات الانسان ومراحل حياته ، فلم تترك من ذلك جانبا الا بحثته ، ولا دته ، طفولته ، شبابه ، كهولته ، شيخوخته ، مجالات نشاطه المادية ، والروحية ، الفردية والجماعية ، الثقافية والفكرية ، السياسية والاقتصادية ، الدينية والدنيوية . كل ذلك شملته الشريعة بآدابها وتوجيهاتها .

يقول العقاد عن الاسلام (هو العقيدة المثلى للانسان منفـردا أو مجتمعا ، وعاملا لروحه ، أو عاملا لجسده ، وناظرا الى دنياه ، أو ناظرا الى آخرته ، ومسالما أو محاربا ، ومعطيا حق نفسه ، أو معطيا حق خالقه وحكومته فلا يكون مسلما وهو يطلب الدنيا دون الآخره ، ولا يكون مسلما لأنه روح تنكر الجسد ، أو لأنه جسد ينكر الروح ، أو لأنـــه يصحب اسلامه فى حالة ويدعه فى حالة أخرى : . . . ولكنما هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعه لديه ، فى جميع حالاته سواء تفرد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع)(١) .

---

(١) الاسلام فى القرن العشرين / عباس محمود العقاد ص٥٥٦ ج٤ الموسوعه .

ومع الانسان في مراحل حياته لنرى جانبا من شمول الاسلام لحياة الانسان: أولا : قبل أن يولد الانسان حافظ الاسلام على التربة التي ينشأ فيها ، وعلى الرحم التي تحمله ، وذلك من أجل أن يوفر للطفل جو الطهر والعفاف فحرم الزنا قال تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)(١) . وحارب أسباب الفساد والانحراف فطالب المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم وحفظ فروجهم قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها .... الخ)(٢) .

وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون)(٣) .

ثانيا : العناية به وهو جنين في بطن أمه من حيث العمل على كل مايحفظ عليه حياته وبقاءه ، وكل مايتعلق به من أحكام ، ولذا أباح الاسلام للحامل الافطار في رمضان اذا خافت على مولودها (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)(٤) . كما شرع النفقة للحامل المطلقة حتى تضع حملها .

قال تعالى :(وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)(٥) .

---

(١) سورة الاسراء آيه ٣٢ .
(٢) سورة النور آيه ٣٠ - ٣١ .
(٣) سورة المؤمنين آيه ١ - ٥ .
(٤) سورة البقرة آيه ١٨٤
(٥) سورة الطلاق آيه ٦ .

ثالثا : وضعت الشريعة الاحكام الخاصة بطفولته من حيث تسميته ، والحق عنه ورضاعه وفطامه ، قال تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)(١) .

رابعا : رسمت له منهاج الحياة التى يسير عليها فى شبابه وكهولته وشيخوخته ووضحت علاقته بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بأخيه المسلم ، وعلاقته بالانسان ، وعلاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة .

خامسا : حتى بعد موته بينت الشريعة الاسلامية أحكام الميراث والدفن والصلاة عليه ، وغير ذلك مما هو مفصل فى كتب الفقه الاسلامى .

سادسا : خاطب الاسلام الانسان بوصفه فردا مستقلا له كيانه الخاص، وارادته الطليقة فى حدود ماشرع له ، ثم بوصفه عضوا فى جماعة يتحمل المسوليات معها ، ويشاركها فى النتائج بينما نجد العقائد الحاضرة والمذاهب الفاسدة تعمل فلى اذابة الفرد فى الجماعة كما تعمل الشيوعية ، بحيث ينطمس وجود الفرد انطماسا كليا ، وأما الرأسمالية فهى تجعل الفرد عالما مستقلا بذاته يدور فى دائرته الشخصية من غير الثقات الى الجماعه .

ولكن أنظمة الاسلام اتسمت بالشمول فخاطبت الانسان بجانبه الذاتى والاجتماعى فهى تعترف بوجود الانسان الذاتى كفرد مستقل له وجوده

---

(١) سورة البقره آيه ٢٣٣ .

الشخصي ، وله معطيات هذا الوجود ، وله الأرادة الكاملة ، والحريـة الشاملة في حدود مارسم له ، وله الأثر البالغ في بناء الجماعة ، فالفرد عضو في جسد المجتمع وان العضو ليسلم بسلامة الجسد ، كما أن الجسد يسلم بسلامة اعضائه (١) . ولا يمكن فصل الانسان عن المجتمع لأن الانسان لا يشعر بوجوده الصحيح الا مع الجماعه ، وفي الجماعه ، فاذا أبعد عن المجتمع ضعفت شخصيته ، وفقدت ذاتيته ، وطمس وجوده ، حيث غابت نفسه عن المجتمع الذي هو المرآة التي يرى بهـا ذاته . يقول أبو العلا المعري .

ولو أني حبيت الخلد فردا ... لما أحببت في الخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرضي ... سحائب ليس تنتظم البلادا (٢) .

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب :-

(إن ذوبان شخصية الانسان وذاتيته في عباب المجتمع هو افساد لطبيعة الانسان ، وتشويه لمعالمه ، فلا يكون انسانا بالمعنى المفهـوم للانسان ولا يصلح أن يكون لبنة في بناء مجتمع انساني سليم ، حيـث تموت المشاعر والأحاسيس ، وينعدم الادراك والوعي ، ولعل نظـرة الى العالم الشيوعي جديرة بأن تكشف لنا عن المستوى الانساني للفـرد والجماعة في هذا العالم ، انه عالم متضخم من الأحجار المنهاره مـن جبل من فعل بركان أو زلزال ، ليس بينها رابط يشد بعضها الى بعض) (٣) .

---

(١) الانسان في القرآن / عبد الكريم الخطيب ص ١١٠ ط ١ / ١٩٧٩ دار الفكر .
(٢) المرجع السابق ص ١١٨ .
(٣) المرجع السابق ص ١٢١ .

الفصل الأول

وفيه مبحثان

الفصـــــــــل الأول

جوانب الشمول في الاسلام

ونعرض الآن صورة موجزة عن جوانب شمول الاسلام .

المبحث الأول

الجانب السياسي

وهو مايتعلق بشئون الحكم وقيادة الأمة وعلاقاتها مع الأمم الاخرى فالاسلام في هذا الجانب تعاليم سامية وآداب واضحة فهو يعتبر السياسة جزء من الدين وهو قسم لا قسيم (١) .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

(من له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل ، الذى يسع الخلائق وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ماتضمنته من المصالح ، يتبين أن السياسة العادلة جزء من أجزائها ، وفرع من فروعها ، وأن من أحاط علما بمقاصدها ، ووضعها موضعها ، وحسن فهمه فيها لم يحتج معها الى سياسة غيرها البتة ...

ثم قال والسياسة نوعان : سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها . وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها) (٢) .

---

(١) أى جزء من الشيء ليس وازيا له .

(٢) الطرق الحكمية / لابن القيم الجوزية ص ٥ .

ولما كانت السياسة جزءا من الشريعة ، فاننا نجد أن حكومة النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن حكومة دينية فحسب بل كانت حكومة سياسية أيضا ، فهو الذى كان يقود الجيوش ويفصل فى الخصومات قد جمع بيده السلطتين الدينيه والدنيويه معا (١).

فالاسلام اذن ليس دينا فقط ، وانما هو دين ودولة ، عقيدة وشريعة ، ايمان وحكم ، والسياسة جزء مهم فى هذا الدين وأحكام الاسلام لا تقبل التجزئة والانفصال (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) (٢).

الأسس التى يقوم عليها النظام السياسى فى الاسلام :-

ان القاعدة الصلبة التى يقوم عليها النظام السياسى فى الاسلام هى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فهو يقرر الألوهية لله وبناء على ذلك فالحاكمية يجب أن تكون لله وحده .

وتتمثل الأسس والدعائم التى يقوم عليها هذا النظام فى الآتى :-

١ - العدل .

٢ - الطاعة .

٣ - الشورى .

---

(١) النظم الاسلامية د . / حسن ابراهيم حسن ، وعلى ابراهيم حسن ص١٥٢ ط٣ / ١٩٦٢ - دار النهضه .

(٢) سورة البقره آية ٨٥ .

وهذه هي الخطوط الأساسية ، وتتفرع منها سائر الخطوط الأخرى التي ترسم شكل الحكم وصورته (١) .

ونعرف بكل أساس من هذه الأسس :

أولا : العدل :-

ان العدل أساس الملك كما يقولون ، وهو القاعدة الاساسية التي قامت عليها جميع الدعوات السماوية ، فالله تعالى أرسل رسله كلهم ليقوم الناس بالقسط قال تعالى :-

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (٢) .

وقد جاءت الآيات القرآنية داعية الى العدل : قال تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا) (٣) .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى : (هاتان الآيتان هما أساس الحكومة الاسلامية ، ولو لم ينزل في القرآن غيرهما لكفتا المسلمين في ذلك اذا هم بنوا جميع الأحكام عليهما) (٤) .

كما يقول سبحانه : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى) (٥) .

---

(١) العدالة الاجتماعية / سيد قطب ص١٠١ ط/ ١٣٩٤ - دار الشروق .
(٢) سورة الحديد آية ٢٥ . (٣) سورة النساء آية ٥٨ .
(٤) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٥ / ١٦٨ - ط/ دار المعرفة .
(٥) سورة النحل آية ٩٠ .

ويقول أيضا : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا)(١) .

وجاء في السنة أيضا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : (امام عادل)(٢) .

كما جاء أيضا (ان المقسطين عند الله ، على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)(٣) .

فالاسلام دعا الى العدل الثابت الذى لا تختل موازينه ولا تتغير قواعده بتغير الأزمان والاحوال ، العدل الذى يتمتع به أفراد الأمة الاسلامية صغيرهم وكبيرهم ، شريفهم ووضيعهم كما يتمتع به أفراد الأمم الأخرى . (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى)(٣) .

ولما التزم الحكام من سلف الأمة بهذا الأساس سعدت بهم الحياة والاحياء قدم مصرى على الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فشكا اليه واليها عمرو بن العاص وذلك أنه حصل سباق بالخيل فسبقت فرسه فرس محمد ابن عمرو بن العاص فحبسها ورثب على المصرى يضربه بالسوط . . . .

وما ان استطاع المصرى الوصول الى الخليفة ورفع الأمر اليه حتى استدعى

---

(١) سنن النسائى جـ٨/ ١٩٦ - كتاب آداب القضاه ط/ ١٣٨٣ مصطفى البابى الحلبى

(٢) مسلم كتاب الاماره باب/ ٥ جـ٣/ ١٤٥٨ .

(٣) سورة المائده آية ٨ .

الخليفه والى مصر وابنه ، ومثلا بين يديه فنادى عمر المصرى وقال له : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين ،فضربه حتى أثخنه ..... وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين ثم قال أجلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك ابنه الا بفضل سلطانه ، قال عمرو فزعا : يا أمير المؤمنين قد استوفيت وأشتفيت . وقال المصرى : قد ضربت من ضربنى .

فقال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه ،والتفت الى عمرو مغضبا وقال له تلك القولة الخالده التى ماقالها قبله أحد أيا عمرو - متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا (١) ...

---

(١) عبقرية عمر / عباس محمود العقاد ص ٤١٢ - ٤١٣ الموسوعة جـ٢ .

٢ - الطاعة من المحكومين :-

دلت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية على وجوب الطاعة لله وللرسول ولأولى الأمر ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(١) ؛

فالله تعالى يأمر بطاعته وهى العمل بكتابه العزيز وبطاعة الرسول لأنه هو الذى يبين للناس مانزل اليهم وقد أعاد لفظ الطاعة لتأكيد طاعة الرسول لأن دين الاسلام دين توحيد محض لا يجعل لغير الله أمرا ولا نهيا ولا تشريعا ولا تأثيرا والرسول يبلغ عن ربه ومعصوم فى التبليغ لذلك وجب أن يطاع .(٢)

وطاعة أولى الأمر مستمدة من طاعة الله ورسوله ، لأن ولى الأمر لا يطاع لذاته وانما يطاع لخضوعه لسلطان الله ، واعترافه له بالحاكمية ، فاذا حاد عن الطريق سقطت طاعته . يقول عليه الصلاة والسلام : (من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى)(٣) .

وفى حديث أبى ذر قال : ان خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع ، وان كان عبدا مجدع الاطراف)(٤) .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٥ / ١٨٠ .
(٣) مسلم كتاب الامارة جـ٣ / ١٤٦٦ .
(٤) مسلم كتاب الامارة جـ٣ / ١٤٦٧ .

وأما اذا أمر الامير بمعصية فانه لا طاعة له لقوله عليه الصلاة والسلام (على المرء المسلم السمع والطاعة ، فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)(١) . وجاء فى الحديث أيضا (لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف)(٢) .

٣ - الشورى :-

مبدأ من المبادىء الدستورية ، وأساس يقوم عليه نظام الحكم فى الاسلام فالله تعالى يقول لرسوله (وشاورهم فى الأمر)(٣) .

فالأمر القرآنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم هنا فى الأمور العامة التى هى سياسة الامة فى السلم والحرب ، والخوف والأمن ، وأما أمر الدين فان مداره الوحى دون الرأى .

ولا يجوز للحاكم مهما بلغ ذكائه ، أن يستبد برأيه - فيما لم يرد فيه نص - من غير أن يشاور أصحاب العقول والبصائر ليستظهر برأيهم ويستضيئ بخبراتهم ، وقد سجل التاريخ للرسول صلى الله عليه وسلم دروسا لا تنسى فى الشورى وعدم الاستبداد ، ويتجلى ذلك فى يوم بدر عندما سمع مشورة الحباب بن المنذر بتغيير مكان نزول الجيش الى أدنى ماء بدر حيث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم (لقد أشرت بالرأى)(٤) .

---

(١) مسلم كتاب الامارة جـ٣ / ١٤٦٩ .
(٢) " " "
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٤) سيرة ابن هشام جـ٢ / ٣٠٢ تحقيق محمد خليل هراس .

وكذلك يوم أحد حيث استشار أصحابه عندما سمع بخروج قريش ونزولهم مقابل المدينة ، هل يخرج اليهم أم يقيم فى المدينة ، وأخيرا استقر الأمر على أن يخرج لقتالهم ، بعد أن أخذ برأى الشباب الذين لم يحضروا بدرا (١) ..

وكذلك يوم الخندق عندما أراد أن يصالح غطفان على ثلث ثمار المدينة فاستشار سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، فاشاروا عليه بعدم ذلك (٢) . والشواهد على ذلك كثيرة .

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه (ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣) . كما وصف الله المؤمنين بأنهم أهل تشاور فيما بينهم .
قال تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) (٤) .
كما جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا المبدأ . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما رأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥) .

وجاء فى بعض الآثار عن الحسن قال : (ماشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمورهم) (٦) .

---

(١) المصدر السابق جـ٣ / ٥٨٣ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
(٢) المصدر السابق جـ٣ / ٧٠٧ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
(٣) الترمذى - كتاب الجهاد : باب ماجاء فى المشورة جـ٤ / ٢١٤ تحقيق ابراهيم عطوه .
(٤) سورة الشورى آية ٣٨ .
(٥) الترمذى كتاب الجهاد باب ماجاء فى المشورة جـ٤ / ٢١٤ - تحقيق ابراهيم عطوه .
(٦) تفسير الطبرى جـ٧ / ٣٤٤ - دار المعارف / مصر .

وقال بعض الحكماء : (اذا أشكلت عليك الأمور ، وتغير لك الجمهور ، فأرجع الى رأى العقلاء ، وأفزع الى استشارة الفضلاء ، ولا تأنف من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد)(١) .

وقد أوجب الاسلام الشورى ، من أجل تدعيم الروابط بين أفراد المجتمع وتوثيق الصلة بينهم ، حتى يشعر كل واحد منهم بالمسؤولية ، فيعمل على تحقيق مصالح الأمة ، ويلتزم ما أجمعت عليه .

جاء في تفسير الطبرى فى تفسير قوله تعالى (وشاورهم فى الامر) (انما أمر الله رسوله بمشاورة أصحابه ، فيما أمره بمشاورتهم فيه ، مع اغنائه بتقويمه اياه وتدبيره أسبابه عن آرائهم ، ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ، ويستنوا لسنة فى ذلك ، ويحتذوا المثال الذى رأوه يفعله فى حياته من مشاورته فى أموره - مع المنزلة التى هو بها من الله - اصحابه واتباعه فى الامر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم ، فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملأهم ، لأن المؤمنين اذا تشاوروا فى أمور دينهم ، متبعين الحق فى ذلك ، لم يخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب)(٢) .

---

(١) فيض القدير للمناوى جـ٥ / ٤٤٢ .

(٢) تفسير الطبرى جـ٧ / ٣٤٤ - ٣٤٥ .
دار المعارف بمصر .

المبحث الثانى
تنظيم الاسلام للجوانب السياسية

نظم الاسلام الجوانب السياسية الداخلية والخارجية على السواء ، ووضع لها أدق الأنظمة من أجل اسعاد المجتمع ، وتوفير الاستقرار له .

أ - السياسة الداخلية :-

١ - تنظيم العلاقة بين الراعى والراعية :-

الحكم فى الاسلام قضاء ومسئولية ، ورياسة الدولة فى المجتمع المسلم لا تمنح صاحبها حقا غير عادى فوق حقوق أى فرد من جمهور المواطنين ، ولا تعطيه قداسة أو حصانة الهيبة ، وانما تجعله واحدا منهم غير أنه أثقلهم حملا .

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما تولى الخلافة خطب فى الناس قائلا (وليت فيكم ولست بخيركم)(١) .

وعمر بن عبد العزيز يقول : لست بخيركم ، انما أنا رجل منكم ، غير أنى أثقلكم حملا .(٢) هكذا تتضح مسئولية الحاكم فى الاسلام كأمين على دين الله .

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ٢/ ٣٣٢ ط بيروت سنة ١٣٨٥ .

(٢) خلفاء الرسول - خالد محمد خالد ط ثانيه ص ٧٠٨ .

فالحكم فى الاسلام يختلف عن الأحكام الوضعية التى تعتمد على القوانين البشرية التى تفرض ارادتها على الناس بالقسر والقهر ، ذلك أنه ولاية عامة للمجتمع المسلم ، تنفذ به حدود الشرع ، ويسير وفق تعاليم الكتاب والسنة .

ولذلك كانت الامارة نوعا من الاجازة ... يروى أن أبا مسلم الخولانى دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال له : (السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل السلام عليك أيها الأمير . فقال : السلام عليك أيها الأجير ... وأخذ يراجعهم ويراجعونه حتى قال معاوية : دعوا أبا مسلم فانه أعلم بما يقول : (فقال : انما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها ، فان أنت هنأت جرباها ، وداويت مرضاها وحسبت أولاها على أخراها وفاك سيدك أجرك ، والا عاقبك سيدها) (١) .

ولذلك أوجب على الحاكم أن يعيش مشاكل شعبه وظروفهم ، وأن يسهر على حراسة الدين ، وتنظيم أمور الدنيا .

وهذا هو عمر بن الخطاب يقول : (لو مات جدى بشط العراق ، لخشيت أن يحاسب الله به عمر) (٢) .

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية / ١٢ بتصرف .

(٢) صفة الصفوه / لابن الجوزى جـ١ / ٢٨٥ ط. ثانيه .

ذلك أنه يرى أنه مسئول عن تمهيد الطريق وتمهيده لسير الانسان والحيوان، ويقول (أنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على مايحضرني بنفسي ان شاء الله لا أكله الى أحد ولا أستطيع مابعد منه الا بالامناء ، وأهل النصح منكم ، ولست أجعل أمانتي الى أحد سواهم ان شاء الله)(١).

كما أوجب الاسلام على الحاكم أن يسند الأمور الى من هو أهل لها ، ولا يحابي أحد لقرابته ، والا كان حسابه عند الله شديدا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين)(٢).

٢ - اعداد العدة ، وتنظيم شئون الامن :-

الاسلام دين القوة والعزة ، أمر باعداد العدة ، وتكوين القوة لمواجهة اعداء الله في كل زمان ومكان ، من أجل كسر شوكتهم ، وارهابهم ، لكي لا تسول لهم أنفسهم الاعتداء على المسلمين .

قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)(٣). والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي)(٤).

---

(١) عمر بن الخطاب / سليمان الطماوي ص٩٢ ، ٩٣ ط. ثانيه .
(٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية / لابن تيمية ص٤٧ ط. رابعه .
(٣) سورة الانفال آيه ٦٠ .
(٤) مسلم كتاب الامارة جـ٣ / ١٥٢٢ .

ويقول أيضا (من علم الرمي ثم تركه ، فليس منا ، أو قد عصى)[١].

فالا سلام حث على اعداد القوة المعنوية ، التي تقوم على الترابط والتآلف والتعاون ، والقوة المادية التي تصون البلاد وتحمي العباد .

وما ان تخلى المسلمون عن هذا المبدأ الرباني حتى طمع فيهم عدوهم فغزاهم في عقر دارهم ، واحتل أرضهم ، وشردهم من أوطانهم .

كما أن على الحاكم أن يأخذ على يد المجرم ، ويقتص من الظالم للمظلوم ، ويقيم حدود الله في الأرض ، حتى يشيع الأمن والا ستقرار في البلاد .

٣ - تنظيم القضاء :-

النظام القضائي في الا سلام عبارة عن مجموعة القواعد والا حكام التي توصل الى حماية حقوق الناس ، وفصل الخصومات ، وقطع المنازعات من بينهم ، وقد بين الا سلام دستور القضاء ، والتقاضي ، وما يجب على القاضي أن يسلكه في النظر في الدعوى ، وفي الحكم الذي يصدره بشأنها فأمر بالمساواة بين المتخاصمين ، والا ستماع اليهم ، قبل الفصل في النزاع يقول عليه الصلاة والسلام (من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظته واشارته ومقعده ومجلسه)[٢].

---

(١) المرجع السابق جـ٣ / ١٥٢٣ .

(٢) سنن الدارقطني للامام علي بن عمر الدارقطني كتاب الا قضية والا حكام جـ٤ / ٢٠٥ - تحقيق عبد الله هاشم يماني ط/ ١٣٨٦ - دار المحاسن / القاهره .

ويقول لعلي (اذا تقدم اليك خصمان فلا تسمع كلام الأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف ترى كيف تقضي)(١).

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضي القاضي وهو غضبان فقال عليه الصلاة والسلام (لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)(٢).

ولأهمية القضاء أولاه المسلمون عناية فائقة ، ووضعوا له أسسه وقواعده خاصة عندما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين تلك القواعد في كتابه الذي أرسله الى أبي موسى الاشعري الذي قرر فيه الأصول التاليه :-

أولا : على القاضي أن يتبع في قضائه الكتاب والسنه .

ثانيا : أن يقيس ما جاءه من الحوادث التي لم ينص عليها الكتاب والسنه على الحوادث التي ورد فيها نصوص .

ثالثا : العدل بين الخصوم من جميع الوجوه .

رابعا : التروي في الاحكام ، وسعة الصدر .

خامسا : الصلح بين المتخاصمين .

سادسا : عدم الوثوق بشهادة غير العدول(٣).

---

(١) المسند جـ١ / ٩٠ .
المكتب الاسلامي للطباعه والنشر / بيروت.

(٢) ابن ماجه كتاب الاحكام جـ٢ / ٧٧٦ حديث / ٢٣١٦ .

(٣) عمر ابن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة د . / سليمان محمد الطماوي ص ٣٢٩ ط٢ / دار الفكر .

وانظر نص الخطاب أيضا في نظام الحكم الاسلامي مقارنا بالنظم المعاصرة / محمود حلمي ص ٣٣٥ .

ب - السياسة الخارجية :-

كما اهتم الاسلام بالسياسة الداخلية وأهتم كذلك بالسياسة الخارجية التى تحدد علاقة الدولة الاسلامية مع الدول الأخرى ، وقد رسم الاسلام هذه السياسة على النحو التالى :-

أولا : تنظيم الناحية الجهادية :-

ان تنظيم الناحية الجهاديه لها أثرها فى رد الاعتداء ودفع الظلم عن المسلمين اذا وقع من ذلك شىء بهم ، حتى تتوفر الحرية والأمان للناس ، وقد سبق بيان دعوة الاسلام الى اعداد القوة لأرهاب عدو الله وعدو المسلمين ، كما سبق بيان أثر الجهاد فى تأمين الدعوة وازالة العقبات من طريقها .

ثانيا : تنظيم العلاقات الدولية :-

يقيم الاسلام علاقاته مع الآخرين على أساس التعاون والبر والرحمة (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)(١) .

وقد استعمل الاسلام المعاهدات ، واتخذها وسيلة لتنظيم العلاقات بين دولته وبين الدول الأخرى ، وهى وسيلة نافعة لحفظ المواثيق ، واقرار السلام ، وفض الخلافات بين الدول ، ولقد حافظ الاسلام على العهود

---

(١) سورة الممتحنة آية ٨ .

واعتبرها رباطا مقدسا ، أحاطته الشريعة بكافة قيود الاحترام والتقديس، وقد دلت الآيات القرآنية على ذلك منها قوله تعالى :-

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)(١) .

وقوله (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها)(٢) .

" (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)(٣) .

" (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)(٤) .

فهذه الآيات توجب على المسلمين الالتزام بالعهود ، لا فرق بين اطراف المتعاقدين أقوياء أم ضعفاء ، اعداء أم أصدقاء كتابيين أم مشركين .

وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ حتى تجلى ذلك واضحا في معاهدة الحديبية المعقودة بين المسلمين وقريش والتي جاء فيها (من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه)(٥) . فبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو واذا بأبي جندل يأتي وهو يرسف في القيود ، يريد اللحاق بالمسلمين ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى أن يخلف عهده مع قريش فيقول لأبي جندل : يا أبا جندل ،

---

(١) سورة الممتحنة آية ٨ .
(١) سورة المائدة أولها .
(٢) سورة النحل آية ٩١ .
(٣) سورة الانفال آية ٧٢ .
(٤) سورة التوبة آية ٤ .
(٥) سيرة ابن هشام جـ٣ / ٧٨٢ .

اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم (١) .

وكذلك فعل مع أبي بصير عندما جاءه مهاجرا فارا بدينه من قريش فأرسلت قريش في طلبه فقال له عليه الصلاة والسلام : (يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا) (٢) .

تلك هي أخلاق الاسلام ، ومعاملاته ، صدق في الحديث ووفاء بالعهد ، فلم يعرف التاريخ عن المسلمين أنهم نقضوا عهدا أوردوا صلحا - لأن كتابهم يدعوهم الى الوفاء بالعهد . بخلاف الكفر وأهله الذين وصفهم الله تعالى بقوله (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ، فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) (٣) .

والاسلام يأمر أصحابه بالاستقامة على العهد طالما استقام الطرف المعاهد والتزم بنصوص المعاهدة المعقودة بينهما .

قال تعالى :-

(الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) (٤) .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ / ٧٨٢ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ٣ / ٧٨٦ .
(٣) سورة الانفال آيه ٥٥ - ٥٦ .
(٤) سورة التوبة آيه ٧ .

ويقول أيضا :

(الا الذين عاهدتم من المشركين ثم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)(١) .

فاذا ماغدروا أو نقضوا العهد حل للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ويردوا كيد عدوهم (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم ، فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم)(٢) .

فمن هذه النصوص القرآنية والأحداث التى وقعت فى عصر النبوة نأخذ مايلى :-

(١) الاسلام يدعوا الى التمسك بنصوص المعاهدات المبرمة بينه وبين الدول الاخرى ، ويأمر بالمحافظة عليها ، وعدم نقض شىء منها بعد ابرامها .

(٢) التزام جانب العدالة والانصاف ، وانتفاء دوافع الانتقام والغدر عند وضع نصوص المعاهدة .

(٣) تنتهى المعاهدة بانتهاء مدتها المبرومة ، أو بنقض الطرف الآخر .

(٤) انذار المسلمين للطرف الآخر اذا قرروا استخدام القوة معهم لظروف جدت لهم ، قال تعالى : (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)(٣) .

---

(١) سورة التوبة آية ٤ . (٢) سورة التوبة آيات ١٢ : ١٥ .

(٣) سورة الانفال آية ٥٨ .

الفصل الثاني

وفيه ثلاثة مباحث

- الفصل الثانى -

النظـام الا جتماعـــى

المبحث الأول

مفهوم النظام الا جتماعى :-

جاء فى معجم العلوم الا جتماعيه مايلى (يدل هذا التعبـــير على الصور والنماذج المختلفة والمؤكدة لبناء اجتماعى معين ، ومـــا يتعاقب عليه من تغيرات وعمليات اجتماعية ناتجه عن التفاعل الا جتماعـــى ، أى تفاعل الأفراد فيما بينهم وبين بعضهم البعض من جهـــــة ، وتفاعلهم مع الوسط الا جتماعى من جهة أخرى)(١) .

والحقيقة أن مفهوم النظام الا جتماعى اصطلاح متعدد العناصر ، واسع المجال فهو يشمل مختلف جوانب الحياة الا نسا نية التى تتعلـــق بالنواحى الا جتماعيه ، فى أى زمان ومكان .

أهمية النظم الا جتماعية فى تكوين وبناء المجتمع :-

المجتمع هو الأساس الذى تقوم عليه الدولة ، وتتكون منه الأمه ، فاذا أحكم بناؤه ورسخت دعائمه على أسس قوية ، ظلت دولته قوية ثابته . . وافراد الأمة هم لبنات هذا البناء ، فاذا كانت اللبنات سليمة بقى المجتمع سليما قويا .

---

(١) معجم العلوم الا جتماعية / لجنة من الا سا تذة المصريين والعـــرب المتخصصين ص٤٠٦ - حرف النون - الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ١٩٧٥ .

من أجل ذلك وجه الاسلام العناية الى الفرد أولا ، لأنه اللبنة التى يبنى عليها المجتمع ، ثم وجه العناية الى المجتمع بما فيه من أفراد وجماعات ، واذا كان المجتمع ضروريا للانسان ، فان الانظمة التى تسير هذا المجتمع وترسم خطاه ، وتوجه أفراده وجماعاته ، ضرورية أيضا ، والا صار المجتمع مجتمعا حيوانيا تسيطر عليه الشهوات ، وتسيره الأهواء ، لهذا كان لابد من النظام الذى يحدد سير المجتمع ، ويضع الضوابط العامة التى يسير عليها الناس فى سلوكهم لكى تتسم الحياة بالأمن والاستقرار ، واذا كان النظام ضروريا لبناء المجتمع ، فلابد أن يكون لهذا النظام قواعد ثابته ، وأسسا متينة ، يقوم عليها صلاح المجتمع ، لأن الصلاح والفساد فى المجتمع يتبع صلاح أنظمته وفسادها ، وهى عوامل تساعد على بناء الفرد وهدمه ، لأن الفرد هو الذى يسعد بصلاح النظام ، ويشقى بفساده ، وبما أن الأمر هام جدا فلابد من البحث عما يحقق السعادة البشريه فى الدارين ، وقد وفر الاسلام على الانسان جهود البحث عن أنظمة يبنى عليها مجتمعه ، فأنزل الله تعالى فى كتابه أسسا وقواعدا ثابته لا تتغير ولا تتبدل يقوم عليها صلاح المجتمع .(١)

---

(١) أصول الدعوة د . / عبد الكريم زيدان ص ٩٦ ط ٣/ ١٢٩٦ بايجاز.

لمحة عن المجتمعات السابقه للاسلام :-

اتسمت المجتمعات البشرية التي سبقت الاسلام بالفوضى والهمجية واللصوصية والاضطراب ، كما ساد فيها السلب والنهب والقتل فاصبحت الدنيا أشبه بغابة واسمه يفترس فيها القوى الضعيف ، ولا أجد أصدق وصف لاحوال شبه الجزيرة العربيه قبل الاسلام من حديث جعفر بن أبي طالب للنجاشي حيث صور له الحياة الجاهلية تصويرا حقيقيا على ماهي عليه قال : (يا أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ...(١)) . فكل عبارة من عبارات هذا الحديث تصور نوعا من أنواع الظلم في الجاهلية ، كما أن السيرة النبوية ، تبين أن سبب هجرة الحبشه هي للتخلص من ظلم الجاهليه ، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما رأى مايصيب أصحابه قال لهم (لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه)(٢) .

وأما الامبراطوريات المجاوره للجزيرة العربية فقد تقدم وصف أحوالها وما ساد فيها من ظلم مما دفع أهلها الى الترحيب بالاسلام عندما أشرق نوره على بلادهم لأن المسلمين كانوا أرحم بهم من الاكاسرة والقياصرة ،

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ / ٣٤٨ مراجعة / محمد خليل هراس.

(٢) المرجع السابق جـ١ / ٣٣٠ .

ولأنهم أصحاب وفاء ، وسيرة حسنة ، لما تجمع الروم لحرب المسلمين ، وعلم بذلك المسلمون كتب أبو عبيدة الى ولاته الذين خلفهم على المدن المفتوحة والتى صالح أهلها ، يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم : (انما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم أن نصرنا الله عليهم ، فلما قالوا ذلك لهم ، وردوا عليهم الأموال التى جبوها منهم ، قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، وأخذوا كل شيء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا)(١) .

كما أن المجتمعات البشرية فى أوربا كانت فى حالة خلقية وعقلية سيئه وصلت الى حد الهمجية .

وقد وصف ولز حالة أوربا فى نهاية القرن الخامس (بأن الحياة فيها كانت تتقلب فى مستوى منخفض جدا ولا سيما فى النواحى الجثمانية والعقلية والخلقية وقد انحدرت الى الهمجية فى القرن السادس والسابع) كما أن الحالة فى الامبراطورية الرومانية وصلت الى حد الانحلال الخلقى المتطرف ، وأما الحالة الاجتماعية فى أوربا فكانت فى حالة فوضى ، وقد

---

(١) الخراج لابى يوسف ص١٣٩ الموسوعة - دار المعرفة - بيروت - وانظر الدعوة الى الاسلام ، سيرتوماس وأرنولد ص٢٣٥ وما بعدها ، فقد أورد المؤلف أمثلة كثيرة تدل على تسامح المسلمين مع أهل الذمة .

كان ذلك العصر عصر مجاعة ووباء ، لا قانون فيه ولا اداره ، وكان الزمان زمان فوضى وجرائم ، تذهب دون عقاب وأمن منعدم تماما) (١) .

وقد وصف Robert Briffault روبرت بروفيلت أحـــوال المجتمع الأوربى فقال :

(لقد اطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس الى القرن العاشر وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا ، وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا ، وأفظع من همجية العهد القديم ، لانها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة ، وقضـــى عليها بالزوال وقد كانت الاقطار الكبيرة التى ازدهرت فيها هذه الحضارة ، وبلغت أوجها فى الماضى كايطاليا ، وفرنسا ، فريسة الدمار والفوضى والخراب) (٢) .

وبالجمله فقد اتسمت المجتمعات البشريه فى القرن الخامس والسادس الميلاديين بالظلام المطبق ، والشر المستطير ، فى جميع النواحى الاجتماعية والانسانية ، وما ذلك الا لغياب وحى السماء الذى ينظم حياتهم ويضبـــط سلوكهم ، حتى أصبح الناس بأمس الحاجه الى نور يبدد هذا الظـــلام ويوجه الشعوب الى السعادة والرشاد ، فجاء نور الاسلام الذى أوجد الله به خير أمة أخرجت للناس.

---

(١) معالم تاريخ الانسانية / ولز جـ٣ / ٥٨٧ ـ الكتاب السادس ط١ / ١٩٥٠ لجنة التأليف والترجمه والنشر .

(٢) السيرة النبوية لابى الحسن الندوى ص١٨ دار الشروق.

ضرورة قيام المجتمع المسلم :

بعد أن تبين لنا حالة المجتمعات البشرية ، وما اتسمت به من ظلم وسيطر عليها من ظلام ، وكيف أن طروفها كانت لا تساعد على قيام مجتمع انسانى يأمن الانسان فيه على نفسه ، فليس هناك روابط تربط المجتمع ، ولا علاقة بين الزوج وزوجه ، والابن وأبيه ، لذلك أصبح ضروريا بعد ظهور الدعوة الاسلامية ، قيام مجتمع مسلم هدفه اقامة منهاج حياة متوازنة ومستقرة ، واضحة لا غموض فيها ، ولا ظلام .

قال تعالى : (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)(١) .

فالدعوة الاسلامية رسالتها تهدف الى قيادة الحياة الانسانية وتوجيهها الى معرفة الله سبحانه وعبادته ، والرضاء بحكمه ، ولا بد لهذا الهدف أن يرتفع على المجتمع البشرى قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله)(٢) .

واذا كانت الغاية من الدعوة هو اخراج الناس من الظلمات الى النور فلابد لأنظمتها من الهيمنة على المجتمع البشرى فى جميع نواحيه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)(٣) .

---

(١) سورة ابراهيم آيه ١ .

(٢) سورة النساء آيه ١٠٥ .

(٣) سورة النساء آية ٦٥ .

وقد كان لنظام الاسلام أكبر الأثر على العالم حيث بدد الظلام ، ورسم طريق السعادة ، وأنار السبيل أمام السالكين ، مما الهج السنة الناس بالاعتراف بهذا الجميل الذى قدمه الاسلام ، وأنظمته للبشرية جمعاء .

وقد شهد بذلك الكاتب الروسى تولستوى (١) بقوله :-

(مما لا ريب فيه أن النبى محمدا كان من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الانسانى خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء ، وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقى والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتى قوة ... ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام) (٢) .

---

(١) تولستوى : هو الكونت ليون تولوستوى بن الجنرال الكونت تولوستوى المتوفى سنة ١٨٤٤ كان يسكن فى بلدة (بانيا بوليانا) وهى قرية صغيرة فى وسط روسيا ، نشأ جنديا ثم اشتغل باصلاح ، الهيئة الاجتماعية ، وقد تصدى لقادة الأديان ، وصاح بهم صيحات انتقاد واستهزاء حملتهم على هرمانه ، والحكم بالحاده ، كما جاهر الحكومة الروسية بما يضمر لها الشعب ، وقد صادرت مؤلفاته ، كان يرى أن نجاة العالم فى أن يكون مسيحيا بالمعنى الانجيلى الخالص (دائرة معارف القرن العشرين جـ٢ / ٧٠٣ ومابعدها) .

(٢) القرآن والمجتمع الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ٢٨ ط ١ .

وقد وصف وليم موير ذلك بقوله :-

(امتاز محمد بوضح كلامه ، ويسر دينه ، وقد أتم من الاعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحا ، أيقظ النفوس ، وأحيا الاخلاق ودفع شأن الفضيلة فى زمن قصير كما فعل محمد)(١).

وعلق على ذلك أرموند يورك فقال :-

(القانون المحمدى قانون ضابط للجميع من الملك الى أقل رعاياه ، وهو نسج بأحكم نظام حقوقى وأعظم قضاء علمى ، وأعظم تشريع منور ، لم يسبق قط للعالم ايجاد مثله)(٢).

وعلى كل حال فيطيب لى أن أذكر بقية حديث جعفر بن أبى طالب أمام النجاشى والذى بين فيه أهداف الدعوة المحمدية وما تسمو اليه من إبعاد الناس والمجتمعات البشرية عن الرذائل ، وغرس المكارم مكانها . فيقول :

(فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ،ونخلع ماكنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . .)(٣).

---

(١) المرجع السابق ص٩ ٢ نقلا عن كتاب سيرة محمد / وليم موير .

(٢) القرآن والمجتمع الحديث/ عبد الرزاق نوفل ص٩ ٢ط/ ١ مطبعة الانجلو المصرية .

(٣) سيرة ابن هشام جـ١ ـ ٣٤٨ تحقيق محمد خليل هراس.

فهذه دعوة الاسلام تتمثل فى هذه الجوانب الكريمة التى تدعو الى العقيدة السليمة ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والبعد عن المحرمات ، واجتناب الفواحش ، وهذه هى مقومات المجتمع السليم .

وعلى كل حال فنستطيع القول بأن المجتمع الاسلامى قد منحه الله بالاسلام منهجا كاملا ، ونظاما شاملا ، وتشريعا متكاملا تتعاون روافده كلها على تكوين الشخصية الانسانية المثالية ، وعلى اقامة المجتمع الفاضل ، وعلى نشر الحق والعدل ، والحرية والمساواة بين الناس ، فاستطاع انقاذ البشرية مما كانت تعانيه من حيرة واضطراب ، وأعطى الانسان فوق ماكان يأمل ، وقد طبق هذه الأنظمة والقواعد على مر التاريخ تطبيقا عمليا (١) .

وما جر على المجتمعات الاسلامية العناء الا تخليها عن كتاب ربها ، وتفريطها فى هذى بينها ولن تعود لها عزتها الأولى الا بالعودة مرة أخرى الى تحكيم الاسلام فى حياتها .

---

(١) الاسلام وحقوق الانسان د . محمد خضر / ٥ .

المبحث الثانـــى

دعائم المجتمـــع الاسلامى

أولا : العقيدة :-

مأخوذة من العقد ، والعقد هو الجمع بين أطراف الشئ ، ويستعمل ذلك فى الأجسام الصلبة ، كعقد الحبل ، وعقد البناء وتوسع فى العقد فاستعمل فى المعانى ، كعقد البيع ، وعقد النكاح . والعقيدة الدينية هى ما يجب على المسلم الايمان به ، فكأن المؤمن المعتقد ، قد جمع أطراف قلبه وعقدها على ماصدق به (١) .

ولفظ العقيدة لم يرد فى القرآن الكريم وانما ذكر لفظ الايمان فيجب على المسلم أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والبعث والنشور ، والحياة الآخرة ، كما يجب عليه الايمان بأصول الشريعة التى لا اجتهاد فيها ولا خلاف كالصلاة والصيام وغيرها .

والعقيدة هى الاصل والأساس الذى تبنى عليه الشريعة ، والعقيدة والشريعة مترابطتان لا تنفصل احداهما عن الأخرى ، فالذى يدعى الاسلام ، ولا يصلى ، ولا يعمل بالشريعة ، والذى يصلى رياء أو نفاقا وهو غير مؤمن بقلبه كلاهما لم يتحقق فيه معنى الايمان الذى أراده الله .

---

(١) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى /أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى مادة عقد جـ٢ / ٥٢٥ .
شرح العقيدة الواسطيه /محمد خليل هراس ص١٥ ط٤ / مؤسسة مكة للطباعة .

وقد اقترن الايمان في القرآن كثيرا بالعمل كما في قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؛ انا لا نضيع أجر من أحسن عملا)(١) وقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا)(٢).

والعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة ، ضرورة للفرد ، ليطمئن ويسعد ، وتطهر نفسه ، وللمجتمع يستقر ويتماسك ويرتفع وينهض . فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح ، تحوله يمينا وشمالا فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار ، وليس له جذور تثبته ، والمجتمع بغير عقيدة ، مجتمع غابة ، وان ظهرت له بوارق الحضارة فهو مجتمع تعاسة وشقاء ، ليس له غايات وأهداف وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام)(٣). وقد اعترف المفكرون والفلاسفة من الذين لا يؤمنون بالله بقيمة الايمان وأثره في النفوس البشرية وقد قال بعضهم (لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه) أي نخترع للناس الها يؤمنون به ويلتمسون رضاه ، ويخافون حسابه حتى ترتدع الانفس الشريرة وتستقيم أخلاق الجماهير)(٤).

وقد كانت العقيدة الاسلامية اذ انا بمولد مجتمع جديد يخالف المجتمعات الجاهلية السابقة ، التي جعلت أساس مجتمعاتها الجنس أو القبيلة ، أو السلالة أو الأقليم ، أو اللغة ، بخلاف الاسلام الذي جعل أساس مجتمعه العقيدة .

---

(١) سورة الكهف آية ٣٠ . (٢) سورة الكهف آية ١٠٧

(٣) سورة محمد آية ١٢ .

(٤) الايمان والحياة د . / يوسف القرضاوي ص٨ ومابعدها - مؤسسة الرسالة - بيروت .

فالرومان والفرس واليونان ، والعرب قبل الاسلام بنوا مجتمعاتهم على الأسس السابقة ، وما أن أهل الاسلام حتى عمل على هدم هذه الأسس وأحل محلها العقيدة ، وبين أن أصل البشر واحد ، ولا يمكن حجب هذه الحقيقة بالجنس أو النسب قال تعالى :-

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)(١) .

وقال أيضا :-

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)(٢) .

وقد بين الرسول هذه الحقيقة بقوله (الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى ولا عجمى على عربى ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر الا بالتقوى)(٣) .

فبناء المجتمع على غير هذا الأساس باطل ، لأن الارض كلها لله ، خلقها لعبادة فهى وطنهم أينما وجدوا وحيثما حلوا (والأرض وضعها للأنام)(٤) . والأسس التى قامت عليها المجتمعات غير الاسلامية ضيقة ولا تتسع للناس جميعا فهى لا تصلح أساسا للمجتمع البشرى ، بينما الانسان بمجرد انخراطه فى عقيدة الاسلام يصبح عضوا من أعضائه بغض النظر عن جنسه ولونه ووطنه والعقيدة الاسلامية تربط بين قلوب معتنقيها برباط المحبة والاخاء والتراحم ، ذلك الرباط الذى لا يساويه

---

(١) سورة النساء آية ١ . (٢) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / جلال الدين السيوطى جـ٦ / ٩٨ .
(٤) سورة الرحمن آية ١٠ .

رباط الجنس أو اللغة أو الوطن أو القوم لأن هذه الروابط سطحية وأثرها واه ، أما رباط العقيدة فهو قوى لا يضعف ، باق لا يزول .

مظاهر الشمول فى العقيدة الاسلامية :-

اتسمت العقيدة الاسلامية بالوضوح والشمول والعدل والوسطية أما وضوحها فهى خالية من كل تعقيد أو غموض كتعقيد التثليث والمثنوية (١).

وأما شمولها ، فلأنها قامت بتفسير القضايا الكبرى التى شغلت العقول البشرية ، كقضية الألوهية ، وقضية الكون ، وقضية الانسان وقضية النبوة ، وقضية المصير . حيث تناولتها جميعها بأسلوب واضح ظاهر لكل الناس ، ويتجلى شمولها فى قضية الاله الذى بينت أنه اله واحد ولم تضع الانسان فى صراع فكرى كما فعلت العقائد الأخرى كالمجوسية والنصرانية . كما يظهر شمولها أيضا فى كونها عقيدة لا تقبل التجزئة والتقسيم ، فهى كل يجب الايمان بها فمن آمن ببعضها وكفر ببعضها فهو كافر قال تعالى : (أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (٢).

---

(١) المثنوية : وهم القائلون بوجود أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، والضر والصلاح ، يسمون أحدهم النور والثانى الظلمة وينتشر هذا المذهب فى المجوس والفرس . الملل والنحل للشهرستانى جـ٢ / ٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٨٥ .

ومن مظاهر شمولها أنها لا تخص بنعمة الله أمة دون أمة أو سلالة - لانها مختارة - دون سلالة لفضيلة غير فضيلة العمل والصلاح (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)[١] .

وهى أنها تشمل الأجناس البشرية جميعا ، وتشمل العقل والروح معا ، وتغذى النفس والجسد كليهما ، وتعمل من أجل الدنيا والآخرة قال تعالى :-

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[٢] . بخلاف العقيدة النصرانية التى تدعو الى قسمة الحياة نصفين ، نصف للدين وتقوده الكنيسة ونصف للدنيا وتقوده الدولة ، كما جاء فى انجيل متى (أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله)[٣] .

ثانيا : ازالة الفوارق الطبقية من المجتمع الاسلامى وتثبيت مبدأ المساواة :-

سبق أن أشرنا الى أن العقيدة هى الاساس الذى يبنى عليه المجتمع الاسلامى ، وقد هدمت هذه العقيدة الأسس الجاهلية التى قامت عليها المجتمعات البشرية السابقة .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣

(٢) الاسلام فى القرن العشرين / عباس محمود العقاد ص ٥٦٤ - الموسوعة جـ ٤ .

(٣) سورة القصص آية ٧٧ .

(٤) انجيل متى ٢٢/٢١ .

فالعقيدة الاسلامية لا ترضى بالنزعات القومية ، والنعرات الجنسية وانما المبدأ السامى عندها أن الناس أمة واحدة كلهم لآدم ، وآدم من تراب .

يقول عليه الصلاة والسلام فى تقرير هذا المبدأ فى خطبة حجة الوداع (يا أيها الناس الا ان ربكم واحد ، الا وان اباكم واحد الا لافضل لعربى على عجمى ، الا لافضل لأسود على أحمر الا بالتقوى الا قد بلغت ؟ قالوا : نعم قال : ليبلغ الشاهد الغائب)(١) .

وان اختلاف اللغات والاجناس والالوان آيات دالة على قدرة الخالق قال تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين)(٢) .

وقد حارب الاسلام العصبيات وجعلها من دعوى الجاهلية ، فليست من الاسلام فى شىء قال صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، والناس بنو آدم ، وآدم من تراب ، لينتهين أقوام فخرهم برجال أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن)(٣) .

---

(١) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى جـ٢/٥٢٩ ط١/١٣٨٦ - دار الكتب الحديثه .

(٢) سورة الروم آية ٢٢ .

(٣) المسند جـ٢/٣٦٦ .

وقد جعلت الدعوة الاسلامية الأخوة عقيدة ثابتة يجب الايمان بها ، وليست أمرا ثانويا .

يقول عليه الصلاة والسلام (اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم اخوة)[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية)[٢] .

وقد شبه الاسلام العصبيات بالجيفه المنتنة (فقال لمن سمعه يذكرها وينادى بها " ما بال دعوى الجاهليه ؟ دعوا هذه الكلمة فأنها منتنة)[٣] .

ولقد حل محل العصبيات في المجتمع المسلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[٤] .

فنصرة الظالم بمنعه عن ظلمه ، ونصرة المظلوم بمساعدته للوصول الى حقه ، فالاسلام لم يحارب نوعا من العصبيات بعينها ، وانما حاربها بجميع أشكالها ، فالهدف الوصول الى الحق ومحاربة الباطل ، قال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)[٥] .

---

(١) المسند جـ٤ / ٣٦٩ .
(٢) سنن ابى داوود كتاب الأدب باب / ١٢١ جـ٥ / ٣٤٢ ط١ / ١٣٩٤ .
(٣) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين / محمد الخضرى بك ص١٤٤ ط ٥ - دار البار للنشر والتوزيع - مكة .
(٤) البخارى كتاب المظالم جـ٣ / ١٦٨ بيروت دار التراث العربى .
(٥) سورة النحل آيه ٩٠ .

وجعل **التفاوت** بين البشر بالتقوى وليس اللون أو المولد أو الجنس أو النسب (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[١] .

بهذه القواعد السليمة ، والنظم الحكيمة ، قضى الاسلام على نظام الطبقات الذى أفسد المجتمعات البشرية السابقة ، وفتح الطريق أمام الناس لينال كل واحد منهم حقه ، وبدد كابوس الظلم عن أعناق الفقراء والمساكين الذين حطمتهم أنظمة الجور والضلال ، وغرس فى نفوسهم روح المساواة ونزع روح التفرقة والاستعلاء .

وليس مبدأ المساواة مقصورا على المسلمين فيما بينهم ، بل يعم الناس جميعا فهذا يهودى يتهم بالسرقة وهو برىء ويشهد عليه بعض المسلمين ، ويكاد الرسول صلى الله عليه وسلم يصدقه ، فينزل القرآن لينصفه ذكر صاحب تفسير المنار عن ابن زيد: أن رجلا سرق درعا من حديد وطرحها على يهودى ، فقال اليهودى: والله ماسرقتها يا أبا القاسم ، ولكن طرحت على ، وكان للرجل الذى سرق جيران يبرئونه ، ويطرحونه على اليهودى ، ويقولون يارسول الله هذا اليهودى الخبيث يكفر بالله وبما جئت به ، قال حتى مال النبى صلى الله عليه وسلم ببعض القول فنبه الله عز وجل رسوله وأنزل قوله تعالى : (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)[٢] ، [٣] .

---

(١) الترمذى كتاب القراءات جـ٥ / ١٩٦ حديث/ ٢٩٤٥ - تحقيق ابراهيم عطوه عوض .

(٢) سورة النساء آية ١٠٥ .

(٣) تفسير المنار محمد رشيد رضا جـ٥ / ٣٩٢ .

أى أوحينا اليك هذا القرآن بتحقيق الحق ، وبيانه لأجل أن تحكم بين الناس بما أعلمك الله به من الأحكام ، ولا تكن للخائنين خصيما ، تخاصم عنهم وتناضل دونهم ، فالحق هو المطلوب بالحكم سواء كان المحكوم عليه يهوديا أو مجوسيا أو مسلما حنيفا (١) .

والحدود فى الاسلام تقام على الجميع ليس هناك فرق بين حاكم ومحكوم وبين أمير وسوقة الكل أمام القانون سواء فمن استحق العقاب عوقب .

حاول اسامة بن زيد أن يشفع فى **حد ثمت** على المخزومية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب عليه السلام ، وقال له : أتشفع فى حد من حدود الله ، ثم قام فخطب ، وقال : يا أيها الناس انما ضل من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها (٢) .

وقد سلك الخلفاء الراشدون نفس الأسس التى أقام عليها النبى صلى الله عليه وسلم مجتمعه الأول .

---

(١) المرجع السابق جـ٥ / ٣٩٤ .

(٢) البخارى كتاب الحدود جـ٨ / ١٩٩ - دار احياء التراث العربى .

وبعد هذا العرض لما قامت به الدعوة الاسلامية ، من تأصيل قاعدة المساواة في المجتمع الأسلامي ؛ نعود لننظر في المجتمعات السابقة والمجتمعات الحديثة التي تخلت عن الاسلام ، وعادت لما كانت عليه الجاهلية الأولى ؛ فالمجتمعات السابقة تخلخلت فيها فكرة الطبقية ، وسيطرت عليها العنصرية ؛ فكان المجتمع الفارسي يقوم على أساس طبقي حيث أسس على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يمكن وصلها . فقد كانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير ، وكان من قواعد السياسة عندهم أن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه، ولا يتطلع لما فوقه ، وليس لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها (١) .

ولم يكن المجتمع الهندي أسعد حظا من المجتمع الفارسي . فقد وصف الشيخ أبوالحسن الندوي المجتمع الهندي حينذاك بقوله . (وامتازت الهند من بين جاراتها واقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين الطبقات ، والامتياز بين الانسان والانسان ، وكان نظاما قاسيا لا هوادة فيه ولا مرونة ، مدعما بالدين والعقيدة خاضعا لمصلحة الآريين المحتلين ، والبراهمة المحتكرين للديانة والقداسة ، قائما على أساس الحرف والصنائع وثوراتها ، والعنصرية والسلالية ، وكان ذلك تابعا لقانون مدني سياسي ديني ، وضعه المشرعون الهنديون ، الذين كانت لهم صفة دينية ، أصبح القانون العام ، ودستور الحياة) (٢) .

---

(١) ايران في عهد الساسانيين / أرتهرسين ص٣٠٢ وما بعدها .

(٢) السيرة النبوية / لابي الحسن الندوي ص١٥ - دار الشروق .

ثم نأتى الى الديانة اليهودية فنجدها تجعل الشعب اليهودى شعبا مختارا مفضلا على كل الشعوب فى الدنيا قاطبة ، وأن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم فقد جاء فى أسفار العهد القديم مايلى (اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الأرض)(١) .

وجاء أيضا : (اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)(٢) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قسمت اليهودية الشعب الى طبقات فباركت أبناء يعقوب ، ولعنت أبناء أخيه الاكبر عيسو ، فقد جاء فى التوراة (فدعا أسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بناء كنعان)(٣) .

كما ساد فى الديانة اليهودية التفريق بين الاجناس البشريه الى حد لا يتصوره العقل البشرى حيث جعلت المبادىء الانسانية (مثل الرحمة والاخاء والعطف والمودة) مقصورة على اليهود فيما بينهم دون سواهم وأباحت الربا مع غير اليهود وحرمته فيما بينهم ، فقد جاء فى التوراة (للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يباركك الرب الهك فى كل ماتمتد اليه يدك)(٤) .

---

(١) سفر التثنية ٢٨/١٠ .
(٢) سفر التثنية ٧/٨ .
(٣) سفر التكوين ٢٨/١ .
(٤) سفر التثنية ٢٣/٢٠ .

وقد جاءت على أثرها المسيحية لتخفف من جشع اليهودية ومادتيها وتحث الناس على الصدقة ورعاية المحتاجين ، والزهد في الدنيا ولكنها مالبثت فترة من الزمن بعد رفع المسيح حتى تغيرت على يد رجال الكنيسة ، وأقرت الطبقات بين أفراد المجتمع ، وأوجدت التمييز العنصري ، بين طبقة وطبقة ، وشعب وشعب ، وفصلت الدين عن الحياة ، وقامت الكنائس بدعم الباطل ، وسايرت الحكام المتسلطين المفسدين ، وأصدرت لهم الفتاوى بإباحة الشهوات واللذائذ ، وجعلت منهم طبقة تسمو على الطبقات الأخرى (١) .

هذه هي نظرة الأديان والعقائد السابقة ، أما حضارة اليوم الزائفة ، فقد حطمت قيود الدين ، وتعدت حدوده ، ومايزت بين الناس على أساس الجنس واللون ففي أمريكا ينتشر التميز العنصري بين البيض والسود ، فللبيض كنائسهم الخاصة بهم كما أن للسود كنائسهم الخاصة بهم وقد صادف أن دخل رجل أسود في احدى كنائس البيض فما أن شاهد القسيس ذلك الوجه الغريب حتى أرسل له ورقه يبين فيها عنوان كنيسة السود (٢) .

ان هذه العصبية البغيضة ، والطبقية المهينة ، عملت على تحطيم الانسانية ، واذلال البشرية ، حتى أصبح العامة لا حل لهم ولا ربط ولا قيمة أمام الأفراد والحكام فهم أشبه بالجمادات الساكنة .

---

(١) الاسلام/ أحمد شلبي ص١٨١ ط٥/ ١٩٧٧ .

(٢) الخصائص العامة للاسلام/د . / يوسف القرضاوي ص٩٧ ط/ ١/ ١٣٩٧ .

ان حضارة اليوم فهى وان حلقت فى آفاق الكواكب ، وتمكنت من دفع الانسان الى القمر فهى لا زالت غارقة فى الطين غائصة فى المستنقعات ، لأنه ليس من الحضارة التمييز بين لون ولون وجنس وجنس ، وليس من الحضارة رفع الأغنياء وتحطيم الفقراء وانما الكل سواء أمام الله والقانون .

ثالثا : التكافل الاجتماعي :-

حرص الاسلام على اقامة مجتمع سليم البناء ، قويم الاركان ، تتجسد فيه الاخوة الصادقة ، وتتلاحم الصفوف أمام أفراده فهم كالجسد الواحد قال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١) .

فأحاسيس المسلمين متحدة ومشاعرهم متساندة وغاياتهم واحدة هي تحقيق السعادة والأمن للمجتمع ، قال عليه الصلاة والسلام : (المسلمون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه ، اشتكى كله ، وان اشتكى رأسه اشتكى كله)(٢) .

والتكافل نوعان :-

أ - تكافل روحي . ب - تكافل مادي .

أ - فالتكافل الروحي يتمثل في التواصي على صيانة الأخلاق وحماية الفضيلة وحراسة مبادئ الاسلام جملة وله مظاهر ثلاث .

١ - التكافل بين الفرد ونفسه .

٢ - التكافل بين الفرد وأسرته .

٣ - التكافل بين الفرد ومجتمعه .

---

(١) مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب/١٧ جـ٤/ ٢٠٠٠ - حديث/٢٥٨٦

(٢) مسلم كتاب البر والصله والآداب جـ٤/ ٢٠٠٠ .

أما التكافل بين الفرد ونفسه : فيظهر فى أن يلزم الانسان نفسه طريق الهدى، ويحميها من أسباب الردى، لكى يفوز بالدنيا والآخرة ، وبذلك يكون قد حمى نفسه مما يرديها . قال تعالى :- (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى)(١) .

وقد رسم المولى للأنسان طريق الصلاح والفلاح ، وبين له طريق الهدى والضلال فقال تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)(٢) وقال تعالى (وهديناه النجدين)(٣) .

وحذره من الوقوع فى المهالك قال تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)(٤) . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)(٥)، (٦) .

وأما مظهر التكافل الروحى بين الفرد وأسرته : فيتمثل فى حياطة الرجل لاحكام الشريعة والمحافظة عليها فى جو الأسرة وتربيتها على مبادىء الدين والاخلاق .

---

(١) سورة النازعات آية ٣٧ : ٣٩ .
(٢) سورة الشمس آية ٧ ، ٨ .
(٣) سورة البلد آية ١٠ .
(٤) سورة البقرة آية ١٩٥ .
(٥) سورة التحريم آية ٦ .
(٦) العدالة الاجتماعية / محمد قطب ص ٦٣ - دار الشروق .

يقول عليه الصلاة والسلام (كلكم راع ، ومسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته)(١) .

والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه ، وما هو تحت نظره كما قال العلماء(٢) .

فرب الأسرة مطالب برعاية أسرته ، وتدبير أمورهم ، وحسن معاشرتهم ، وتربيتهم تربية صالحة لكي يكونوا لبنات صالحة في المجتمع . فاذا ما تحققت هذه الرعاية على هذه الأسس القويمة التي رسمها الاسلام تحققت سعادة المجتمع . وأما اذا أهملت أصبحت الأسرة فريسة للشقاء والتعاسة ، والمسلم مسئول عن ذلك أمام الله تعالى : قال عليه الصلاة والسلام (ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أو ضيعه)(٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة)(٤) . كما أن الذي يغش رعيته يحرم الله تعالى عليه الجنة قال عليه الصلاة والسلام (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه الجنة)(٥) .

---

(١) فتح الباري لابن حجر كتاب العتق جـ٥ / ١٨١ .

(٢) المرجع السابق جـ١٣ / ١١٢ .

(٣) فتح الباري / لابن حجر جـ١٣ / ١١٢ .

(٤) المرجع السابق كتاب الاحكام جـ١٣ / ١٢٧ .

(٥) المرجع السابق والصفحة .

فالاسلام اهتم بالأسرة لمكانتها وخطورتها فى النظام الاجتماعى فهى المهد الذى يتربى فيه الطفل وهى أساس استقامته أو انحرافه .

(٣) التكافل بين الفرد والمجتمع :-

اذا كان الفرد هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع فلابد لسلامة البناء أن يتم التعاون والتكافل بين أفراده فى جميع نواحى الحياة الانسانية ، والتعاون من الفرد المسلم يظهر فى أنه جندى حارس لاخلاق المجتمع ، وحمى الأمة ، وراع يرعى حقوقها وتعاليم دينها . قال عليه الصلاة والسلام (كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الاسلام الله . الله لا يؤتى الاسلام من قبلك)(١) .

ولا بد للفرد المسلم أن يجعل من نفسه حارسا أمينا للدين وداعية قويا الى الحق ، يعمل على ازالة المنكر ، واشاعة المعروف .

قال عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الايمان)(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام (ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا الا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا)(٣) .

---

(١) السنة / لمحمد بن نصر المروزى ص ٨ مطابع دار الفكر / دمشق .

(٢) مسلم / كتاب الايمان جـ١ / ٦٩ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٣) ابو داوود / كتاب الملاحم جـ٤ / ٥١١ ط ١ / ١٣٩٣ .

كما أن الجماعة جنود أمناء لحماية الخير وتشجيع أهله ووقف الشر ومعاقبة أربابه .

قال عليه الصلاة والسلام : (مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)(١) .

فلابد من التعاون لتحقيق صالح الأمة ، وتحقيق السعادة لها .

قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)(٢) .

وقد أشار القرآن الكريم الى بني اسرائيل وذكر بأنهم استحقوا اللعنة على لسان أنبيائهم ، وذلك لأنهم لم يعملوا على تغيير المنكر ، ولم يتناهوا عنه فيما بينهم قال تعالى : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون)(٣) .

وقد جاء في الحديث على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم (لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم ، فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم

---

(١) فتح الباري لابن حجر كتاب الشركة جـ٥ / ١٣٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٢ .

(٣) سورة المائدة آية ٧٨ - ٧٩ .

على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس وكان متكئا فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا (١) .

ومن مظاهر التكافل الروحى بين الجماعة ، تشجيع الألفة والاتحاد بين افراد المجتمع وتحذيره من عوامل الفرقة والبغضاء ، فالمجتمع الاسلامى يتسم بقوة الروابط بين أفراده ، والعمل على تحمل المسئولية ، والنهوض باعباء الحياة على سواء قال عليه الصلاة والسلام (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) (٢) .

وفى مجال التحذير من التفرق يقول المولى عز وجل (ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين) (٣) .

فالتفرق والتنازع سبب فى هلاك المجتمع وتدمير قواه ، وتبديد طاقاته حيث أن التفرقة تجعل المجتمع اوائف متناحرة ، تضعف قوتها أمام أعدائها يقول عليه الصلاة والسلام : (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان) (٤) . وفى هذا اشارة الى خطر التفرق .

---

(١) سنن الترمذى / كتاب تفسير القرآن جـ ٥ / ٢٥٢ - حديث ٣٠٤٧ - تحقيق ابراهيم عطوه عوض .

(٢) المسند جـ٢/ ١٩٢ - ط ٢ / ١٣٩٨ .

(٣) سورة الانفال آية ٤٦ .

(٤) مسلم / كتاب الامارة باب / ١٤ جـ٣ / ١٤٧٩ .

وقد حارب الاسلام مسببات التنازع فحارب الحقد والحسد والتدابر والتقاطع .

قال عليه الصلاة والسلام (لا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله اخوانا)(١) .

ورسم طريقا لنزع الضغائن من النفوس تتم بواسطة الايثار .

قال تعالى : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم ، يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين أمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)(٢) .

وعظم الاسلام الاعمال التي تؤدي الى الترابط فجعل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد .

قال عليه الصلاة والسلام (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)(٣) .

---

(١) مسلم / كتاب البر والصله والآداب باب/٧ جـ٤/١٩٨٣ حديث٢٥٥٩ .

(٢) سورة الحشر آية ٩ ، ١٠ .

(٣) مسلم / كتاب المساجد باب ٤٢ جـ١/ ٤٥٠ - تحقيق محمد فؤاد .

(ب) التكافل المادى :-

حرص الاسلام على اسعاد المجتمع ، وتحقيق الرفاهية لأفراده ، وتدعيم أسس الاخوة بينهم ، ومحاربة الطبقية التى تولد الاحقاد والخصومات ، وتسبب التفكك والوهن فى جسم المجتمع ، وقد سلك لتحقيق ذلك سبلا منها مايتعلق بمسئولية الفرد والمجتمع ، ومنها مايتعلق بمسئوولية الدولة .

أولا : النفقة الالزامية فى نطاق الاسرة ، وتشمل نفقة الرجل على نفسه وعلى زوجته وأولاده وآبائه المحتاجين وعلى أقاربه العجزة .

يقول عليه الصلاة والسلام (ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فان فضل شىء فلأهلك ، فان فضل عن أهلك شىء فلذى قرابتك ، فان فضل عن ذى قرابتك شىء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك ، وعن يمينك وعن شمالك)(١) .

وهنا تظهر صورة الاسلام المشرقة حيث يلزم الرجل بالنفقة على أهله وأسرته ، فالولد مكلف بالانفاق على والديه ، والوالد مكلف بالانفاق على عياله ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه الى الأقربين ، ويجعل ذلك حقا لهم قال تعالى : (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون)(٢) .

---

(١) النسائى جـ ٥ / ٥٢ ط ١ / ١٣٨٣ - مصطفى البابى الحلبى .

(٢) سورة الروم آية ٣٨ .

ثانيا : النفقة الالزامية فى نطاق المجتمع :-

أ - الزكاة :-

وهى ركن من أركان الاسلام ، وفريضة محكمة ، فرضها الله على الأغنياء من أجل سد النقص فى بعض جوانب المجتمع ، فهى تزيل الآلام عن المحتاجين وتسدل على المجتمع ظلال الرحمة والمودة ، وهى تشمل جميع أنواع الأموال ، من النقود بأنواعها والأنعام والزروع والثمار ، وعروض التجارة ، والمعادن .... الخ .

وتؤخذ الزكاة من رأس المال الفائض عن حاجة الانسان وعياله ماعدا الزرع فانها تؤخذ من غلته لا من رأس المال .

وتصرف الزكاة وفقا لما جاء فى كتاب الله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم) (١) .

ولحرص الاسلام على حق الفقراء وأصحاب الحاجات جعل لهم نصيبا مفروضا من الزكاة والجزية والخراج والفيء والغنائم ، وكل ذلك من أجل توزيع المال توزيعا عادلا .

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠ .

فالاسلام استطاع بانظمته وقوانينه أن ينزع من المجتمع بذور الفرقة والتفاوت ، وأن يجعل الناس كالجسد الواحد ، فهو لا يرضى أن تعيش طبقة في مستوى الترف والبذخ ، وتعيش أخرى في مستوى الفاقة والحرمان وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله (أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى)(١) .

ومن وجوه الانفاق أيضا :-

أ - صدقة الفطر :-

فقد فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر ، من رمضان على الناس صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ، ذكر أو انثى ، من المسلمين)(٢) .

ب - النذور :-

وهو ماينذره المسلم من مال في سبيل الله عند تيسير الأمور وقضاء الحاجات ، والوفاء به واجب لقوله تعالى (وليوفوا نذورهم)(٣) .

جـ - الكفارات :-

فتح الاسلام المجال أمام الانسان للتخلص من مخالفته الشرعية في الصوم والحج واليمين وغيرها مما يصح التخلص منه عن طريق الكفارات قال تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما

---

(١) المسند جـ٢/ ٣٣ ط٢/ ١٣٩٨ .
(٢) مسلم / كتاب الزكاه باب ٤ جـ٢/ ٦٧٧ .
(٣) سورة الحج آيه ٢٩ .

عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)(١) .

(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم)(٢) .

د - خمس الغنائم :-

(وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ، ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)(٣) .

هـ - الفيء :-

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)(٤) .

---

(١) سورة المائدة آية ٨٩ .
(٢) سورة المجادلة آية ٣ - ٤ .
(٣) سورة الانفال آية ٤١ .
(٤) سورة الحشر آية ٧ .

ثالثا : النفقات التطوعية :-

ولم يقف الحد فى الصدقات عند الزكاة ، وانما جعل الاسلام فى الأموال حقوقا سوى الزكاة يقول عليه الصلاة والسلام : (ان فى المال لحقا سوى الزكاة)(١) . ثم تلا قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله ، واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين ، وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة)(٢) .

يقول الاستاذ عبد القادر عودة رحمة الله .

فالآيه صريحة (فى وجوب الانفاق وفى وجوب الزكاة ، والفصل بين الانفاق والزكاة بالصلاة ، دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة ، والنص على كل من الانفاق والزكاة على حده فى آية واحدة ، قاطع بأن كليهما يختلف عن الآخر ، وانهما فريضتان مختلفتان)(٣) .

وقد أوجب الاسلام هذه النفقات لسد الحاجات التى لا تفى بها الزكاة ، فاذا ما احتاج الفقراء الى أموال الأغنياء ، ولم تف بذلك أموال الزكاة جاز للامام أن يأخذ من أموالهم بقدر الحاجة التى لم تف بها الزكاة .

---

(١) الترمذى كتاب الزكاة باب/٢٧ جـ٣ / ٣٩ تحقيق محمد فؤاد .

(٢) سورة البقرة آيه ١٧٧ .

(٣) المال والحكم فى الاسلام عبد القادر عوده ص ٦٠ ط٤ / ١٩٧١ .

قال القرطبي :-

(واتفق العلماء أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف المال اليها ، قال مالك رحمه الله : يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم)(١) .

فاقتطاع جزء من رأس المال حق ثابت لولى الأمر اذا اقتضته مصلحة المسلمين ويؤيد ذلك ماجاء عن الغزالى فى المستصفى قال : ((اذا خلت الأيدى (أيدى الجنود) من الأموال ولم يكن من مال المصالح (أى خزينة الدولة) مايفى بخراجات العسكر (أى نفقات الجيش) وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الاسلام أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر (أى حدوث الفتنة الداخلية) جاز للامام أن يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجند ، لأنا نعلم أنه اذا تعارض شران أو ضرران دفع أشد الضررين وأعظم الشرين ، وما يؤديه كل واحد منهم (الاغنياء) قليل بالاضافة الى مايخاطر به من نفسه وماله لو خلت شوكة الاسلام))(٢) .

وقد فتح الاسلام مجال الانفاق أمام الانسان ، وبين له أبواب الخير ، ولم يحددها ، وانما ترك ذلك للانسان .

ومن هذه الابواب نظام الأوقاف التى شرعها الاسلام لسد حاجات المعوزين وقد قام المسلمون بذلك فما تركوا وجها من وجوه الحاجة ولا بابا

---

(١) جامع الاحكام للقرطبى جـ٢ / ٢٤٢ طـ٢ / ١٣٥٤ دار الكتب المصرية .

(٢) المستصفى / للغزالى جـ١ / ٣٠٣ - ٣٠٤ - دار صادر بيروت .

من أبواب الخير الا وقد وقفوا عليه ؛ فبعضها ، وضع فى خدمة طلاب العلم والعلماء حتى لا يحتاجوا الى أحد ، وبعضها وضع فى خدمة الفقراء والمحتاجين والمرضى والمقعدين والايتام والأرامل . . . الخ .

ولو أن هذه الأوقاف سلمت من أيدى المعتدين ، لحققت أهدافها ووصلت الى غاياتها ، ولكن معاول الهدم قامت باتلاف هذه الثروة وتبديدها وصرفها فى غير مصارفها . والاستيلاء عليها .

هذه هى نظرة الاسلام التكافلية ، ولما خرجت المجتمعات الحديثة عن أنظمة الاسلام واستبدلت بها أنظمة وضعية غير صالحة ، انعدمت الصلاة بين أبنائها وان وجدت فانها تقوم على تبادل المصالح المشتركة ، واستيفاء الاجور ، وأما الايثار والتضحية فهما أمران معدومان ، فالفرد يعيش على أعصابه ، فان ضعفت فلا معين له ، وقد تفككت أواصر الأسر حتى انعدمت الروابط بين الأسرة الواحدة فالأب غير مسئول عن أولاده وانما يكلهم الى حظهم من العيش ، وربما كانوا قاصرين عن الكسب ، وتتمثل هذه الصورة فى دول الحضارة الغربية ، فاذا كانت هذه صورة أسرهم فكيف هى حال مجتمعاتهم .

أما الاسلام فقد جعل حق الكفالة العامة من بيت المال لكل انسان فى دار الاسلام .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته)[١] .

وفى رواية (من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا " أى ثقلا من دين أو عيال " فإلينا) .

ويقول خالد بن الوليد (أيما شيخ من أهل الكتاب ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت عنه جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقام بدار الهجرة ، ودار الاسلام ، فأن خرجوا الى غير دار الهجرة ، ودار الاسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم)[٢] .

وبهذا تسعى نظم الاسلام الى حل المشاكل الطارئة فى كل عصر من الاعصار وتعمل على موازنة الموارد مع النفقات ، فهى تعمل على سد حاجات المجتمع فى كل وقت ، فأنظمة الاسلام تختلف عن الأنظمة الوضعية التى تتصف بقصورها ، ان الدول الحديثة تنظم نفقاتها بحيث تتناسب مع ايراداتها ، بينما الدوله الاسلامية تنظم ايراداتها بحيث تفى بحاجات نفقاتها العامة ، وتتناسب مع مصروفاتها ، وهذا يدل على وجود صلاحية فائقه فى النظام المالى للفقه الاسلامه ، فهو يساير الحاجات المادية فى المجتمع ويسير المرافق العامة من دون أن يقع عبء هذه المطالبة على كاهل الطبقة الفقيرة فى المجتمع[٣] .

---

(١) مسلم كتاب الفرائض / باب ٤ جـ٣ / ١٢٣٧ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
(٢) الخراج لابى يوسف / ١٤٤ - الموسوعة .
(٣) النظام المالى وتداول الثروة فى الاسلام - محمد مهدى الآصفى / ط . ثانية .

المبحث الثالث

مكانة المرأة في النظام الاجتماعي

نظرة الاسلام الى المرأة :-

من النظرة الشمولية في الاسلام شموله لكل مايتعلق بشئون المرأة واذا أردنا أن نعرف ذلك لا بد أن نشير ولو بايجاز الى نظرة المجتمعات السابقة للاسلام لنرى مع شيء من المقارنة أن الاسلام بوأ المرأة مكانة تغبط عليها .

فعند اليونان : بالرغم من تقدم الحضارة في هذه البلاد الا أنها كانت تعتبر المرأة من سقط المتاع فقيمتها دون قيمة الرجل ، ويظهر ذلك من قول أرسطو " ثلاثة ليس لهم التصرف في أنفسهم ، العبد ليس له ارادة ، الطفل له ارادة ناقصه ، المرأة لها إرادة وهي عاجزة "(١) .

ويقول ديموستن : (اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن الابناء الشرعيين)(٢) .

فأهلية المرأة عند اليونان معدومة وشخصيتها القانونية مفقودة .

---

(١) المرأة من خلال الآيات القرآنية / عصمة الدين كركر جرم الهيلة ص٢٧ - نقلا عن قاموس الآثار المسيحية والطقوس جـ٥ / ١٣٠٠ - ١٣٣٥ .

(٢) الاسلام والمرأة المعاصرة / للبهي الخولي ص١٢ ط ٣ / دار القلم الكويت - والمرأة من خلال الآيات القرآنية / عصمة الدين كركر ص٢٧ وقصة الحضارة / ول ديورانت ٦ / ٢١٠ .

٢ - وفى بلاد الرومان :-

لم يكن حظ المرأة بأسعد من حظ اختها اليونانية ،فقد كانت الأنظمة الرومانية تمكن ولى أمر المرأة منعها من الزواج اذا لم يكن موافقا ، كما أنه ليس لها حق المطالبة بأرث مال زوجها ، كما أن للزوج حق حرمانها من ارثه ان شاء (١) .

٣ - وفى بلاد فارس :-

المرأة عبدة سجينة لا قيمة لها ولا سعادة ،تباع كما تباع السلع وقد انتشرت الاباحية فى هذا المجتمع على يد دعاتها من **المزدكيه** الذين قالوا أن الناس شركاء فى الأموال والنساء . فمن كان عنده فضل من الأموال والنساء والامتعة فليس هو بأولى به من غيره (٢) .

٤ - وأما فى الجاهلية :-

فقد كان عرب الجاهلية يكرمون المرأة فى نواحى ويمتهنونها فى نواحى أخرى وكانت بعض النساء **العربيات يتميزون** فى الجاهلية بالعفة والفضاهة وحسن التربية لأبنائهن ، حتى أن الجاهلى كان أول مايفكر فيه هو اختيار الزوجة الطيبة لنجابة الأولاد ، وكان العربى يمن على أولاده بحسن اختياره لأمهم .

---

(١) قصة الحضارة / ول ديورانت ٦/١٨ .
تنظيم الاسلام للمجتمع / محمد أبو زهرة ص ٦ .

(٢) فجر الاسلام / أحمد أمين ص ١٠٩ ط/١٠ دار الكتاب العربى - بيروت.

قال الشاعر :-

وأول احسانى اليكم تخيرى . . . لماجدة الاعراق باد عفافهـا .

وأما المظالم التى لحقت المرأة فى الجاهليه فكثيرة ومتعددة وقد أشارالقرآن الى بعضها ، فكثير من القبائل العربية كانت تعتبر المرأة أداة شر وتتطير لمجيئها ويتشاءمون لمولدها وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم .

فقال تعالى :-

(واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ،أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء مـا يحكمون)(١) .

وقد عم وأد البنات بين القبائل العربية ،وقد قيل إن رجلا واحداً اسمه قيس بن عاصم المنقرى ،وأد بضع عشرة من بناته فى الجاهليـة فلما أسلم قال يوما : للنبى صلى الله عليه وسلم (انى وأدت اثنتـى عشرة بنتا) ومع أن الاسلام يجب ماقبله ولكن النبى أعظم منه هذا الفعـل وقال له (أعتق عن كل واحدة نسمة)(٢) .

لقد انتشرت عملية الوأد فى الجاهليه ،وكان الدافع اليها خشية العار والفقر وقد تبرأ الاسلام من هذا الفعل الشنيع فقال تعالى فى كتابه (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت)(٣) .

---

(١) سورة النحل آية ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) أسد الغابة لابن الاثير جـ٤ / ٤٣٣ تحقيق محمد ابراهيم البنا وزميله .
(٣) سورة التكوير آية ٨ - ٩ .

وقد كثرت الحروب بين العرب مما أدى الى كثرة السبايا من النساء والذرارى ومن العادات التى استفحل شرها فى الجاهلية أن الرجل اذا مات صديقه قال أنا أحق بزوجته ،فيضمها اليه فأما أن يتزوجها أو يزوجها ويأكل مهرها . وكان الرجل اذا مات والده ورث زوجاته وتمتع بهن . كما كان يتمتع أبوه ، فأنزل الله قوله (١) :-

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) (٢) .

٥ - المرأة عند اليهود :-

برغم أن اليهودية كانت فى الأصل ديانة سماوية الا أن تعاليمها الحالية تنظر الى المرأة نظرة تختلف عن نظرتها الى الرجل وفى هذا يقول بابا بتره :-

(ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الاناث، نعم لا ينكر لزوم الاناث للتناسل ، الا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس الا أن النفس تميل الى رائحة العطر الزكية وتكره الجلد الخبيثة ،فهل يقاس الجلد بالعطر) (٣) .

---

(١) سورة النساء آيه ٢٢ .

(٢) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب ص٨٧ ، ٨٨ ط. دار المعرفة وتنظيم الاسلام للمجتمع - محمد أبوزهرة ١٣ - ٢٤ . دار الفكر - والاسلام والمرأة المعاصرة - البهى الخولى ١٣ .

(٣) اليهودية / أحمد شلبى ص٣٠٤ ط٤ / ١٩٧٤ .

ويعتبر اليهود أن المرأة بزواجها تصبح مملوكة لزوجها فهو سيدها والمتصرف فيها كيف يشاء ، ولا يجوز لها أن تتصرف في شيء فليس لها حق البيع والشراء ، وجميع ما تملك حق لزوجها يتصرف فيه كيف يشاء . وتملك المرأة عند اليهود مؤخر صداقها بعد موت زوجها أو طلاقه لها وليس لها أن ترث زوجها بعد موته . وليس لها من أموالها الا مؤخر صداقها وبقية أموالها تنتقل الى ورثة زوجها (١) .

وتنظر اليهودية الى المرأة على أنها شر وجهالة وهي أمر من الموت (٢) جاء في سفر الجامعة مايلي :-

(درت أنا وقلبي ، لأعلم ولا أبحث ، ولأطلب حكمة ، وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنها جنون ، فوجدت أمر من الموت المرأة التي هي شباك ، وقلبها أشواك ، ويداها قيود) (٣) .

وتعتقد اليهودية نجاسة المرأة في أيام حيضها ، وكل ما تلمسه فهو نجس ، جاء في التوراة مايلي (وكلم الرب موسى قائلا ، كلم بني اسرائيل قائلا (اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث علتها تكون نجسة) (٤) .

---

(١) المرجع السابق وحضارة العرب ص ٤٩٢ .

(٢) اليهودية / أحمد شلبي ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ط ٤ / ١٩٧٤ .

(٣) سفر الجامعة ٧ / ٢٥ - ٢٦ .

(٤) سفر اللاويين ١٢ / ١ - ٣ .

(وان ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها)[١].

(واذا كانت امرأة يسيل دمها أياما كثيرة فى غير وقت طمثها أو اذا سال بعد طمثها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمثها انها نجسة ، كل فراش تضطجع عليه كلّ أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها ، وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها ، وكل من مسهن يكون نجسا فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء)[٢].

وجميع مايقوم به الرجال من أعمال لا أخلاقيه فإثمه على المرأة وتحمل اليهودية اثم الأكل من الشجره على المرأة وحدها جاء فى سفر التكوين (فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وانها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها ، وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل)[٣].

وجاء فى سفر التكوين (فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت)[٤].

وهذا يخالف حقائق القرآن اذ جعل المسئولية مشتركة بين آدم وحواء ، فالأكل حصل منهما .

---

(١) سفر اللاويين ١٢/٦٠ (٣) سفر التكوين ٤/٦٠

(٢) سفر اللاويين ١٥/٢٥-٢٨ (٤) سفر التكوين ٣/١٢٠

قال تعالى :-

(فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة)(١) . وجعل عداوة الشيطان مشتركة بينهما (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)(٢) .

المرأة في نظر المسيحية :-

من أقوال علمائهما نعرف موقف المسيحية واتجاهها .

يقول كريستوم (المرأة شر لا بد منه ، وأغواء طبيعي ، وكارثة لازمة وخطر منزلي وفتنة مهلكة وشر عليه ملاء)(٣) .

وتجرد المسيحية المرأة من العفة يقول الاب جريجوري توماتوركوس (لقد بحثت عن العفة بينهن ، ولكن لم أعثر على أي عفة ، يمكن أن تعثر على رجل من بين الألف رجل ذي عفه وحياء ، ولكن لن نتمكن أن نعثر على امرأة واحدة لها عفاف وخجل)(٤) .

أما الاسلام فيجعل النساء شقائق للرجال وكل منهما مسئول عن عمله وقد حاول بعض رجال الكنيسه أن يخرج المرأة من الجنس البشري حيث ورد على لسان بعض القساوسة (بأن المرأة لا تتعلق ولا ترتبط بالنوع البشري)(٥) .

---

(١) سورة طه آية ١٢١ . (٢) سورة طه آية ١١٩ .
(٣) قصة الحضارة / ول ديورانت ١٦ / ١٨٢ - ١٨٧ .
(٤) المرأة في التصور الاسلامي / عبد المتعال محمد الجبري ص ١٤٣ ط ٢ .
(٥) المرجع السابق ص ١٤٤ .

وبعد أن ظهرت الصورة التى كانت عليها المرأة فى المجتمعات السابقة نبين موقف الاسلام من المرأة :-

الحقيقة التى يجب أن يعلمها كل انسان على وجه الأرض أن الاسلام قد رفع من شأن المرأة وأزال المظالم التى لحقت بها على يد المجتمعات الجاهلية الأولى ، فوضع نظاما عاما وشاملا يحمى المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع ونورد الآن ماقام به الاسلام تجاه هذه المخلوقة الضعيفة .

أولا : قرر الاسلام أن المرأة انسان ، وهى شقيقة للرجل وأنها من أسس مقومات الانسانية ، من حيث بقاء النوع الانسانى وتربية الاجيال الصالحة . يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (والله ان كنا فى الجاهليه ، مانعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ماقسم)(١) .

وقد قرر القرآن ذلك فى مثل قوله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)(٢) .

---

(١) مسلم / كتاب الطلاق جـ٢/ ١١٠٨ .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى / عيسى البابى الحلبى / مصر .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

فأصل الخلق من ذكر وأنثى وهما سواء ليس لأحدهما فضل على الآخر من حيث الخلق قال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)(١) .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام مقررا لهذه الحقيقة كما روته السيدة عائشة (انما النساء شقائق الرجال)(٢) .

ثانيا : قرر الاسلام أن على النساء ماعلى الرجال من الواجبات والفرائض لافرق بين الذكر والانثى الا ماكان من بعض الاحكام الخاصة بها فى أيام حيضها ونفاسها .

قال تعالى :-

(ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(٣) .

ثالثا : قرر الاسلام أن مسئولية المرأة مستقلة عن مسئولية الرجل فلا ينفع صلاح الرجل زوجته اذا فسدت ، ولا ينفع صلاح المرأة

---

(١) سورة النساء آولها .

(٢) المسند جـ٦/٢٥٦ .

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٥ .

الزوج اذا فسد ، فلكل واحد منهما مسئوليته الخاصة عن عمله .

قال تعالى :-

(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلا للذين أمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين)(١) .

ومن أجل هذا سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الجزاء والثواب على الاعمال في الدار الآخرة .

قال تعالى :-

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون)(٢) .

رابعا : أشرك الاسلام المرأة في النشاط الاجتماعي لبناء المجتمع واقامة الحياة وذلك فيما يناسبها من أعمال بعيدة عن الاختلاط والتبرج .

---

(١) سورة التحريم آية ١٠ - ١١ .

(٢) سورة النحل آية ٩٧ .

قال تعالى :-

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله)(١).

فهذه الآية تثبت قيام المرأة بأعمال الخير مع الرجال كما تثبت للمرأة حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مادام ذلك يتم في حدود الفضيلة وضوابط الاخلاق .

خامسا : أباح الاسلام للمرأة المسلمة أن تجير الاعداء ، فها هي أم هانئ تجير يوم فتح مكة رجلين من أحمائها ، وتخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه السلام : (قد أجرنا من أجرت وآمنا من أمنت فلم يقتلهما)(٢).

سادسا : قرر الاسلام للمرأة حق التعليم ، وقد ثبت أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيها ويقيل عندها ، وطلب منها أن تعلم حفصة بنت عمر أم المؤمنين رقية النمل كما علمتها الكتابة(٣)، (٤).

---

(١) سورة التوبة آية ٧١ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ٤ / ٨٦٩ - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٣) رقية النمل : قال ابن قتيبة : النملة قروح تخرج من الجنب/ أعلام النساء جـ٢ / ٣٠١ - الهامش.

(٤) أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام / عمر رضا كحاله جـ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١ - ط٣ / ١٣٩٧ .

كما سجل التاريخ ماقامت به النساء من دور عظيم في رواية الحديث والفقه والشعر كما كانت أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها . قال عروة : ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة (١) .

وقد قال عليه الصلاة والسلام (أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها ، فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران (٢)) .

وقال أيضا :-

(طلب العلم فريضة على كل مسلم) (٣) . ويدخل في هذا الحديث المسلمة باتفاق العلماء .

سابعا : منح الاسلام المرأة حق التملك ، بخلاف ماكانت عليه في الجاهلية ، وفي غيرها من الأمم السابقة ، وجعل لها حق التصرف المستقل في الاشياء التي تملكها ، وجعل لها حق الولاية على مالها ، وأباح لها ابرام العقود متى بلغت سن الرشد .

---

(١) أسد الغابة / لابن الاثير جـ٧ / ١٩١ .
تحقيق محمد ابراهيم البنا وزميله .

(٢) فتح الباري / لابن حجر كتاب النكاح جـ٩ / ١٢٦ - السلفية .

(٣) ابن ماجه المقدمه / ١٧ جـ١ / ٨١ - تحقيق محمد فؤاد .

قال تعالى :-

(وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم)(١) .

قال الشيخ محمد عبده :

(هذه الدرجه التى رفع الاسلام النساء اليها ، لم يرفعهن اليها ، دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الأمم الأوربيه التى كان من تقدمها فى الحضارة والمدنية ، أن بالغت فى تكريم النساء ، واحترامهن ، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ، لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون اذن زوجها ، وغير ذلك من الحقوق التى منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف)(٢) .

---

(١) سورة النساء آية ٥ .

(٢) حقوق النساء فى الاسلام .
محمد رشيد رضا ص ٣١ - ٣٢ .

ثامناً : جعل الاسلام للمرأة حق الميراث .

قال تعالى :-

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً)[1] . وجعل صداقها حقا لها ليس لأحد أن يشاركها فيه ، أو يأخذه منها كما كانت العادة في المجتمعات السابقة .

قال تعالى :-

(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)[2] فلا يحق لأحد من أوليائها أن يأخذ منه شيئا ولا أن يهبه لزوجها .

---

(١) سورة النساء آية ٧ .

(٢) سورة النساء آية ٤ .

تكوين الأسرة ، والحث على الزواج ، وموقف الاسلام من دعوة الرهبنة :-

الأسرة هي النواة الحقيقية لتكوين المجتمع المسلم فمنها يتخرج الفرد الذي هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع ، ومنها تتخرج الزوجة التي تربي الأطفال وتعدهم لبناء المجتمع أيضا .

ونظرا لأهمية الأسرة فقد نالت عناية فائقة من الاسلام ، فقام برسم الطريق المؤدي اليها ، ووضع لها سورا حصينا من الأنظمة والقوانين التي تحفظها تلك الطريق هي الزواج ، وقد حث الاسلام عليه في نصوص متعددة من القرآن والسنه النبوية .

يقول عليه الصلاة والسلام : (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة(١) فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء(٢))(٣) .

وقد جاء في بعض الاحاديث أيضا الدعوة الى النكاح والترغيب فيه يقول عليه السلام : (النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني ، وتزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم ، ومن كان ذا طول فلينكح ، ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم له وجاء)(٤) .

---

(١) الباءة : تكاليف الزواج من اعداد البيت والقدرة على النفقة .

(٢) الوجاء : مأخوذ من وجأ بمعنى قطع أي أن الصوم يقطع الشهوة لمن لا يستطيع الزواج .

(٣) مسلم كتاب النكاح باب/ ١ جـ٢/ ١٠١٩ تحقيق محمد فؤاد .

(٤) ابن ماجه كتاب النكاح جـ١/ ٥٩٢ - تحقيق محمد فؤاد .

وبالنظرة السريعة الى الديانة النصرانية نجد أن نصوص كتبهم تحبذ الرهبنة والبعد عن الزواج ، ولعل ذلك مستمد من أصل نظرتهم المحقرة للمرأة مما سبق عرضه ، من نصوص كتبهم التي تدل على ذلك . جاء في انجيل لوقا (انها تأتي أيام يقال فيها " طوبى للعواقر ، والبطون التي لم تلد ، والثدى التي لم ترضع) (١) .

وجاء في رسالة القديس بولس الأول الى أهل كورنثس :-

(ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ، ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا ، لأن التزوج أصلح من التحرق) (٢) .

وجاء في نفس الرسالة أيضا (أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة) (٣) .

كما جاء فيها أيضا (فأريد أن تكونوا بلاهم ، فان غير المتزوج يهتم في ما للرب ، كيف يرضي الرب ، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته ، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا ، وأما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها) (٤) .

---

(١) لوقا ٢٣/ ٢٦ .

(٢) رسالة بولس الاول الى كورنثس ٧/ ٧ - ٩ .

(٣) الرسالة نفسها ٧/ ٢٧ .

(٤) الرسالة نفسها ٧/ ٣٢ - ٣٣ .

وقد أثنى بعض علماء المسيحية على الرهبنة والابتعاد عن الزواج فقال جريجورى (القداسة والبركة لذلك الرجل الذى يقضى عمره بالعزوبية، ولا يلوث جسمه الملكوتى الذى وهبه الله له بالشهوة الجنسية)(١).

ونتيجة الدعوة الى الرهبنة والاغراءات التى قدمتها نصوص المسيحية قام عدد كبير من رجال النصرانية ونسائهم بالاعتزال فى الكنائس والانقطاع للعبادة حسب زعمهم . فالتقى الرجال بالنساء ، وحصلت الجرائم الأخلاقية نتيجة لهذا الكبت الجنسى .

يقول جوزيف مكاب صاحب كتاب المستندات الاجتماعيه للمسيحيين : (لقد أدت أعمال القسيسين القذرة الى حد بحيث أخذت ترهب سكنة القرى والقصبات التى يسكن فيها القسيس ، وتهدد أسرهم بالانهيار ، ولهذا كانوا يجبرون القسيسين على الزواج المؤقت حتى لا تتكرر تلك الحوادث السيئة مرة ثانية)(٢).

فهذه نظرة المسيحية التى تحاول أن تقضى على الفطرة الانسانية فى صورة كبت الغريزة الجنسية ، بينما نجد أن صورة الاسلام مشرقة واضحة بينة فى هذه النواحى التى ان تركت هددت المجتمع بالفناء والدمار

---

(١) المرأة فى التصور الاسلامى / عبد المال محمد الجبرى ص ١٤٥ ط ٢ / ١٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ ط٢/١٣٩٦ .

يقول الله تعالى (ورهبانية أبتدعوها ماكتبناها عليهم)(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام لعثمان بن مظعون الذى كان ممن اعتزل النساء (ياعثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا ، أفمالك فيّ أسوة ، فوالله انى أخشاكم لله واحفظكم لحدوده)(٢) .

وعن سعد بن هشام أنه دخل على أم المؤمنين عائشة فقال : قلت انى أريد أن أسألك عن التبتل فما ترين فيه ؟ قالت : فلا تفعل أما سمعت الله عز وجل يقول (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)(٣) فلا تتبتل .

ان دعوة الرهبنة دعوة خطيرة(٤) تؤدى الى قلة عدد السكان ، وضعف الأمة فى مقوماتها العددية ، والمعنوية معا ، وظهور الانحلال الخلقى ، وتفسخ روابط المجتمع ، لذلك عمل الاسلام على سد ذرائع الفساد أمام أصحاب الشهوات ، من أجل رفعة الانسان وصلاح المجتمع وتماسكه .

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧ .
(٢) المسند جـ ٦ / ٢٢٦ .
(٣) النسائى كتاب النكاح جـ ٦ / ٤٩ .
(٤) يلاحظ أن سلوك الكنيسة الآن يخالف نظرتها القديمة حيث أنها تحاول تكثير عددها خاصة فى بلاد المسلمين ، بل انها تعطى أحيانا مكافآت لمن ينجب أكثر .

وقد جاءت نصوص الاسلام شاملة لكل الأحكام والأنظمة المتعلقة بالزواج فبينت حق الزوجة على الزوج ، وحق الزوج على الزوجة فألزم الاسلام الزوج بالنفقة على زوجته .

يقول عليه الصلاة والسلام : (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)(١) .

وتقدر النفقة بطاقة الزوج ومقدرته على الكسب قال تعالى : (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله)(٢) . كما أوجب لها حسن العشرة فقال تعالى (وعاشروهن بالمعروف)(٣) . وقال عليه الصلاة والسلام (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)(٤) . كما ألزم المرأة بحسن طاعتها لزوجها . قال عليه الصلاة والسلام : (لو كنت آمر أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)(٥) . وذلك من عظم حقه عليها .

وقد حرص الاسلام على توفير المحبة والمودة بين الزوجين قبل كل شيء .

قال تعالى : (ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)(٦) .

والمودة والرحمة لا بد من تحقيقهما عن طريق سليم ، تتمثل هذه الطريق بغرس الاخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، عند الزوجين ،

---

(١) ابن ماجه كتاب المناسك باب ٤ ج ١/ ١٠٢٥ .
(٢) سورة الطلاق آية ٧ . (٣) سورة الطلاق آية ٦ .
(٤) ابن ماجه كتاب النكاح جـ١/ ٦٣٦ .
(٥) سنن الترمذي ، كتاب الرضاع جـ٣/ ٤٥٦ - ط. ثانية .
(٦) سورة الروم آية ٢١ .

وابعاد المشاكل ووسائل الخلاف والقضاء عليها من بينهما ، والتي غالبا ماتؤدى الى تفريق الزوجين وقطع العلاقة الزوجية .

وبما أن الزوجين هما أساس الأسرة ، وعلى يديهما تتخرج لبنات المجتمع لذلك عنى الاسلام بهما ، وطالب أن يتم الزواج عن رضا الطرفين ، ومعرفة بين الزوجين ليكون ذلك أساس لعشرة متفاهمة مستقرة .

أتى رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه تزوج امرأة من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنظرت اليها ؟ قال : لا قال : فاذهب فانظر اليها فان فى أعين الأنصار شيئا)(١) .

علاج الاسلام لمشاكل الأسرة :-

ان حياة الأسرة لا تخلو من الكدر والضيق ، والاسلام يلمس الواقع ويضع له الموازين بالقسط والعدل ، فاذا ما أعترى الحياة الزوجية خلل سارع الاسلام لوضع العلاج النافع ، فاذا كانت المرأة هى المتسببة فى هذا الخلل وجب على الرجل معالجته بالموعظة الحسنة أو بالهجر فى المضجع أو بالضرب غير المبرح . قال تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا)(٢) .

---

(١) مسلم / كتاب النكاح باب / ١٢ جـ٢/١٠٤٠ .

(٢) سورة النساء آية ٣٤ .

وإذا حصل الخلل من الزوج والزوجة فان الاسلام لا يترك الشر يتفاقم ، بل أنه وضع العلاج المناسب (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما)(١) .

فإذا انعدمت وسائل الاصلاح وتحولت الحياة الزوجية الى جحيم عند ذلك سمح الاسلام بالطلاق فبين الأحكام المتعلقة به ، كما بين أن أمر الطلاق أمر خطير فليس لأحد أن يلج هذا الباب الا للضرورة القصوى قال عليه الصلاة والسلام : (أبغض الحلال الى الله الطلاق)(٢) فالطلاق فيه رفع الحرج عن الزوجين في حالة عدم اتفاقهما واستحالة الحياة بينهما .

واذا نظرنا الى الديانات الأخرى وجدنا أن اليهودية تبيح الطلاق في ثلاثة حالات ، في حالة الزنا ، والعقم ، وعيب الخلق والخلق(٣) .

وأما المسيحية فهي تحرم الطلاق حتى في حالة الزنا ، يجب على الزوج اعادة زوجته اذا ندمت وتابت عن ذنبها ، أما اذا أصرت على خطئها فله حق الابتعاد عنها ، وليس له الحق في التزوج(٤) .

---

(١) سورة النساء آية ٣٥ .

(٢) ابن ماجه كتاب الطلاق جـ١ / ٦٥٠ .

(٣) روح الدين الاسلامي / عفيف عبد الفتاح طباره ص٣٧٧ ط/١٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٧٧ .

جاء فى انجيل متى مايلى :

(من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأتـــه ، ويكون الاثنان جسدا واحدا ؛ اذ ليس بعد اثنين بل جسد واحـــد ؛ فالذى جمعه الله لا يفرقه الانسان)(١) . واذا طلق الرجل زوجته وتزوج بأخرى يعتبر زانيا وكذلك المرأة جاء فى انجيل مرقص (من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها ، وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى)(٢) .

مما تقدم تظهر لنا روح الشريعة الاسلامية فى جانب الأسرة ، وكيف اهتمت بها وذلك لمكانتها وخطورتها فى المجتمع ، فاقامت بناءها علـــى قواعد ثابته ، ولم تترك للناس أن ينشئوا هذه القواعد من عند أنفسهم ، أو يضعوا الاحكام حسب تصوراتهم ، وانما نظمت شريعة الاسلام هـــذه الاحكام ، والاصول لتكسب الأسرة بذلك رعاية وقدسية ، وحماية ، ويشعر الزوجان برباط شرعى يظلله الدين فى كل خطوة من خطواته .

---

(١) انجيل متى ١٩/٦ .

(٢) مرقص ١٠/ ١١ - ١٢ .

الفصل الثالث

وفيه خمسة مباحث

الفصل الثالث

النظام الاقتصادى

جاء الاسلام بنظام اقتصادى مستقل ومتميز عن غيره من الأنظمة الاقتصادية الأخرى وقد اعترف بذلك المنصفون من علماء الغرب .

يقول جاك أوسترى : أحد علماء الاقتصاد الفرنسيين :-

(ان طريق الانماء الاقتصادى ليس محصورا فى المذهبين المعروفين الرأسمالى والاشتراكى ، بل هناك مذهب اقتصادى ثالث راجح هو المذهب الاقتصادى الاسلامى) وقد أكد هذا العالم بأن نظام الاسلام سيسود العالم لأنه أسلوب كامل للحياة (١) .

---

(١) النظام الاقتصادى فى الاسلام ، مبادئه وأهدافه .

د . أحمد محمد المسال وزميله ص ١٢ - ١٣ .

المبحث الأول

تعريف النظام الاقتصادى

الاقتصاد الاسلامى هو ذلك النظام الذى تتجسد فيه الطريقة الاسلامية فى تنظيم الحياة ، وتدبير شئونها الاقتصادية ، بما فيه من أنظمة وقوانين ومايدل عليه من رصيد فكرى يتألف من أفكار الاسلام الأخلاقية ، والعلمية الأقتصادية ، والتاريخية التى تتصل بمسائل الاقتصاد السياسى . أو بتحليل تاريخ المجتمعات البشرية.(١)

بعض ميزات الاقتصاد الاسلامى :-

بما أن الاقتصاد الاسلامى نظام الهى ، فقد امتاز عن شتى الأنظمة البشرية بأمور منها :-

أ - الله هو المشرع لاسس وقواعد هذا النظام :-

ان الأسس والقواعد التى قام عليها الاقتصاد الاسلامى تخضع لانظمة الشرع وقواعده ، فالله تعالى هو الذى أنزل الأحكام التى تتعلق بجمع المال وانفاقه ، وهو الذى بين الاعمال المباحة والمحرمة ، والمال والعمل هما الركيزتان اللتان يقوم عليهما الاقتصاد الاسلامى .

---

(١) اقتصادنا / محمد باقر الصدر ص٩ ط / ١٣٩٨ .

فهو اذا نظام الهى لا تتغير قواعد أنظمته ولا تتبدل ، والله تعالى يخاطب رسوله بقوله (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)(١) .

وشريعة الله هى المنهاج الواضح والطريق المستقيم ، الذى رسمه لعباده لكى يسيروا عليه ، فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، فمن انحرف عنه ضل الطريق واتبع الهوى .

وقد احتوى هذا النظام على أرفع المبادىء الأخلاقية فهو يحرم الغش والخداع والسرقة والكذب والاغتصاب ، والاحتكار والربا ، شعاره (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)(٢) .

ب - الله هو المالك الحقيقى لكافة موارد الأرض والسماء والانسان خليفة الله فى الأرض لعمارتها واستثمار خيراتها ، وقد دلت الآيات القرآنية على ذلك .

قال تعالى :-

(لله ملك السموات والأرض ومافيهن)(٣) أى خزائن المطر والنبات والرزق(٤) وكافة ماعلى الأرض من موارد .

وقال تعالى :-

(وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم)(٥) .

---

(١) سورة الجاثيه آية ١٨ . (٢) سورة المائدة آية ٢ .
(٣) سورة المائدة آية ١٢٠ .
(٤) تفسير الجلالين مع الفتوحات الالهية جـ ١ / ٥٤٧ .
(٥) سورة الانعام آية ١٦٥ .

وقال أيضا : (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)[١] .

ان الخلافة تقتضى القيام بما استخلف الانسان عليه ،فمن قصر فى القيام بواجبه فهو مسئول ومحاسب ، حيث أن ضرر التقصير يعود على الانسان ،وعلى المجتمع ،ويجب على الأمة أن تراقب أفرادها لأنهم اذا قصروا عاد عليها الضرر بسبب هذا التقصير .

يقول القرطبى فى معنى قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وفى هذا دليل على أن أصل الملك لله سبحانه ، وأن العبد ليس له فيه الا التصرف الذى يرضى الله .... ثم قال : وهذا دليل على أن الأموال ليست أموالكم فى الحقيقة ، وما أنتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلاء فاغتنموا الفرصة فيها قبل أن تزال عنكم الى من بعدكم)[٢] .

ويقول ابن تيمية عن الأموال : ليس لولاة الأمر أن يقسموها بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ملكه ،فانما هم أمناء ونواب ووكلاء ليسوا ملاكا)[٣] .

---

(١) سورة الحديد آية ٧ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن / القرطبى جـ١٧ / ٢٣٨ - ط/ ١٣٨٧ . دار الكاتب العربى .

(٣) السياسة الشرعية / لابن تيمية ص ٨ .

جـ- الكون وما فيه - والارض خاصة - مسخر للانسان : ليتمكن من الاستخلاف ، قال تعالى :-

(وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)(١) .

(ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض)(٢) .

(ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض)(٣) .

(والله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(٤) .

والآيات فى هذا المقام كثيرة ، وقد وردت آيات أخرى تشير الى استفادة الانسان مما خلقه الله له من الانعام والدواب والماء والنبات ، كما دلت على ذلك أوائل سورة النحل .

قال تعالى :-

(والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)(٥) .

(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق مالا تعلمون)(٦) .

(هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون)(٧) .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) سورة الحج آية ٦٥ .
(٣) سورة لقمان آية ٢٠ .
(٤) سورة الجاثية آية ١٢ .
(٥) سورة النحل آية ٥ .
(٦) " " آية ٨ .
(٧) " " آية ١٠ .

وبما أن الله تعالى استخلف الانسان على الأرض ، وسخر له مافي الكون ، فان التسخير يقتضي الانتفاع بما خلق الله تعالى ، وقد دل على ذلك القرآن الكريم حيث أطلق على هذه المنافع لفظ الطيبات من ذلك قوله تعالى :-

(ورزقناهم من الطيبات)[1] .

(ورزقكم من الطيبات)[2] .

ولذلك قال الامام علي رضي الله عنه لرجل رآه يترك الاستفادة من الطيبات (أفترى الله أباح لك الطيبات ، وهو يكره أن تنال منها شيئا ؟ بل أنت أهون على الله من ذلك ، أما سمعت الله يقول في كتابه والأرض وضعها للأنام ... الى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) . أفترى الله أباح هذه لعباده الا ليبتذلوه[3] ، ويحمدوا الله عليه فيثيبهم عليه ؟ وان ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول[4] ...

---

(١) سورة يونس آية ٩٣ . (٢) سورة الانفال آية ٢٦ .

(٣) الابتذال : ضد الصون ، ومايستعمل يبتذل فالمراد النعم الطيبات والانتفاع بها ويستعمل الابتذال في لازمه وهو الامتهان والاحتقار وليس بمراد هنا/الاعتصام للشاطبي جـ٢/٨٨ هامش .

(٤) الاعتصام للشاطبي جـ٢/٨٨ ط١/١٩١٣ - مطبعة المنار .

د - الاسلام يعتبر النشاط الاقتصادى وسيلة لا غاية :-

. ان النشاط الاقتصادى عملا وانتاجا واستثمارا واستهلاكا يعتبر فى نظر الاسلام وسيلة ضرورية تقتضيها فطرة الانسان ، والغاية من وراء ذلك هى تحقيق الغاية من الاستخلاف وهى ارضاء الله تعالى ولكن لا بد للانسان أن يدرك أن هذه الوسيلة زائلة ، ولا يبقى الا ماقدمه من عبادة الله وطاعته .

قال تعالى :-

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك)(١) .

وقال أيضا :-

(انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا)(٢) .

ويقول الامام محمد الشيبانى :-

(ان الله فرض على العباد الاكتساب لطلب المعاش ليستعينوا على طاعة الله)(٣) .

---

(١) سورة القصص آية ٧٧ .

(٢) سورة الكهف آية ٧ .

(٣) الاكتساب فى الرزق المستطاب

محمد الشيبانى ص١٤ مكتب نشر الثقافة ط / ١٩٣٨ .

هـ - الاسلام يعتبر النشاط الاقتصادى عبادة :-

يرتبط النشاط الاقتصادى فى الاسلام بالعقيدة من حيث التسخير، وبالشريعة من حيث الحلال والحرام ، وبما أنه يرتبط بالعقيدة والشريعة ؛ فهذا الارتباط يجعل له طابعا تعبديا ، وهدفا ساميا ؛ ويجعل الانسان يراقب الله فى كل عمل يقوم به ؛

ولكن لا بد للنشاط الاقتصادى من شروط حتى يكون عبادة متقبلة ، فلابد فيه من صدق النية ، وخلوص القصد لله تعالى سواء كانت الفائدة تعود على الفرد أم على الجماعة .

رأى بعض الصحابة شابا قويا يسرع الى عمله فقال بعضهم لو كان هذا فى سبيل الله ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم ، لا تقولوا هذا : فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان (١) .

---

(١) الترغيب والترهيب / للمنذرى .
جـ ٣ / ٦٣ عزاه للطبرانى وقال / رجاله رجال الصحيح ط/ ثالثه .

و - جمعه بين المادة والروح :-

يعمل النظام الاقتصادى فى الاسلام على تحقيق الحياة الانسانية الفاضلة ، فهو وان كان يستهدف النفع المادى ، فهو لا يستهدفه كغاية فى حد ذاته ، وانما كوسيلة لاعمار الارض ، واقامة الحياة والعمل للآخرة (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا)(١) . بخلاف غيره من الأنظمة التى تسعى الى تحقيق النفع المادى وحده .

أهداف الاقتصاد الاسلامى :-

١ - للاقتصاد الاسلامى مهمة يسعى الى تحقيقها ، فهو يهدف الى تنظيم النشاطات الانسانية ، فى نواحى الانتاج ، والاستهلاك والتبادل سائرا فى ذلك على قواعد الشرع وأنظمته التى بينت الحلال والحرام متوخيا فى ذلك تحقيق الرفاهية لأفراده .

٢ - كما أنه يهدف الى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس .

يقول الدكتور أحمد شلبى :-

(ان هدف التفكير الاسلامى من نظامه الاقتصادى تحقيق العدالة الاجتماعية ، فالعدالة الاسلامية ، يراها الاسلام هدفا ويراها وسيلة .

---

(١) سورة القصص آية ٧٧ .

يراها هدفا ؛ لأن المجتمع الذى يقوم على أساس سليم يلـــزم أن تتوافر فيه العدالة الاجتماعية بين أفراده ، ولا يمكن أن يكون المجتمع سليما اذا استبد به الأغنياء ، أو كان فى مقدورهم حرمان الفقـــراء أو تفاوتت الطبقات فيه تفاوتا ملحوظا ؛ فظهر فيه الفقير المحروم بجانب الغنى المتخم ، والعدالة الاجتماعية أيضا وسيلة للحب والتعـــاون اللذين يجب أن ينعم بهما كل مجتمع سليم)(١).

٣ - اشاعة الاستقرار الاقتصادى :-

يؤدى الاضطراب الاقتصادى الى اضطراب الاخلاق ، اضطرابا شنيعا بل يجعل الأجيال المتلاحقة تتوارث أنواعا شتى من خبث الأمراض النفسية والآفات العقلية الوخيمة النتائج البعيدة الاخطار(٢). وقـــد أدرك الاسلام أهمية الاقتصاد ، فوضع له أدق الأنظمة وأشملها لتعمـــل على استقرار المجتمع ، واقامة العدل فيه فى كل زمان ومكان .

والدعوة الى العدل هى مهمة الأنبياء والمرسلين ، والدعـــاة المصلحين فى مختلف الأزمان فهم يدعون الى انصاف المعوزين ، والبائسين وانقاذ الفقراء والمساكين قال تعالى (لقد أرسلنا رســلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)(٣).

وقال تعالى : (والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)(٤).

---

(١) السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامى أحمد شلبى ص١٧٦ ط/ ١٩٦٤.
(٢) الاسلام والاوضاع الاقتصادية محمد الغزالى ص ٩٨ ط/ ٦.
(٣) سورة الحديد آية ٢٥.
(٤) سورة الرحمن آيات ٧ / ٩ .

٤ - حفظ أموال الأمة وملكياتها :-

جبل الانسان على حب التملك ، ولا بد للملك من حفظ ، لكى يندفع الناس الى ذلك ، ويأمنوا على أموالهم وأنفسهم وقد تعارف الناس على المحافظة على أملاك بعضهم البعض ، لما فى ذلك من الخير والأمن ولكن تختطف النفوس وتضطرب الموازين ، فيحاول بعض الناس أن يطغى على الآخرين ، وقد أشار القرآن الى ذلك .

قال تعالى :-

(وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) (١) .

ومن هنا تدخلت الشريعة الغراء لحفظ أملاك العباد ، من كل عبث ، فجعلت حفظ المال ، من الكليات الخمس التى يجب حفظها ، فالاسلام راعى حرمة المسلم فى دمه وماله وعرضه .

قال عليه الصلاة والسلام :-

(كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه) (٢) .

---

(١) سورة ص آية ٢٤ .

(٢) أخرجه الترمذى كتاب البر والصله باب ١٨ / جـ٤ / ٣٢٥ . تحقيق ابراهيم عطوه عوض .

وكذلك عملت على حفظ صاحب المال وحمايته عند ظهور السفه والشذوذ منه حيث تقوم بفرض الحجر عليه خوفا من ضياع ماله الذى هو مـــــال للأمة .

قال تعالى :-

(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ...(١) ففـــى هذه الآية الكريمة قال (أموالكم) ولم يقل (آموالهم) لأن المـــال ليس ملكا للفرد وحده ، بل ان به نصيبا للمجتمع فلابد أن يوجـــــه هذا المال فى مصالح المجتمع ، وأن يكون أداة بناء لا معول هـــدم ، فلا يرضى الاسلام بتسخير المال فى المجون والهوى والفســـــاد لأن ذلك يؤدى الى تقويض دعائم المجتمع ، وزلزلة أركانه ، كما أن الاسلام راعى حال الصغير الذى لا يميز ، فجعل عليه الوصاية لكى لا يذهـــب ماله فى يد الظلمة ، وقد ندد الاسلام بالذين يأكلون أموال النـــاس بالباطل فقال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)(٢) .

وقال فى حق آكلى أموال اليتامى ظلما (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)(٣) .

---

(١) سورة النساء آية ٥ .

(٢) سورة البقرة آيه ١٨٨ .

(٣) سورة النساء آيه ١٠ .

وهكذا وضع الاسلام قواعد لحفظ الاموال من الضياع والتلف ، استطاع بواسطتها أن يحفظ على الناس حياتهم ، ويفتح المجال أمامهم لنيل خيرات الأرض ، وجمع الأموال ، وتسخيرها فى مصالح المجتمع ، تحت رأية العدل والامان .

ثمرة هذا النظام :-

لقد ظهرت نتائج تطبيق هذا النظام العادل فى العهد النبوى وعهد الخلفاء الراشدين ، حيث عم الخير وازدهرت الحياة الاقتصادية بعد أن اتسعت الدولة الاسلامية ، وامتدت سيادتها الاقتصادية الى البلاد المفتوحة ، واستردت الكنوز من أيدى مغتصبيها من الاكاسرة والاباطرة ، وجعلت الحق للدولة فى الاشراف على الوسائل الاقتصادية ضمن الحدود المرسومة لها من الشارع ، بعد أن كانت محصورة فى أيد فئة محدودة من الناس .

ونورد بعض الشواهد على مظاهر الرخاء والغنى التى عمت المجتمع الاسلامى فى الصدر الاول نتيجة اقامة النظام الاقتصادى الاسلامى عندما بعث عمر بن الخطاب معاذ بن جبل على صدقات اليمن ، بعث اليه معاذ بثلث صدقة الناس ، فأنكر ذلك عمر ، وقال : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترددها على فقرائهم ،

فقال معاذ : مابعثت اليك بشيء وأنا أجد أحد يأخذه مني ، فلما كان العام الثاني بعث اليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك ، فلما كان العام الثالث بعث بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ماراجعه قبل ، فقال معاذ : ماوجدت أحدا يأخذ مني شيئا (١) .لقد أغنى الناس ، حتى لم يعد بينهم فقير ...

وهذا عمر بن عبد العزيز يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن واليه على العراق (أن أخرج للناس أعطياتهم فكتب اليه عبد الحميد انى قد أخرجت للناس أعطياتهم ، وقد بقي في بيت المال مال :-
فكتب اليه عمر ؛ أن أنظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف فاقضي عنه فكتب اليه أني قد قضيت عنهم ، وبقي في بيت مال المسلمين مال فكتب اليه : أن انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه واصدق عنه ،فكتب اليه اني قد زوجت كل من وجدت ، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال :
فكتب اليه : أن أنظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه مايقوى به على عمل أرضه فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين (٢) .

هذه بعض الثمار ونتائج اقامة النظام الاقتصادي العادل حيث يعم الرخاء ويقضي على الفقر والحاجة فأي نظام في الدنيا حقق ما حققه النظام الاسلامي حتى يقوم الخليفة عمر رضي الله عنه عند قدوم أخماس أموال فارس بقسمتها على الناس فيحدثوا لهم المال حدثوا (٣) .

---

(١) الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٧١٠ ط ٢ / ١٣٩٥ تحقيق محمد خليل هراس.
(٢) المرجع السابق ص ٣٢٠ ط ٢ .
(٣) الخراج لابي يوسف ص ٤٧ الموسوعة / دار المعرفة - بيروت.

المبحث الثانى

الملكية فى الاسلام

الاسلام دين الهى وضع أحكامه وقوانينه خالق البشر ، وأنزلها فى كتابه وقد جاءت هذه الاحكام مراعية لمصالح الفرد والجماعة .

موقف الاسلام من الملكية :-

أباح الاسلام الملكية وأقرها ، وقد ورد لفظ الملك ، والكسب فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة منها قوله تعالى :-

(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون)(١) .

وقوله :-

(للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن)(٢) .

هذا وقد أباح الاسلام الملكية وأقرها كما دلت على ذلك الآيات القرآنية من ذلك ماجاء من بيان لأحكام الميراث التى تدل على ملك المورث الذى مات ، وتمليك الوارث ، وكذلك أحكام البيع والشراء والدين وغيرها ، واذا كان الاسلام قد أباح التملك الا أنه قام بتنظيم طرقه وبيان الحقوق فيه ، تنظيما تاما عادلا ، يناسب الفطرة ، ويحقق مصلحة الناس جميعا بميزان ينسجم مع الهدف ، الصحيح للانسان ، ومع الحياة الاقتصادية السليمة ، ومع الحق الذى ليس فيه العسف ، وكيف

---

(١) سورة يس آية ٧١ .

(٢) سورة النساء آية ٣٢ .

لا يكون كذلك وهو شرع الله وميزانه ، وأى نظام من الانظمة الحديثة يخلو من الثغرات ومن الظلم ، وايقاع الضرر بالناس والتفريط بحقوقهم.(١)

الملكية في الاسلام ليست وسيلة لايقاع الضرر بالآخرين :-

إن القاعدة الاساسية في الاسلام هي (لاضرر ولا ضرار) والاسلام لا يرضى أن تكون الملكية سببا لايقاع الضرر بالآخرين ، لأن الاسلام دين بنيت أحكامه على العدل الذى لا يتطرق اليه ظلم . وقد دلت السنة النبوية على ذلك .

كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الانصار ، وكان سمرة يكثر من دخول البستان هو وأهله ، فيؤذى ذلك صاحب البستان فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فاستدعى سمرة وقال له : بعه نخلك فأبى ، فطلب اليه أن يناقله ،فأبى ،قال : فهبه ولك كذا وكذا أمرا رغبّة فيه فأبى فقال عليه الصلاة والسلام (أنت مضار) ثم التفت الى الانصارى وقال (اذهب فاقلع نخله) .(٢)

كما أن الاسلام لا يسمح لاصحاب الاملاك بتعطيل أملاكهم ، فانه لا يسمح بادخال الضرر بالمصلحة العامه ،فاذا ماحصل ذلك جاز لولى الامر أن يتدخل في ذلك ، ويتنزع هذه الملكية التى عجز عن استغلالها

---

(١) الاسلام / سعيد حوى جـ ٢ / ٤١٧ ط. ثانيه .

(٢) سنن أبو داوود جـ٤ / ٥٠ كتاب الاقضية ط/١٣٩٣ - تحقيق عزت عبيد الدعاس وزميله .

ودفعها لمن يستغلها . روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزني العقيق، وهي أرض قرب المدينة، فلم يستطع عمارتها كلها ، فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة قال : (يا بلال انك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة فاقطعك إياها ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماكان يمنع شيئا يسأله ، وأنت لا تطيق مافي يديك) .

فقال : أجل ، قال عمر : (فانظر ماقويت عليه منها فأمسكه ، وما لا تقوى عليه فادفعه الينا نقسمه بين المسلمين ،فقال : لا أفعل والله ولا أفرط في شيء أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر: (والله لتفعلن) وأخذ منه ماعجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين)[1] .

وبالاضافة الى ذلك نجد أن المولى عز وجل توعد الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم .

(والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون)[2] .

---

(١) الخراج / يحي بن آدم القرشي ص٩٣ الموسوعه تصحيح أحمد شاكر - دار المعرفة - بيروت - الاموال / لابي عبيد القاسم بن سلام ص٣٦٨ ط٢/ ١٣٩٥ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٤ - ٣٥ .

طرق التملك فى الاسلام :-

حدد الاسلام للتملك طرقا مشروعة فأقرها وطرقا غير مشروعة فحرمها ويمكن ايجاز الطرق المشروعة فيما يلى :-

أ - التملك عن طريق الجهد الشخصى :-

ويندرج تحتها أنواع من النشاط الانسانى المشروع كالعمل بأنواعه المتعددة من زراعة وصناعة وتجارة وحيازة المباحات كالصيد والاحتطاب وبيع الحشائش . . . الخ .

هذا وقد حث الاسلام على العمل وحارب الخمول والكسل ، وقد جاءت الآيات القرآنيه داعية اليه ومشيدة بأصحابه قال تعالى : (إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) (١) .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) (٢) .

ومن الآيات الداعية الى العمل قوله تعالى :-

(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) (٣)

فالامر بالانتشار والابتغاء من فضل الله أمر صريح بالسعى فى كل سبيل يستطيع الانسان أن يحصل فيه على عمل يعود عليه بالنفع .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥ .
(٢) سورة التوبة آية ١٠٥ .
(٣) سورة الجمعة آية ١٠ .

ويقول تعالى :-

(وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)[١] .

فالله ذلل لعباده الارض وجعل لهم فيها فجاجا وسبلا يسيرون فيها يلتمسون الرزق ، وفى هذا توسيع لدائرة السعى والعمل للانسان لكى يتمكن من استخراج خيرات الأرض وتسخير منافعها لصالحه .

ولقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أصحاب أعمال فما منهم الا كان له عمل يتكسب به ، فهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى كان أذا رأى غلاما فأعجبه ، قال هل له من حرفة ، فان قيل لا ، قال : سقط من عينى وهو الذى يقول (يامعشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ،فاستبقوا الخيرات ،ولا تكونوا عالة على المسلمين)[٢] .

وقد نهى الاسلام عن القعود عن طلب الرزق الحلال ، لأن فى ذلك تعطيل لمصالح الدنيا ،وأمور الحياة ،وسئل الامام أحمد رضى الله عنه عن رجل جلس فى بيته أو فى مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال : هذا رجل جهل العلم ، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (جعل الله رزقى تحت ظل رمحى) وقول الله تعالى (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) وكان أصحاب

---

(١) سورة الملك آية ١٥ .

(٢) تلبيس ابليس / لابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ص٢٨٣ ط/١٣٩٦ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في تحصيلهم ولنا القدوة بهم) (١) .

كما أن العمل عبادة ينال الانسان ثوابه عند الله اذا استجمع الشروط التي سبق أن ذكرناها في مبحث سابق . . . وقد بين عليه الصلاة والسلام مكانة الذين يعيشون على كد أيديهم فقال عليه الصلاة والسلام (من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا له) (٢) .

ب - التملك بحكم الشرع من غير جهد :-

وقد جعل الله ذلك لمصلحة متحققة ، وحكمة ظاهرة ، كاستحقاق النفقة والميراث ، واستحقاق بعض المحتاجين من بيت المال من الزكاة والصدقات والهبات ، والاستحقاق عن طريق الوصية وغيرها من الطرق المشروعة . . . وسيرد تفصيل ذلك فيما بعد .

٢ - الطرق غير المشروعة للكسب :-

العمل في الاسلام فريضة ، فلا يجوز توجيهه فيما لا خير فيه ، وبما يعود بالشر على المجتمع ، لأن الاسلام لا يرضى الا بالخير ، فالأعمال الضارة كلها محرمة ولا يجوز التكسب بها ونوجز فيما يلي بعض الطرق التي لم يبح الاسلام التكسب بها .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٤ تحقيق محمد مهدي استانبولي .

(٢) قال السيوطي رواه ابن عساكر - انظر فيض القدير جـ ٦ / ٩١ طسنة ١٣٥٧

أولا : أخذ مال الغير بغير حق شرعى وبغير رضاه :-

ويندرج تحت ذلك السرقه والغصب والاختلاس ، والغلول فهى أعمال محرمة ،لا يجوز التكسب بواسطتها فالله تعالى يقول (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)(١).

وقال تعالى :-

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض - ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)(٢).

وقال تعالى :-

(وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)(٣).

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام :-

(من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه الله اياه يوم القيامة من سبع أرضين)(٤).

وهناك آية تشمل هذه الأنواع كلها وهى قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)(٥).

---

(١) سورة المائدة آية ٣٨.

(٢) سورة المائدة آية ٣٣.

(٣) سورة آل عمران آية ١٦١.

(٤) مسلم كتاب المساقاة باب/ ٣٠ جـ٣/ ١٢٣٠ تحقيق محمد فؤاد.

(٥) سورة البقرة آية ١٨٨.

فالخطاب عام لكل المكلفين ، وقد عبر بلفظ أموالكم للاشعار بوحدة الأمة وتكافلها ، وللتنبيه على احترام مال الغير وحفظه ، فهو كعين الاحترام والحفظ لمال الانسان نفسه ، لأن استحلال التعدى وأخذ المال بغير حق يعرض كل مال للضياع والذهاب ، ففى الاضافة تعليل للنهى ، وبيان لحكمة الحكم كأنه قال لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل ، لأن ذلك جناية على نفس الآكل ، من حيث هو جناية على الأمة التى هو أحد اعضائها ، لا بد أن يصيبه سهم من كل جناية تقع عليها ، فهو باستحلاله مال غيره يجرئ غيره على استحلال أكل ماله عند الاستطاعة (١) .

ثانيا : مايكسب عن طريق القمار والميسر واليانصيب والخمر :-

فالقمار : هو لمقامرة ، والمقامرة : هى المخادعة فكأن القمار مأخوذ من الخداع ، وتقامروا : لعبوا القمار ، وقمرك الذى يقامرك ، وجمعه أقمار والقمار : كل لعب فيه الكسب للغالب يتناوله من المغلوب (٢) .

---

(١) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ ٢ / ١٩٥ .
دار المعرفه .

(٢) لسان العرب مادة قمر جـ ٥ / ١١٤ ومابعدها . دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى جـ ٧ / ٩٣٧ .

والميسر : نوع من القمار ، مشتق من يسر اذا وجب ، أو من اليسر بمعنى السهولة ، لأنه كسب بلا مشقه ، أو من اليسار وهو الغنى لأنه سببه للرابح أو من اليسر بمعنى التجزئه والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه . (١)

واليانصيب : هو مال يجمع من قبل بعض الحكومات أو الجمعيات أو الشركات ويجعل منه جزءا كبيرا لعدد قليل من الناس يقسم بينهم بطريقة الميسر وتأخذ الحكومه الباقي أو الشركه أو الجمعية . مقابل أن تطبع أوراقا صغيرة تسمى أوراق اليانصيب ، تجعل ثمن كل واحدة منها مبلغا محددا من المال ، وتجعل المال المجموع ، لمشترى هذه الأوراق ، مائة سهم لكل سهم نصيب محدد . ثم تجرى القرعه على آلة خاصة ، ويدفع لكل رقم مايستحقه لمجرد أن رقمه خرج في دورة أرقام هذه الآلة . (٢)

---

(١) لسان العرب مادة يسر جـ٥ / ٢٩٨ ومابعدها تفسير الطبرى جـ٤ / ٣٢١ وما بعدها - دار المعارف / مصر .
تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٢ / ٣٢٤ .

(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ ٢ / ٣٢٩ .
الاسلام / سعيد حوى جـ ٣ / ٤٢٠ .

وأما الخمر : فهو لفظ منقول من مصدر خمر الشيء بمعنى ستره وغطاه، وهو شراب يستر العقل ويغطيه . ويطلق على كل مسكر.(١)

والذى يهمنا فى هذا البحث مايكسب عن طريق المتاجرة فيهما .

ان هذه الطرق المتقدمة بنيت على تملك مال الغير بطريق المغامرة غير المقترنة بجهد ، مما يسبب الحسد والتباغض فى قلوب المتغامرين وهذا يعمل على تفكيك أواصر المجتمع ، وتفشى الكسل بين أفراده ، وافساد تربيتهم حيث يسيطر عليهم حب الراحة ، وانتظار الرزق من الأسباب الوهمية ، واضعاف القوة العقلية بترك الأعمال النافعة فى طرق الكسب المشروعة ، وهذا يعمل على تخريب الأسر فى المجتمع وانتقالها من الغنى الى الفقر فى ساعة واحدة أو ساعات.

وقد جاء القرآن منددا بهذه الاعمال ومحرما لها .

قال تعالى :-

(يا أيها الذين أمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)(٢).

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٤ / ٣٢٠ - دار المعارف بمصر.

(٢) سورة المائدة آية ٩٠ - ٩١ .

وجاءت الأحاديث مبينة لحرمة مكاسب هذه الأعمال . من ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يقول : (يا أيها الناس أن الله تعالى يعرض بالخمر ، ولعل الله سينزل فيه أمرا فمن كان عنده شيء فليبعه ، ولينتفع به ، قال : فما لبثنا الا يسيرا حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله تعالى حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية ، وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع ، قال : فاستقبل الناس بما كان عنده منها ، في طريق المدينة فسفكوها)[1] .

وجاء في حديث جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح (ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)[2] .

وقد جاءت الاحاديث مصرحة بلعن الخمر وشاربها ، وصانعها ، والمصنوعة له ، وحاملها والمحمولة اليه ، وعاصرها ومعتصرها ، وبائعها ومبتاعها[3] . . . . الخ .

كما ورد النهي من النبي صلى الله عليه وسلم عن التجارة في الخمر[4] .

---

(١) مسلم كتاب المساقاة باب/ ١٢ جـ٣ / ١٢٠٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) مسلم " " " /١٣ جـ ٣ / ١٢٠٧ .

(٣) انظر سنن ابن ماجه كتاب الاشربة باب / ٦ جـ ٢ / ١١٢٢ نص الحديث .

(٤) مسلم كتاب المساقاة باب١٢ جـ ٣ / ١٢٠٦ .

وفي الآية القرآنية التي وردت في سورة المائدة وحرمت هذه الاعمال نجد بأن الله تعالى قد وصف الخمر والميسر والانصاب والازلام بأنها رجس وهي كلمة تدل على القبح والخبث ، وصدّر الجملة بانما التي تدل على الحصر للمبالغة في ذمها فكأنه قال ليست الخمر والميسر الا رجسا فلا خير فيهما البتة كما قرنهما بالأنصاب والازلام وهي من أعمال الوثنية ، وجعلهما من عمل الشيطان ، وبالغ في طلب الكف عنهما بقوله (اجتنبوا) وجعلهما سببا للشحناء والبغضاء ، كما وصفهما بأنهما سبب للاعراض عن ذكر الله وعن الصلاة .

فهذه الأمور تؤكد حرمة هذه الأعمال ، وخبثها ، وخبث مكاسبها لذلك عمل الاسلام على تحريمها ، وتحريم الكسب بسببها تحريما قاطعا (١) .

ثالثا : مايكسب عن طريق السحر والشعوذة :-

ان السحر والشعوذة من الاعمال المحرمة التي تحاربها الشريعة الاسلامية لما فيها من أضرار على المجتمع - فالسحر من المعاصي المهلكة للانسان وقد عدها الرسول صلى الله عليه وسلم من الموبقات قال عليه الصلاة والسلام (اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يارسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) (٢) .

---

(١) تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ ٧ / ٦٣ وما بعدها .

(٢) مسلم كتاب الايمان باب / ٣٨ جـ١ / ٩٢ .

وأما أعمال الشعوذة والكهانة (١) فقد جاءت الاحاديث مصرحة بالنهي عن التكسب بسببها فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن) (٢) .

رابعا : مايكسب عن طريق دور البغاء :-

حرم الاسلام الزنا ، وأحل الزواج الشرعي ، وكل ماتولد عن الحرام فهو حرام فالزنا فاحشة تساعد على نشر الرذائل بين الناس ، وانتشار الأمراض المعدية الفتاكة كالزهري والسيلان ، وتعمل على تعطيل الحياة الزوجية .

---

(١) الكهانة : ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع في الارض مع الاستناد الى سبب ، والاصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن .

والكاهن : لفظ يطلق على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم ، وقال الخطابي ، الكهان قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة ، وطبائع نارية ، فهم يفزعون الى الجن في أمورهم ويستفتونهم في الحوادث فيلقون اليهم الكلمات .
(تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣٥٥ ط ١ منشورات المكتب الاسلامي - دمشق .

(٢) مسلم كتاب المساقاة باب ٩ / جـ ٣ / ١١٩٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

قال تعالى :-

(ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)[١] .

وجاء فى حديث رافع بن خديج قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (شر الكسب مهر البغى ، وثمن الكلب ، وكسب الحجام)[٢] .

وفى حديث آخر وصف هذا الكسب بالخبث فقال عليه الصلاة والسلام (ثمن الكلب خبيث ، ومهر البغى خبيث ، وكسب الحجام خبيث)[٣] .

خامسا : مايكسب عن طريق العقود المحرمة ، وفى مقدمتها الربا والاحتكار وسيأتى تفصيلهما فيما بعد .

وقد حرم الاسلام كل كسب خبيث يستجد من أى طريق غير مشروع ، لأن الاسلام طيب ولا يقبل الا الكسب الطيب .

---

(١) سورة الاسراء آية ٣٢ .

(٢) مسلم كتاب المساقاة باب ٩ / جـ ٣ / ١١٩٩ .

(٣) مسلم كتاب المساقاة جـ ٣ / ١١٩٩ .

المبحث الثالث

المـــــــــــال

أ - نظرة الاسلام الى المال :-

المال هو قوام الحياة الانسانية وعمادها ، لذلك نجد النـاس يتسابقون فـى طلبه ويتزاحمون على منابعه ، كلهم ظامئ اليـــه طامع فيه . وهو نعمة من النعم التى أنعم الله بها على الانسـان ، وقد يتحول الى نقمة ،وهو خير وقد يصبح شرا ، وهو زينة الحيـــاة الدنيا ومتاعها .

ب - تصوير القرآن للمال :-

صور القرآن المال بصورتين صورة بغيضة وصورة جميلة :-

الأولى : بين فيها أن المال فتنة للانسان ،شأن كل محبوب ومرغـوب ، لأن النفس البشرية لشدة حرصها على ماتحب قد تنحـرف عن الطريق المستقيم ،فتفرط فى الاكثار منه ،فتنزلق فـــى مصائد الشيطان ،وتتبع ماجبلت عليه النفوس من حب المـال قال تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)(١) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤ .

فيجب على الانسان أن يكون على حذر ، والا سقط فى الفتنة ، ووقع فى حبائل الشيطان .

قال تعالى : (انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)(١) .

ولأن الاسلام يعرف تأثير المال على النفوس البشرية ، فانه لم يجعل دعوته الى التحذير منه دعوة سلبية ، أو أوامر ونواهى تلقى القاء مجردا لا يقابلها تعويض ، من جانب آخر حتى تكون لها فاعلية فى النفوس ، فانه يعسر على النفس الانسانية أن تتخلى عن محبوب ، دون أن تشغل مكانه بشىء آخر تحبه وتتعلق به ، لقد كان هذا العوض الذى وضعته الشريعة هو الأجر العظيم فى الآخرة لمن تخلص من فتنة المال(٢) .

فالله تعالى يقول :-

(وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)(٣) . وقد تكرر ذكر هذا البديل فى كل آية تحذر من فتنة المال أو البنين ففى سورة آل عمران ، بعد أن ذكر متع الحياة قال : (والله عنده حسن المآب ، قل أؤنبئكم ، بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد)(٤) .

---

(١) سورة التغابن آية ١٥ - ١٦ .
(٢) السياسة المالية فى الاسلام / عبد الكريم الخطيب ص٤٤ ط٢ / ١٩٧٦ .
(٣) سورة الانفال آية ٢٨ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٤ - ١٥ .

وقال فى آية أخرى :-

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)[1] .

ان المال هو اختبار للبشر فى حياتهم ، وهو وسيلة للخير والشر، ولا بد للانسان أن ييسّر المال فى الطريق المحبوب الى الله ، ولا بد أن يعلم الانسان أن الدنيا فانية هى ومتاعها ، والذى يبقى هو الخير ، وهو وسيلة النجاه يوم القيامة .

والصورة الثانية : هى الوجه الجميل للمال :-

ذلك أن تحذير الاسلام من غواية المال وفتنته ، لا يدل على أن المال شرفى ذاته وأن الاسلام عدو له .

لا ... فالله تعالى خالق العباد - وهو أعلم بحالهم - بين للعباد وجه القبح فى المال ، الذى يوقعهم فى الفتنة والفساد ، وكشف لهم عن وجه الحسن فيه وبين لهم الطريق السليم للانتفاع به . فذكر سبحانه أن المال قوام الحياة .

---

(١) سورة الكهف آية ٤٦ .

قال تعالى :-

(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما)[١] .

فالآية تبين أن المال قوام الحياة الاقتصادية وعمادها ، ففى تضييع السفيه له تضييع لعماد الحياة ، فاذا ضاع عماد الحياة فكيف يعيش الناس وفيم يعملون ويتنافسون ، كما أنه وسيلة للتمكين لدين الله وأهله فى الأرض . وقد نسب الله المال الى نفسه بقوله :-

(وآتوهم من مال الله الذى آتاكم)[٢] . وسماه خيرا بقوله :-

(ان ترك خيرا ، الوصية للوالدين)[٣] .

وقدمه على النفس والأولاد :-

(وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)[٤] . وهو فضل الله ورزقه

(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله)[٥] .

(وكلوا من رزقه واليه النشور)[٦] .

وبذلك يظهر أن المال فى ذاته ليس شرا محضا ولا خيرا محضا وانما هو أداة خاضعة لتصرف الانسان ، فان استخدمه فى الخير كان خيرا وبركة ونعمة ، وكان رزقا طيبا يرعى به حق نفسه وولده وحق الله .

---

(١) سورة النساء آية ٥ .
(٢) سورة النور آية ٣٣ .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٠ .
(٤) سورة الصف آية ١١ .
(٥) سورة الجمعة آية ١٠ .
(٦) سورة الملك آية ١٥ .

وان استخدمه فى الشر كان شرا يهوى بصاحبه فى نار جهنم وذلك حين يذهب به فى مذاهب السرف والفساد والهوى ويستخدمه فى الاثم والعدوان .

المال فى نظرة اليهودية والنصرانية :-

عرفنا نظرة الاسلام ، ومراعاته للفطرة الانسانية فى تملكه ، ولا شك أن الرسالات السماوية الأخرى جاءت بنفس الهدف ، لكن الناظر الى أتباع الديانة اليهودية ، يجد أنهم قد عملوا على تحريفها ، وابعادها عن أصولها . التى جاءت من أجلها ، فزعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأن كل مافى العالم من أموال ومتاع فهو لهم ، وليس لأحد أن يشاركهم فيه ، ويجب عليهم أن يعملوا بكل الوسائل للوصول الى هذا الحق ، والمال هو الوسيلة المسيطرة فى الكون فلا مانع أن يكون المال معبودهم ، ولا مانع من استعمال أخس الطرق وأرذلها للحصول عليه ، لذلك عملوا على اباحة الربا ، وأكلوه اضعافا مضاعفة من غيرهم ، وحرموه فيما بينهم ، وقد جاء فى توراتهم المحرفة (لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شىء ما ، مما يقرض بربا ، للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يباركك الرب الهك ، فى كل ماتمتد اليه يدك فى الأرض التى أنت داخل اليها لتمتلكها)(١) .

---

(١) سفر التثنية ٢٣ / ١٩ - ٢٠ .

وقد قال الله عنهم (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا ، وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما)(١).

وقد جاءت على أثرها الديانة النصرانيه ، بعد أن أنغمس اليهود في حب المادة حتى ملكت عليهم العقول والقلوب ، فجاءت دعوة عيسى لتقوم هذا الانحراف ، فكانت دعوة الى الانسلاخ من المادة والزهد فيها .

جاء في انجيل متى على لسان المسيح (لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل أكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون)(٢) .

وجاء فيه أيضا (لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه اما أن يبغض الواحد ، ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم ، لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون)(٣) .

---

(١) سورة النساء آية ١٥٠ - ١٦١ .

(٢) متى ٦/١٩ - ٢١ .

(٣) متى ٦ / ٢٤ - ٢٥ .

وقد وقف الاسلام موقفا وسطا بين الديانتين السابقتين فأباح التملك من وجوهه المشروعه ، ووضع القواعد العامة لكسب المال ، وانفاقه بما يناسب الفطرة البشرية .

مبادىء الاسلام فى توزيع الثروات :-

ظاهرة كونية أن الانسان كلما كثر ماله ، مال الى الفساد والطغيان (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى)(١) . فالمال محنة وابتلاء للانسان .

قال تعالى :

(انما أموالكم وأولادكم فتنة)(٢) . فهو نعمة على من يؤدى حقه ، ونقمة على من يخدعه بريقه ، وينفقه فى الملذات والشهوات ، واذا كان المال سببا من أسباب الطغيان ، فان الشريعة الاسلامية بمبادئها الحكيمة ، وأنظمتها العادلة عملت على تخفيف طغيان الثروة ، وحالت دون تكدس رأس المال حتى لا يقع المجتمع فى صراع طبقى ، وفساد أخلاقى وذلك بطرق سلبية وايجابية .

---

(١) سورة العلق آية ٦ - ٧ .

(٢) سورة التغابن آية ١٥ .

أ - فالسلبية : هى تعاليم الشريعة بتحريم أو نهى نحو هذا المال ، والايجابية هى أوامر الشريعة نحو هذا المال .

وتتمثل السلبية فيما يلى :-

أولا : تحريم كنز الأموال :-

حرم الاسلام كنز الاموال ، لأن فى ذلك منعا لها من التبادل الاقتصادى الذى لا بد منه لحاجة المجتمع ، حيث أنها تستعمل فى الانتاج الاقتصادى لزيادة دخل المجتمع وتنمية الثروة فيه ، لذلك جاء القرآن منددا بالذين يكنزون أموالهم ولا ينفقونها فى سبيل الله . قال تعالى :-

(والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون)(١) .

ثانيا : تحريم الربا :-

الربا أحد الاسس التى ترتكز عليها الرأسمالية والشيوعية ، لذلك نجد الاسلام قد دك صرحها ، فحرمها حرمة قاطعة فى نصوص صريحة من كتاب الله .

---

(١) سورة التوبة آية ٣٤ .

قال تعالى :-

(يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)(١) .

فالآيه تبين حكم الربا قليله وكثيره ، وقد أعلن الله الحرب على آكله والى جانب هذه الآيات جاءت الاحاديث النبوية مصرحة بحرمة الربا قال عليه الصلاة والسلام : (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم ، أشد من ست وثلاثين زنية)(٢) . وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم كل من شارك فى الربا ، وساعد عليه .

(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه وشاهديه وقال هما سواء)(٣) .

ان الربا ليس وسيلة من وسائل التنمية الاقتصادية كما يزعم أصحاب المذاهب الرأسمالية ، والاشتراكية وغيرها . بل انما هو كمثل نفق تتسرب فيه الأموال الى جيوب وبنوك المرابين ، مما يخلف آثارا سيئة فى المجتمع تؤثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية . حيث أنه يعمل على حصر المال بيد فئة معينة من الناس ، ومع مرور الزمن يتلاشى المال من يد أفراد المجتمع ويتكدس لدى فئة المرابين من غير جهد ولا عمل .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٨ .
(٢) المسند جـ٥ / ٢٢٥ .
(٣) مسلم كتاب المساقاة باب / ١٩ جـ ٣ / ١٢١٩ .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

واذا كان الاسلام حرم الربا فقد وضع علاجا سليما للناس وفتح طرقا مستقيمة تغني عن الربا ، فأجاز كثيرا من المعاملات التي تعد على المسلم هذا الباب ، مثل شركة المضاربة ، حيث يكون المال من جانب والعمل من جانب آخر ، والربح مشترك بينهما حسب الاتفاق ، والخسارة على صاحب المال ويكفي العامل خسارة عمله .

وكذلك أجاز السلم وهو بيع آجل بعاجل تيسيرا على المحتاجين ونظم حقوق الزكاة التي تعمل على سد حاجة المعوزين والفقراء والمساكين الى غير ذلك من الأنظمة التي وضعها الاسلام لسد حاجات الناس وصرفهم عن كل حرام .(١)

نظرة الرسالات السابقة الى الربا :-

وقد اتفقت الرسالات السماوية جميعا على تحريم الربا ، ولكن التحريف والتشويه الذي لحق مصادر الرسالات السابقة على أيدي بعض الأحبار والرهبان وادخالهم بعض النصوص التي تبيح الربا كما جاء في أسفار العهد القديم ، (لا تقرض أخاك بربا ... ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا ، للاجنبي تقرض بربا .. الخ)(٢) .

---

(١) الاسلام / سعيد حوى جـ ٣ / ٤١٩ .

(٢) سفر التثنية ٢٣ / ١٩ - ٢٠ .

وقد بين القرآن الكريم أن الربا محرم فى رسالة موسى عليه السلام، وقد نعى على اليهود تعاطيهم للربا .

قال تعالى :-

(وأكلهم الربا وقد نهوا عنه)[١] .

فالله نهى اليهود عن أكل الربا ولكنهم خالفوا تعاليم السماء واتبعوا ما أملاه لهم أحبارهم ورهبانهم مما سبقت الاشارة اليه .

كما أن النصرانيه تحرم الربا تحريما قاطعا مع النصارى ومع غيرهم وقد أجمعت الكنائس على ذلك ، واتفقت المجامع على تحريمه كما أن تعاليم المسيح لا تبيح الربا بأى حال من الأحوال[٢] .

وقد حمل مارتن لوثر زعيم الحركة الاصلاحية على المرابين ، وشدد فى تحريم العقود التجارية التى تؤدى الى الربا ، وتشدد هو وأتباعه فى تحريم ذلك ووضع رسالة عن التجاره والربا ، حرم فيها كثيرا من البيوع الربوية .

يقول لوثر فى شرح أنواع الربا التى تروج بأسم التجاره .

(ان هناك أناسا لا تبالى ضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة فى مقابل أثمان غالية تزيد على أثمانها ، التى تباع بها نقدا ، بل هناك أناس لا يحبون أن يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعهم جميعا

---

(١) سورة النساء آية ١٦١ .

(٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه / عباس محمود العقاد ص ١٣٠ وما بعدها الموسوعة جـ ٥ .

على النسيئة . . . . ثم قال : ان هذا التصرف مخالف لأوامر الله مخالفته للعقل والصواب ، ومثله فى مخالفة الأوامر الالهية العقلية أن يرفع البائع السعر لعلمه بقلة البضاعة المعروضة ، أو لاحتكاره القليل الموجود من هذه البضاعة ، ومثل ذلك وذاك أن يعمد التاجر الى شراء البضاعة كلها ليحتكر بيعها ، ويتحكم فى رفع أسعارها(١) .

وقد وردت عبارات صارمة فى تحريم الربا ، عن الآباء اليسوعيين الذين يميلون الى التسامح منها (قول سكوبار : (ان من يقول ان الربا ليس معصية يعد ملحدا عن الدين)(٢) .

ويقول الاب يونى : ان المرابين يفقدون شرفهم فى الحياة الدنيا ، وليسوا أهلا للتكفين بعد موتهم)(٣) .

ولا يفوتنى أن أذكر ماتقوم عليه المذاهب الحديثة حيث أن الرأسمالية ومعظم معتنقيها من النصارى ، تعتبر فائض القيمة(٤) حقا لرجال الاعمال ، وأصحاب رؤوس الأموال حيث تفتح المجال أمامهم لنيل الأموال بأى طريق كان مشروعا أو غير مشروع .

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه / للعقاد ص ١٣٠ ومابعدها . الموسوعه جـ٧ .

(٢) دراسات اسلاميه - فى العلاقات الاجتماعية والدولية د . محمد عبد الله دراز ص ١٥١ .

(٣) المرجع السابق ص١٥٢ ط/ ١٣٩٣ - دار القلم الكويت.

(٤) فائض القيمة : مال يستحقه قوم بعملهم وجدهم ، فيحرمون منه بالمكر والخداع ، أو بالقوة والقهر ، ويأخذه آخرون ظلما ليزدادوا به قدرة على المزيد من الظلم // بناء الاقتصاد فى الاسلام - زيدان أبوالمكارم ص ١١ ط/ ولى

كما أن الشيوعية كذلك تعتبر فائض القيمة حقا للدولة[١] بينما نجد الاسلام حرم ذلك واعتبره آفة يجب التخلص منها ، حيث أنه يفسد الصلاة الاجتماعيه بين أفراد المجتمع ، حيث يسيطر الشره على نفوس المرابين الذين يستغلون قوى غيرهم ، وانتاجهم فيما يعود عليهم بالربح من غير جهد منهم ، وهذا هو عين الظلم ..

يقول ابن تيميه :-

(وحرم الربا لأنه متضمن للظلم فانه أخذ فضل بلا مقابل)[٢] .

ويقول أيضا :-

(المرابى آكل مال بالباطل بظلمه ، ولم ينفع الناس لا بتجارة ولا بغيرها ، بل ينمى دراهمه بزيادة بلا منفعة حصلت له ولا للناس)[٣] .

ومن الآثار المترتبة على الربا مايلى :-

أولا : اضطراب التوازن المالى فى المجتمع ، واختلال التنمية المالية فيه حيث تتكدس الأموال فى أيدى المرابين ، بحيث تنحصر أقتصاديات المجتمع فى أيديهم فتطغى مصالحهم على مصالح الجماعة .

---

(١) بناء الاقتصاد فى الاسلام / زيدان أبو المكارم ص١١ جـ١١/١٣٩٤ مطبعة السنة المحمديه / مصر .

(٢) الفتاوى الكبرى / لابن تيمية جـ ٢ / ٣٤١ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢ / ٣٤٩ .

ثانيا : ارتفاع أسعار السلع التى ينتجها المقترض بالربا ، حيث يضيف مايدفعه من الربا الى تكاليف الانتاج ، وهذا يعود بالأضرار على المجتمع اذ يستمر رفع ثمن الانتاج كلما ارتفعت نسبة الربا .

ثالثا : تحريم الاحتكار :-

وهو القاعدة الثانية للرأسمالية والاستغلالية فى العالم ، وقد جاءت نصوص الشرع وأنظمته منددة بالاحتكار الذى هو حبس سلعة من السلع أو جمعها من الأسواق حتى تشتد حاجة الناس اليها ، فينزلها الى السوق ليفرض على الناس الثمن الذى يقدره ، لا بحسب قيمة السلعة ، ولا بربح معقول على ما اشتراه به ، وانما ينظر الى حاجة الناس اليها والى ماعندهم من استعداد فى البذل من أجلها (١) .

وقد تضافرت نصوص الشريعة على تحريم الاحتكار حيث انه يستخدم ضد مصلحة الجماعة ، وهو وسيلة لتضخم الثروة بدون تعب .

قال عليه الصلاة والسلام : (لا يحتكر الا خاطئ) (٢) .

---

(١) السياسة المالية فى الاسلام / عبد الكريم الخطيب ص ٢٠٨ ط ٢ / ١٩٧٦ .

(٢) مسلم / كتاب المساقاة باب ٢٦ جـ ٣ / ١٢٢٨ .

و (من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلي عليهم كان حقا على الله أن يقذفه في معظم جهنم رأسه أسفله)[١] .

وقال في حديث آخر : (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون)[٢] .

وقال أيضا :

(من أحتكر طعاما أربعين ليلة فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه)[٣]

وقال عليه السلام : (من احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالجذام والافلاس)[٤] .

لقد حرص الاسلام على حقوق الجماعه فحافظ عليها ، وحرم أكلها والاعتداء عليها بأى وسيلة كانت ، فالمحتكر يفتعل ظروفا غير طبيعية لرفع الاثمان أو حفظها (بئس العبد المحتكر ان سمع برخص ساءه ، وان سمع بغلاء فرح)[٥] .

---

(١) المستدرك للحاكم جـ ٢ / ١٣ .

(٢) الدارمى جـ ٢ / ٢٤٩ - تحقيق محمد حمد دهمان - دار احياء السنة النبوية .

(٣) المسند جـ ٢ / ٣٣ ط ٢ / ١٣٩٨ .

(٤) ابن ماجه كتاب التجارات باب / ٦ جـ ٢ / ٧٢٨ تحقيق محمد فؤاد .

(٥) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ / ٥٨٤ . نسبة الى الطبرانى وغيره باسناد واه .

وقد أباحت الشريعة تأديب هؤلاء يقول ابن القيم :-

(ان المحتكر الذى يعمد الى شراء مايحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ، ويريد اغلاءه عليهم ، فهو ظالم لعموم الناس، ولهذا كان لولى الأمر أن يكره المحتكرين على بيع ماعندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه) (١).

ب- وأما المبادىء الايجابيه فتمثل فيما يلى :-

أولا : الزكاة :-

الزكاة ركن من أركان الاسلام لها أهمية بالغة فى النظام الاقتصادى ، وهى طهرة للمال ،وتزكية للنفس (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (٢).

وهى قانون الهى ثابت لا يتغير ولا يتبدل ، فهى ليست قانونا أرضيا يقبل التعديل والتغيير ، وقد حدد الاسلام مقدارها ، وبين وقتها وشروطها اللازمة ، وهى نظام يعمل على توزيع الثروة ، حيث أن صاحب المال يخرج من ماله نسبة معينة تتراوح مابين ٢ر٥ فى المائه وقد تصل الى خمسة أو عشرة فى المائة ، فهى لها تأثير سلبى على المال حيث يقتطع قسم منه ،ويصرف للفقراء ،وهذا يؤدى الى منع قيام الرأسمالية ولها تأثير ايجابى فهى تعمل على تحسين أوضاع المستحقين

---

(١) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية/ لابن القيم الجوزية ص٣٥٤ - تحقيق د . /محمد جميل غازى) .

(٢) سورة التوبه آية ١٠٢ .

لها كما تعمل على نيل صاحبها رضاء الله ومغفرته ، وتساعد على نماء المال وزيادته وكلما زاد المال زادت الزكاة فهى نسبة تصاعدية ، وكلما زادت الزكاه زاد العبد قربا من ربه ، كما أن الاسلام وسع دائرة الانتفاع بأموال الزكاة ولم يجعلها قاصرة على ناحية معينة .

قال تعالى :-

(انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)(١) .

ثانيا : نظام الأرث :-

رتب الاسلام نظام الارث ، ووضع له أنظمة خاصة به ، فهو نظام ليس له نظير فى الأنظمة القديمة والحديثة ، حيث يظهر أن الاسلام يحرص على عدم انكماش المال فى مكان واحد ، فهذا القانون يساعد على توزيع الثروة على أكبر عدد ممكن من الذرية ، وقد فصلت الآيات القرآنيه أحكام الميراث(٢) .

ويلاحظ من آيات المواريث أن الاسلام لا يحصر التركة بيد فرد أو أفراد بل يشرك بالارث عددا كبيرا من أقرباء الميت فى أكثر الاحيان ،

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠ .

(٢) انظر سورة النساء الآيات ١١ و ١٢ و ١٧٦ .

وهذا مما يجعل التركة توزع مهما كثرت ، وتتحول الى ملكيات صغيرة ، وقد حرص الاسلام على تحقيق هذا الغرض ، فحرم كل عمل يخل بقواعد الميراث وقد توعد الذين يعملون على ذلك بالعذاب المهين فى نار جهنم .

قال تعالى عقب آيات المواريث :-

(تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ، ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)(١) .

وبعد هذا يظهر أن الميراث فى الاسلام ضرب من ضروب النشاط الاقتصادى يدفع الانسان الى الكد فى حياته ، ويهدف الى خير المجتمع ، فهو نظام يقوم على العدل ، حيث أنه يراعى الفطر الانسانية ، واحترام ارادة المالك الذى يحرص كل الحرص على أن تكون أمواله فى يد أقربائه الذين يهتم بهم ، خاصة الابناء الذين يعمل الاسلام على أن يختصوا بجهد أبائهم وأمهاتهم ، لأن الصلة بينهم قوية لا تنقطع ، حتى ولو انقطعت صلة المال .

---

(١) سورة النساء آية ١٣ - ١٤ .

ثالثا : الوصية :-

لا يقف الأمر فى توزيع المال عند حد التوريث ، ولكن هناك عامل هيوى آخر يعمل على توزيع الثروة ، فقد جعل الاسلام لكل مسلم . الحق أن يوصى بنصيب من ماله للفقراء والمحتاجين ، ومشاريع الخير التى يعـــود نفعها على المجتمع .

فالوصية لها مرتبة سامية فى الاسلام ، حيث قرنها بالدين من حيث وجوب الأداء .

قال تعالى :-

(من بعد وصية يوصى بها أو دين) (١) .

(من بعد وصية يوصين بها أو دين) (٢) .

(من بعد وصية توصون بها أو دين) (٣) .

وقد حدد الاسلام مقدار الوصية ولم يجعلها مطلقه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال عادنى رسول الله صلى اللهعليه وسلم فى حجـــة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت : يارسول الله : بلغنى ماترى من الوجع ، وأنا ذو مال ، ولا يرثنى الا ابنة واحدة أفا تصدق بثلثـــى مالى ؟ قال لا .

قال قلت : أفأتصدق بشطره ؟ قال لا .

---

(١) سورة النساء آية ١١ .

(٢) سورة النساء آية ١٢ .

(٣) سورة النساء آية ١٢ .

الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . . . الخ (١) .

فالاسلام يحرص على الانسان حيا وميتا ، لذلك رغبت الشريعة الانسان في عمل الخير ، ولا سيما عند حضور الأجل ، وظهور علاماته ، لكي تكون خاتمة الاعمال خيرا .

قال تعالى :-

(كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) (٢) .

فالوصية وسيلة من وسائل توزيع المال ، حتى لا يتكدس بيد فئة معينة من الناس (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) (٣) .

يقول ول ديورانت :-

(ولسنا نجد في التاريخ كله مصلحا ، فرض على الأغنياء من الضرائب مافرضه عليهم محمد لاعانة الفقراء ، وبالاضافة الى الزكاة كان محمد يحض كل موسى بأن يخصص من ماله جزءا للفقراء) (٤) .

---

(١) مسلم كتاب الوصية باب / ١ جـ ٣ / ١٢٥٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠ .

(٣) سورة الحشر آية ٧ .

(٤) قصة الحضارة / ول ديورانت جـ ١٣ / ٥٩ ط ٣ / ١٩٧٤ .

وقد بنى الاسلام الوصية على قواعد ثابتة وأنظمة عادلة بخلاف ماكانت عليه في الجاهلية حيث كان يختص بها الذكور دون الاناث ، وليس كل الذكور بل من كان قادرا على القتال (١) .

وقد اشترط الاسلام في الوصية أن لا تكون لوارث لقول الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبته في عام حجة الوداع (ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث) (٢) .

رابعا : قسمة الفيء والغنيمة :-

وللتخفيف من طغيان الثروة دعا الاسلام المجاهدين ، أن يشركوا معهم في الغنائم المستضعفين الذين لم يستطيعوا حضور القتال .

قال تعالى :-

(وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ، ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٣) .

فالاسلام لم يحرم المستضعفين الذين لم يشتركوا في الجهاد ، بل جعل لهم نصيبا مع أولئك المجاهدين ، ولهذا اختص الرسول عليه السلام بالخمس لتوزيعه على هؤلاء والاخماس الأربعة توزع على المجاهدين .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢/١٩٦ تحقيق عبد العزيز غنيم وزملاءه - مطبعة الشعب .

(٢) ابن ماجه كتاب الوصايا باب ٦ / جـ ٢ / ٩٠٥ .

(٣) سورة الانفال آية ٤١ .

وأما الفيء : وهو ما أخذه بغير قتال ،فانه يوزع كله على هذه الاصناف .

قال تعالى :-

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ، ولذى القربى واليتامى والمساكين ،وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)(١) .

وقد بينت الآية مصارف الفيء ووضعت قاعدة كبرى ، من قواعد التنظيم الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، وهى توزيع المال ،لئلا يبقى محصورا فى الاغنياء ، فكل وضع ينتهى الى أن يكون المال دولة بين الاغنياء وحدهم ،هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الاسلامية ويخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعى . والآية تحوى وصفا لاحوال الأمة المسلمة ، وتقرر طبيعتها ،وخصائصها المميزة ، التى تترابط بها وتتماسك على مدار الزمان ، لا ينفصل فيها جيل عن جيل ،ولا قوم عن قوم على مدار العصور والأيام(٢) .

---

(١) سورة الحشر آية ٨ .

(٢) ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ / ٣٥٢٤ - طبعة دار الشروق - ١٣٩٤ .

المصادر المالية فى الاسلام :-

تتمثل الموارد الرئيسية المالية فى الاسلام على الوجه التالى :-

أولا : الخراج : وهو مقدار معين من المال يفرض على الأرض التى صولح عليها المشركون ، كما يؤخذ الخراج عن الأرض التى فتحها المسلمون عنوة وتركت بيد أهلها لاستغلالها ، ولم تقسم على المقاتلين بل وقفت على مصالح المسلمين ، بعد تعويض المقاتلين عن نصيبهم فيها ، كما فعل عمر رضى الله عنه فى سواد العراق ، وتسمى التى يدفع عليها الخراج أرض خراجية (١) .

وهناك بعض الاراضى لا يفرض عليها الخراج ، وانما يدفع عنها أصحابها عشر منتجاتها وتسمى الأرض العشرية . وقد لخص الماوردى ذلك بقوله (والأرضون كلها تنقسم أربعة أقسام .

أحدها : ما أستأنف المسلمون احياءه ، فهو أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج .

وثانيها : ما أسلم عليه أربابه فهم أحق به ، فتكون على مذهب الشافعى أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج .

---

(١) الاحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردى ص١٤٦ وما بعدها وأصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص٢٥٣ ط ٣ . وشرح فتح القدير / للامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى المعروف ابن لهمام جـ٦ / ٣١ - ٣٣ وما بعدها ط١ / ١٣٨٩ - مصطفى البابى الحربى .

ثالثها : ما ملك من المشركين عنوة وقهرا فيكون على مذهب الشافعي رحمه الله غنيمة تقسم بين الفاتحين ، فيملكونها ، ويدفعون العشر من غلتها وحينئذ تكون أرض عشر لا يوضع عليها خراج .

رابعها : ما صولح عليه المشركون من أرضهم فهي الارض المختصه بوضع الخراج عليها (١) .

وقد وضع المسلمون الدواوين للخراج ، ووضعوا جباة لجمع مال الخراج يقول أبو يوسف في كتابه الخراج مشيرا الى صفات الجابي : (أن يكون والي ذلك من أهل الصلاح والدين والأمانة ، وأن يكون فقيها عالما ، مشاورا لأهل الرأى ، عفيفا لا يطلع الناس منه على عوره ، ولا يخاف في الله لومة لائم ... ولا يخاف منه جور في حكم ان حكم) (٢) .

وقد كانت هذه الضريبة تقدر على حسب مساحة الأرض وجودتها والمحاصيل التي تنتجها .

وقد أشرف الخلفاء على جباية الخراج وحاسبوا الولاة والعمال ، وقد عمل عمر نظام المقاسمة حيث تحصى أموال الوالي قبل توليته ثم يلزم الوالي بدفع نصف ما جمعه خلال ولايته .

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٧ دار الكتاب العلمية - بيروت.

(٢) الخراج / لابي يوسف ص ١٠٦ - الموسوعة بيروت .

يقول الشعبى : (كان عمر بن الخطاب اذا استعمل عاملا كتب أمواله، وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم منهم سعد بن أبى وقاص فشاطرهم عمر فى أموالهم فأخذ نصفا وأعطاهم نصفا ، وقد فعل ذلك مع عمرو بن العاص فى مصر حينما ظهرت عليه أثار الغنى فأرسل اليه محمد بن مسلمة ليقاسمه ماله .(١)

ثانيا : الجزية :-

وهى حق يفرض على الكفار على الرؤوس وتسقط بالاسلام .

يقول الماوردى :-

(فالجزية موضوعة على الرؤوس ، وأسمها مشتق من الجزاء ، اما جزاء على كفرهم ،لاخذها منهم صغارا ، واما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا) .(٢)

وهى ثابتة بنص الكتاب : قال تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ،ولا باليوم الآخر ،ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ،ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ،حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .(٣)

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص١٤١ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد والطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣/ ٢٨٢ - دار صادر بيروت - وفتوح البلدان / للبلاذرى ص ٢٢١ ط ١٣٩٨ - بيروت / دار الكتب العلمية .

(٢) الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٤٢ ط/١٣٩٨ - بيروت .

(٣) سورة التوبة آية ٢٩ .

وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن :

(أنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى أو أمة دينار واف أو قيمته من المعافر[1] . فمن أدى ذلك الى رسلى فان له ذمة الله ، وذمة رسوله ، ومن منعه منكم فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين)[2] .

بينما نجد أن الخراج ثبت بالاجتهاد ، والجزيه تقابل الزكاة على المسلمين فتؤخذ من الكفار مقابل حمايتهم والتمتع بحقوقهم فى ظل الدولة الاسلامية والانتفاع بمرافقها العامة .

يقول القرطبى :-

(الجزية وزنها فعلة - بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام - من جزى يجزى اذا كافأ عما أسدى اليه فكأنهم أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن)[3] .

ويقول الماوردى :-

(ويجب على ولى الامر أن يضع الجزية على رقاب من دخل فى الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها فى دار الاسلام ، ويلتزم لهم ببذلها حقان الاول : الكف عنهم والثانى حمايتهم)[4] .

---

(١) المعافر : الثياب ، ومعافر بلد فى اليمن تصنع فيها الثياب فنسبت اليها . سبل السلام جـ ٤ / ٩٨ .

(٢) الاموال لابى عبيدة ص ٣٥ تحقيق محمد خليل هراس ط ٢ / ١٣٩٥ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى جـ ٨ / ١١٤ ط دار الكتاب العربى القاهرة ١٣٨٧ .

(٤) الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٤٣ .

وتؤخذ الجزية من الرجال الأحرار العقلاء ، وتسقط عن المرأة والصبي والمجنون والعبد . . . والعاجز والأعمى والمقعد وغيرهم من أصحاب الاعذار (١) .

ويدل على ذلك ماكتبه عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطأة - أحد عماله - أما بعد : فان الله سبحانا وتعالى أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الاسلام واختار الكفر عتيا (٢) ، وخسرانا مبينا ، فضع الجزية على من أطاق حملها . وخل بينهم وبين عمارة الأرض ، فان في ذلك صلاحا لمعاش المسلمين ، وقوة على عدوهم ، وانظر من قبلك من أهل الذمة ، من كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين مايصلحه ، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر ، مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس ، فقال ما أنصفناك ان كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك ، ثم أجرى عليه من بيت المال مايصلحه (٣) .

وقد فرض الاسلام الجزية على قدر الطاقة يقول أبو عبيده :-

(وهذا عندنا مذهب الجزيه والخراج ، انما هما على قدر الطاقة من أهل الذمة بلا حمل عليهم ، ولا اضرار بفيء المسلمين ، وليس فيهما

---

(١) الخراج لابى يوسف ص ١٢٢ الموسوعة دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ .
الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٤٤ .

(٢) العتو والعتى : بضم العين وكسرها الاستكبار ومجاوزة الحد والعاتى الجبار وجمعه عتاه .

(٣) الاموال / لأبى عبيدة ص ٥٧ تحقيق محمد خليل هراس ط ٢/ ١٣٩٥ .

حد موقت ، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان فرض على أهل اليمن دينارا على كل حالم ، وقيمة الدينار يومئذ ، انما كانت عشرة دراهم أو اثنى عشر درهما ، فهذا دون مافرض عمر رضى الله عنه على أهل الشام وأهل العراق (١) وانما يوجه هذا منه انه انما زاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم (٢) .

ثالثا : الزكاة :-

وهى ركن من أركان الاسلام ، تجب على كل مسلم بالغ عاقل ملك نصابا وحال عليه الحول . تجب فى الذهب والفضة بشروطها المبينة عند الفقهاء ، وكذلك فى السوائم ، وفى عروض التجارة ، وفى المعادن ، وهى الأموال التى توجد مدفونة فى الأرض .

قال الحسن البصرى : (ماكان من ركاز فى أرض الحرب ففيه الخمس ، وماكان فى أرض السلم ففيه الزكاة وهو ربع العشر) (٣) . وهى من الموارد المالية فى الاسلام ، وقد سبق الحديث عنها بتفصيل .

---

(١) فرض عمر على كل حالم من أهل هذين المصرين أربعة دنانير .

(٢) الاموال لابى عبيدة ص ٥١ ط ٢/١٣٩٥ .

(٣) فتح البارى لابن حجر جـ ٣ / ٣٦٣ السلفية .

رابعا : الفيء :-

وهو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ، ولا بايجاف خيل ولا ركاب ففيه الخمس .

قال تعالى :-

(وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب (١) ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير - ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) (٢) .

وعن عبادة بن الصامت قال أخذ النبى صلى الله عليه وسلم وبرة من جنب بعير قال : (أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم) (٣) .

وأما الاربعة الأخماس الباقية فتصرف على الجند والجيش لتجهيزه وقيل انها تصرف فى المصالح العامة ، التى لا غنى للمسلمين عنها ويدخل فيها الجيش (٤) .

---

(١) الايجاف : الاسراع أى لم يعدو فى تحصيله خيلا ولا ابلا ، بل حصل بلا قتال ولا ركاب ، وهى الابل التى يسافر عليها .
مسلم جـ ٣ / ١٣٧٦ .

(٢) سورة الحشر آية ٦ - ٧ .

(٣) المسند جـ ٥ / ٣١٩ - المكتب الاسلامى - بيروت .

(٤) الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٢٧ .

خامسا : الغنيمة :-

هى أموال الكفار اذا ظفر بها المسلمون على وجه الغلبة والقهر وتشتمل على أقسام : أسرى ، وسبى ، وأرضين ، وأموال (١) .

وقد أحلت الغنائم لأمة محمد ، ولم تحل لأحد قبلهم . قال عليه الصلاة والسلام (أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى ، بعثت الى الأحمر والأسود ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب شهرا ، يرعب منى العدو مسيرة شهر ، وقيل لى سل تعطه ، فاختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، وهى نائلة منكم ان شاء الله تعالى من لا يشرك بالله شيئا) (٢) .

وقد بين القرآن حكم الغنيمة ،

قال تعالى : (يسألونك عن الأنفال : قل الانفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) (٣) .

وبين حكم تقسيم الغنائم ومستحقيها .

قال تعالى :-

(وأعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ...) (٤) .

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٣١ .
(٢) الدارمى كتاب السير جـ ٢ / ٢٢٤ .
(٣) سورة الانفال أولها .
(٤) سورة الانفال آية ٤١ .

وتقسم على من شهد الوقعة ، ومن قتل قتيلا فله سلبه لقوله عليه الصلاة والسلام :

(من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه)[١] .

ولما روى أن عمر كتب الى عمار أن (الغنيمة لمن شهد الوقعة)[٢] . وهم الذين شهدوها للقتال ، قاتلوا أو لم يقاتلوا ، ويجب قسمتها بينهم بالعدل ، فلا يحابى أحد لا لمنصبه ، ولا لشرفه ، الكل سواء . رأى سعد بن مالك أن له فضلا على من دونه قال : قلت يارسول الله : الرجل يكون حامية القوم ، لم يكون سهمه وسهم غيره سواء ؟ قال ثكلتك أمك ابن ام سعد وهل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم)[٣] ، [٤] .

سادسا : عشور التجاره :-

هو مقدار الضريبة المفروضة على أموال أهل الذمة المعدة للتجاره ، والمنقولة من دار الحرب الى دار الاسلام ، وبالعكس ، ويزيد هذا المقدار وينقص بناء على قاعدة المعاملة بالمثل[٥] .

---

(١) الترمذى كتاب السير جـ ٤ / ١٣١ حديث ١٥٦٢ تحقيق ابراهيم عطوه .

(٢) فتح البارى كتاب فرض الخمس باب الغنيمة لمن شهد الوقعة جـ٦ / ٢٢٤ .

(٣) المسند جـ ١ / ١٧٣ .

(٤) السياسة الشرعيه فى اصلاح الراعى والرعية لابن تيمية ص ٣٣ - ٣٤ .

(٥) دراسات فى النظم العربية والاسلامية د . / توفيق سلطان اليوزبكى ص ١٧٠ ط / ١٣٩٧ .

ان التجارة مورد من موارد المال تنمو وتكثر في ظل الدولة ، فلا بد أن يعود على الدولة شيء من نفعها ، فالمسلم يدفع زكاة تجارته وفيها ربع العشر ، وأما الذمي فان عليه في تجارته نصف العشر من قيمتها من الحول الى الحول ، وأما المحارب فان عليه العشر كاملا .

وقد حدد عمر رضي الله عنه الضرائب المفروضة على التجارة ، عن أنس بن مالك قال بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العشور وكتب لي عهدا (أن خذ من المسلمين مما اختلفوا فيه لتجارتهم ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر)(١) .

ويشترط في المال الخاضع لضريبة العشر ، أن يبلغ النصاب ، وأن يكون معدا للتجارة ، وهو يتراوح بين ١٠ - ٢٠ دينارا ، ولا تجب ضريبة العشر على الذمي والمسلم اذا انتقل بتجارته من بلد الى آخر بدار الاسلام .

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى يحيى بن زريق وكان على مكس مصر (أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم العين ومما ظهر من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا ، وما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين دينارا ، فان نقصت تلك الدنانير فدعها ولا تأخذ منها شيئا ، واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ،

---

(١) الخراج لابي يوسف ص ١٢٥ - الموسوعة دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ .

ثم دعها فلا تأخذ منها شيئا ، وأكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول)[١] .

ويعفى الذمي من ضريبة العشر ، ان كان عليه دين بقدر ماعنده أو ينقص عن النصاب فيمنع أخذ العشر منه ، ولا يقبل منه الا ببينة من المسلمين[٢] .

فهذه أهم الموارد الرئيسية لبيت المال تخضع لأحكام الاسلام وتعاليمه في جمعها وانفاقها فلا يجوز للحاكم أن يتصرف بها في رأيه وهواه وانما يسيرها ضمن القواعد المرسومة لها في الشريعة . وهناك موارد أخرى مثل الاموال التي ليس لها مالك معين ، كمن مات عن مال وليس له وارث معين ، وكذلك ماتخرجه أملاك الدولة ، ومايفرض على الاغنياء عند الضرورة . . . الخ .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم ص ١٦٥ ط ١ / ١٣٨١ تحقيق د . / صبحي الصالح .

المبحث الرابع

مهمة الدولة في النظام الاقتصادي

ان فكرة مسئوولية الدولة فى مجال الاقتصاد هى عبارة عن تدخلها فيما كلفت به من تنفيذ الاحكام المتعلقة بالمال ، وتقويم المجتمع وتسديد خطاه وتوجيهه الوجهة الحسنة ، وهذه الفكره كما قال الشيخ محمد المبارك تتفرع فى الاسلام من أصل واضح مستخرج من نصوص الكتاب والسنة وهو تكافل أفراد المجتمع وتعاونهم ، وتضامنهم وتشاركهم وذلك كقوله تعالى :-

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(١)

بل جعل من مسوغات القتال الدفاع عن المستضعفين قال :

(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها / واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)(٢) .

فمسئولية الدولة وتدخلها فى مجال الاقتصاد أصل معترف به فى التشريع الاسلامى(٣) .

---

(١) سورة آل عمران آيه ١٠٤ .

(٢) سورة النساء آيه ٧٥ .

(٣) نظام الاسلام - الاقتصاد - محمد المبارك ص ١٠٧ - ١٠٨ .
ط ١ / ١٣٩٢ - دار الفكر .

وتدخل الدولة فى هذا المجال مهم ، فهى مسئولة عن الفقراء الذين لا يستطيعون العمل ، وعن المساكين الذين لا عائل لهم ، وعن العاطلين الذين لا يجدون عملا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عنهم)(١) .

ويمكن تحديد مسئولية الدولة اقتصاديا بما يلى :-

أولا : تأمين العمل لافرادها :-

فالدولة فى الاسلام مسئولة عن تهيئة أسباب العمل والكسب للأفراد ولا مانع من تقديم القروض لهم من بيت المال لتساعدهم على ذلك يقول أبو يوسف رحمه الله (ان صاحب الأرض الخراجية اذا عجز عن زراعة أرضه لفقره دفع اليه كفايته من بيت المال قرضا ليعمل ويستغل أرضه)(٢) .

وقد دل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الدولة ملزمة بتأمين العمل لأفرادها وذلك لما جاء فى قصة الرجل الذى جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله ،فوجهه عليه السلام الى بيع بعض أثاث منزله ليشترى به آلة يعمل بها ، ويعف نفسه وبذلك سبق تصريف الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة الصينة التى تقول (يدل أن تطعمنى سمكة علمنى الصيد) فقد عرف الرجل طريق العمل ،ولما رأه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة كانت قد ظهرت عليه امارات الغنى .

---

(١) الوءلوء والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - كتاب الامارة جـ٢ / ٢٤٢ - حديث ١١٩٩ .

(٢) حاشية رد المختار على الدرر المختار لابن عابدين جـ٤ / ١٩١ ط٢ / ١٣٨٦ مصطفى البابى الحلبى .

ثانيا : تحقيق التوازن الاقتصادى فى المجتمع :-

ومن واجبات الدولة أيضا أن تعمل على تحقيق التوازن الاجتماعى والاقتصادى فى المجتمع ، وأن تعمل على معالجة الخلل الاقتصادى فتمنح أصحاب الحاجه من بيت المال وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حين رأى التفاوت فى الملكية بين المهاجرين والانصار ، خص المهاجرين بأموال الفيء التى غنمها من بنى النضير وكل ذلك لايجاد التوازن الاقتصادى بينهم .

ثالثا : تحقيق العدل ومنع الظلم :-

العدل أساس مقرر فى رسالات الانبياء جميعا .

قال تعالى :-

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)(١) . فالهدف الأول للاقتصاد الاسلامى هو تحقيق العدل ، ومحاربة الغش والخيانة والاستغلال ، ومنع التصرفات الضارة . . . الخ .

رابعا : محاربة الطرق غير المشروعة للكسب كالربا والقمار والرشوة . وقد تقدم ذلك .

---

(١) سورة الحديد آية ٢٥ .

خامسا : جمع أموال الزكاة :-

تعتبر أموال الزكاة موردا ضخما ، وثروة طائلة لها أكبر الأثر في سد حاجات المجتمع ، والقضاء على الفقر ، وقد نجحت هذه التجربة في العصور الاسلامية الأولى ، وحققت السعادة للمجتمع قال يحى بن سعيد :

(بعثني الخليفة عمر بن عبد العزيز لجمع زكاة أفريقيا فجبيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيرا ، ولم نجد من يأخذها منا ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس فاشتريت بها رقابا - أى عبيدا - فاعتقتهم)(١) .

سادسا : توزيع المال على المستحقين :-

فالدولة بعد أن تشرف على جباية الأموال تقوم بواجب التوزيع على المستحقين وهم الفقراء والمرضى والعميان ، والمقعدون ، والشيوخ ، والمشردون واللقطاء ، واليتامى ، والأرامل اللواتى لا يجدن المعيل ، والأسرى وأبناء السبيل ، والمكاتبون من الأرقاء كما دلت على البعض منهم آيات الزكاة والغنيمة ، واذا تساهلت الدولة في حقهم وامتنعت عن اعطياتهم ، وانحرفت عن تحقيق التكافل لهم ، فلهم أن يقيموا الدعوى على الدولة بهذا الحق الذى لهم عليها ، ويحكم لهم القاضى به .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز .

لابن عبد الحكيم ص٦٩ ط ١٣٨٧/٥ دار العلم للملايين / بيروت.

وهذا ماذهب اليه الفقيه ابن عابدين ، فعنده أن القاضى يلزم ولى الأمر ألزاما قضائيا بالانفاق على الفقير العاجز كما يلزم وليه أو قريبه الغنى اذا كان له قريب غنى .(١)

سابعا : الاستفادة من أموال الأغنياء عند الحاجة :-

اذا عجزت الدولة وخلا بيت المال من المال ، أو وجد فيه ما لا يكفى فعلى أصحاب الأموال مساعدة الفقراء والمحتاجين فاذا امتنعوا أجبرتهم الدولة على ذلك .

قال الامام ابن حزم :-

(وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكاة بهم ، ولا فى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء ، والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يمكنهم من المطر والصيف والشمس ، وعيون المارة .(٢)

دليل ذلك قوله تعالى :-

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) .(٣)

---

(١) مقال عن التشريع الاسلامى فى خواصه ومراحله / للشيخ محمد أبوزهره - المنشور فى مجلة (المسلمون) بيروت. العدد الاول من المجلد الخامس ص ٤٠ .

(٢) المحلى لابن حزم جـ ٦ / ١٥٦ المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

(٣) سورة الاسراء آية ٢٦ .

وقد وردت آثار كثيرة عن السلف تشير الى ذلك منها ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال :-

(ان الله تعالى فرض على الاغنياء في أموالهم بقدر مايكفي فقراءهم ، فان جاعوا أو عروا وجهدوا فيمنع الأغنياء وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه)(١) .

وقال عمر رضي الله عنه : (لو استقبلت من أمري ما أستدبرت لأخذت فضول أموال الاغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين)(٢) .

---

(١) المحلى لابن حزم جـ ٦ / ١٥٨ - منشورات المكتب التجاري للطباعه والنشر / بيروت .

(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص ١٥٨ .

المبحث الخامس

بين الاسلام والمذاهب الحديثة

أولا : الملكية :-

يقوم النظام الرأسمالى على حرية التملك ، فهو يسمح بملكية مختلف أنواع الثروات فى البلاد ، فالملكية الخاصه هى القاعدة الاساسية التى يرتكز عليها هذا المذهب كما أنه يفتح المجال أمام الافراد لاستغلال هذه الملكيات ،على الوجه الذى يرغبه ،وتنميتها بمختلف الوسائل والأساليب التى يتمكن منها ، وتعمل الدولة على ضمان حرية الاستهلاك والاستغلال فالفرد له حرية الانفاق من ماله كيف يشاء وهو الذى يختار السلع التى يستهلكها .

وأما المذهب الاشتراكى ،فهو يقوم على عكس ماقام عليه المذهب السابق فالملكية الاشتراكية هى القاعدة التى يقوم عليها ،والملكية العامة للدولة تتوغل على حساب الملكية الفردية ، وتتسع دوائرها عن طريق التأميم والمصادرات ، مما يؤدى الى ضعف الحوافز الفردية التى تدفع العمال نحو زيادة الانتاج ، وزيادة الاملاك ، مما يشجع على ايجاد الكسل ، وعدم اتقان العمل ، وبالرغم من مغالاة هذين المذهبين بالتمسك بمبادئهما الا أننا نجد أن الرأسمالية التى غالت فى محاربة الملكية الجماعية

قد تراجعت وعملت بها عند طغيان الملكية الفردية ، وعدم قيامهـــا بمتطلبات المجتمع الاساسية ، حيث عملت على تأميم بعض المشروعـــات الاقتصادية الاساسية فى بناء المجتمع .

والدليل على ذلك ماقامت به الدول الرأسمالية من عمليات التأميم ، والتدخل فى النشاط الاقتصادى الذى لجأت اليه منذ السنـــوات السابقة على الحرب العالمية الأولى (١) .

وهذا مما يدل على عدم ملائمة هذا النظام لظروف الانســـان وأحواله .

كما أن المذهب الاشتراكى أضطر أيضا الى التراجع عن الاساس الذى قام عليه وهو الملكية الجماعية ، فعدل عنه الى الملكية الفردية فى أحوال كثيرة بعد أن حاول أصحاب هذا المذهب أن يجعلوا كل شىء شائعا بين المجتمع ، ولكن أصحاب الأملاك تمردوا ، واضربوا عـــن العمل ، فنشأت المجاعات ، مما أدى الى عدول الدولة الى نظام الملكية الفردية حيث اعطت لكل عائلة من العائلات المشتركة فى المزرعة التعاونية الحق فى ملكية مسكن ، وقطعة أرض ملحقة به ، وبعض الماشية والطيـــور والادوات الزراعية كما سمحت للفلاحين والحرفيين أن يمتلكوا بعض المشروعات الاقتصادية الصغيرة (٢) .

---

(١) اقتصادنا / محمد باقر الصدر ص٢١٦ ط/١٣٩٨ دار الكتاب اللبنانى
الاقتصاد الاسلامى / عيسى عبد ٥ ص ١٩٤ .

(٢) اقتصادنا / محمد باقر الصدر ص. ٢١ ط/١٣٩٨ دار الكتاب اللبنانى .

أما الاسلام فهو يخالف هذين المذهبين ، فلا تتفق أنظمته مع أنظمتها ، لأن الاسلام دين الهي ، وضع قواعده وأسس أنظمته خالق البشر ، فهو يراعي غرائز البشر ، لذلك فهو يقر الملكية باشكالها المختلفة. الخاصة والعامة . ويضع لكل واحدة منهما أنظمة تسير عليها علما بأن قواعد هذا النظام الكلية وأسسه العامة ثابتة لا تقبل التبديل والتغيير وهي صالحة لكل زمان ومكان فالاسلام أعتنى بالفرد والجماعة على حد سواء .

يقول الدكتور محمد البهي :-

(ان الاسلام لا يعرف الفردية ، بمعنى العناية بالفرد والتغاضي عن الجماعة ، كما لا يعرف المجتمعية بمعنى التركيز على المجتمع وحده واهمال الفرد فيه) . (ان الاسلام يعرف الفرد والجماعة معا ، ويعرف واجبات كل ، وهي واجبات العين وواجبات الجماعة . . . . ان الاسلام يعرف المسئولية الفردية ، والمسئولية الجماعية على السواء)[1] .

لقد أحكم الاسلام الرابطة بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة فجعل بينهما الموافقة لا المصارعة والمزاحمة ، بحيث لا تطغى حقوق الجماعة على حقوق الفرد ولا تذوب حقوق الفرد في حقوق الجماعة .

---

(١) الدين والدولة / محمد البهي ص ٤٠١ ط ١/ ١٣٩١ - دار الفكر (بيروت) .

ثانيا : الحرية الاقتصادية :-

يفتح النظام الرأسمالى المجال أمام الفرد على مصراعيه ليمارس حريته فى ظل هذا النظام من غير قيود ولا حدود ، فهو يجمع المال من أى طريق من الربا ، والتجارات المحرمة ، والمحللة ، والدعارة ، والسطو ، والاحتكار ، والاستعمار ، ويدعى أصحاب هذا المذهب بأن الحرية المطلقة فى العمل والتصرف والانفاق هى التى تلائم الفطرة الانسانية ، وتشجع الحوافز الشخصية ، وتشبع الرغبات .

ولكن واقع هذا المذهب يثبت عكس ذلك حيث أن أصحابه لما أغراهم بريق المال طغوا واستبدوا ، وداسوا المصلحة العامة ، وجمعوا المال على حساب الجماعة ، وذلك لعدم وجود ضوابط تقيد المال جمعا وانفاقا ، على الوجه الذى لا يضر بالقيم الاجتماعية والأخلاقية ، فهو وان لائم الفطر الانسانية باعترافه بالحوافز الشخصية الا أنه لم يتح الفرص المتكافئة أمام الجميع ، كما أنه جمح بغريزة التملك وأنحرف بها عن الطريق المستقيم حيث فتح الحرية المطلقة للفرد ، مما أدى الى تحولها الى رغبة حيوانية شرسة من غير ضبط ولا تقييد .

وأما النظام الاشتراكى : فهو نظام يحجر على حريات الجميع حيث أنه ينقل وسائل الثروة والانتاج الى الجماعة ، وهذا يؤدى الى تعطيل مواهب الافراد وقدراتهم ، وحوافزهم الشخصية . على أن واقع

الشيوعية يخالف ذلك ، أن وسائل الانتاج ليست ملكا للمجتمع وانما هى ملك للحزب الذى يتولى رياسته عدد من الأفراد المعدودين .

والتقدم الحضارى مرهون بتحقق تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع ليتمكنوا من التنافس المنبثق من قدراتهم ومواهبهم ، ولذا فان هذا النظام يسلب الانسان ثمرة عمله ، التى ينتظرها ، مما يؤدى الى تفشى البطالة والكسل وقتل الحضارة (١) .

أما الاسلام فقد سلك منهجا وسطا لافراط فيه ولا تفريط ، فلم يسلب حرية الفرد ، ولم يطلق يد الجماعه فى كل شىء وانما ضبط لكل منهما حقوقه وواجباته ، فى نطاق حدودة المرسومة ، وأنظمته العادلة ، التى تجعل من الانسان أداة خيرة تعمل لصالح الانسانية جمعاء .

والحق أن المذاهب الاقتصادية السابقه الرأسمالية والاشتراكية عطلت بأنظمتها على نزع المشاعر الانسانية من المجتمع ، وغرست محلها مفاهيم الأنانية والجشع ، ومهدت الطريق أمام الصراع فى سبيل البقاء بدلا عن روح التعاون والتكافل . تلك القاعدة التى عمل الاسلام على تدعيم جذورها فى المجتمع .

---

(١) اقتصادنا / محمد باقر الصدر ص ٢٠٠ ومابعدها ط / ١٣٩٨ .

ثالثا : نظرة المذاهب الحديثة الى المشاكل الاقتصادية وحلولها :-

تختلف وجهة نظر المذاهب الحديثة فى علاج المشكلات الاقتصادية فالرأسمالية ترى أن المشكلة الاقتصادية تكمن فى قلة الموارد الطبيعية فالطبيعة محدودة وعدد الناس فى ازدياد ، ولا يمكن لموارد الثروة الطبيعية أن تواكب الزيادة البشرية ، وتضمن لها حاجاتها ، وتوفر التزاماتها . فالارض مثلا التى يعيش عليها الانسان لا يمكن زيادتها .

وأما الماركسية فترى أن المشكلة الاقتصادية دائما هى مشكلة التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع ، وأما الاسلام فيرى أن المشكلة هى الانسان نفسه ، لا الطبيعة ولا أشكال الانتاج (١) فالله تعالى يقول :-

(الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) (٢) .

---

(١) اقتصادنا / محمد باقر الصدر ص ٣٠٦ ط / ١٣٩٨ .

(٢) سورة ابراهيم آية ٣٢ - ٣٤ .

فالله تعالى سخر للانسان كل مافى الكون من مصالح ومنافع وهيأ له المواد اللازمة لحياته ، وقد جاءت الأدلة ، مصرحة بأن خيرات المجتمع تكفى افراده ، وتفيض اذا هم سا روا على المنهج الالهى المرسوم للحياة ، وقاموا بأداء حقوق الله عليهم .

قال تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين)(١) .

ولكن الناس قصروا فى استغلال هذه الخيرات فضيعوا على أنفسهم فرص الحياة .

نتائج هذا الفصل :-

أولا : الاقتصاد الاسلامى نظام الهى ، تنظمه العقيدة الاسلامية وتوجهه حسب التعليمات الالهية المرسومة ، والملكية الحقيقية لله وحده والانسان خليفة عنه ، وقد سخر الله له مافى الكون لينتفع به .

ثانيا : لكل نظام من النظم الاقتصادية أهداف يسعى الى تحقيقها ، وتتمثل اهداف الاقتصاد الاسلامى فى توفير الرفاهية لأفراد المجتمع تلك الرفاهية التى ترتبط ارتباطا مباشرا بعامل التقوى والتى تتحرر من كل طمع وجشع وتعمل لنفع عباد الله وخلقه .

---

(١) سورة فصلت آية ٩ : ١٠

ثالثا : يتميز الاقتصاد الاسلامى بأن له مبادىء مستقلة تفصله عن غيره من النظم المعاصرة فهو يحترم الملكية ويصونها ، ويقر التفاوت فيها ، حيث أن التفاوت يدفع الفرد الى الانتاج ، وتسخير مواهبه ، وقواه العقلية والجسمية فى سبيل ذلك ، كما أنه يفتح الطريق للكسب ، ويشجع العمل مما يدل على أنه يريد تعميم المال بين البشر ، ليحقق التوازن الاقتصادى ، والعدالة الاجتماعية .

رابعا : الاسلام يقرر حرية التملك ويصونها - وينظم انتقالها الى المستحقين لها ، وفى الوقت نفسه يضع أمام حرية التملك حدودا أو قيودا حتى لا تطغى النواهى المادية على الفرد والمجتمع .

خامسا : يجعل الاسلام الدولة مسئولة عن تحقيق التوازن الاقتصادى ، ومراقبة الاسعار والمكاييل والموازين ، واعانة كل عاطل ، واغناء كل محروم .

سادسا : الاسلام يفتح المجال أمام المسلم لتنمية ممتلكاته بالطرق المشروعة مالم يلحق الضرر بالآخرين ، لأن القاعدة الأساسية فى الاسلام (لا ضرر ولا ضرار) والاسلام لا يرضى أن تكون الملكية سببا لايقاع الضرر بالآخرين .

الخاتمة

- الخاتمـــــة -

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ، ويدفع نقمه ، ويكافئ مزيده أحمده تعالى على توفيقه لي باتمام هذه الرسالة وأخراجهـــا الى حيز الوجود وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت لعرض هـــذا الموضوع عرضا يفيد القارئ ، وأن أكون قد سددت وقاربت فـــي الوفاء بالمطلوب ، لكي تكون رسالة علمية مستوفية لما تضمنته مـــــن موضوعات وأسجل ماتوصلت اليه من النتائج في النقاط التالية :-

أولا : ان الله تعالى أودع الدعوة الاسلامية من الخصائص والمزايـــا مايضمن لها الخلود والبقاء الى قيام الساعة ، بحيـــث لم يتوفر مثل هذه المزايا لغيرها من الدعوات .

ثانيـا : ان لا يوجد على وجه الأرض كتاب تصح نسبته الى السماء غير القرآن ، وأنه كتاب الله حقيقة ، لا يتطرق اليه شك ولا تدخله ريبة ، وقد تم تدوينه حين نزل ، كما جاء به الوحي الأمين ، وسيظل محفوظا في السطور والصدور ، وتتلقاه الأمة جيـــلا بعد جيل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ان شـــــاء الله تعالى .

ثالثا : إن توراة اليهود الحالية عبارة عن مجموعة من الاسفار انتجت على مدى قرون طويلة ، وهى تمثل صورا مهزوزة ، لا يمكن أن يقبلها العقل البشرى ، كدعوة من دعوات السماء ، لما يدور حولها من ريب وشكوك ، ولما فيها من تناقض ، واختلاف ، وهى كتاب مقطوع السند لا يتصل بالسماء بأى حال من الاحوال ، وأن الكتاب الذى أنزل على موسى قد ضاع وفقد ضمن المحن والاعاصير التى مرت على اليهود ، الا فقرات قليلة منه ، وليس هناك أى دليل يثبت أن هذه التوراة هى توراة موسى ، وانما هى مجموعة من الافكار المختلفة جاءت انعكاسا لاخلاق اليهود وتاريخهم ، من أجل اظهار الشعب اليهودى على أنه شعب الله المختار .

أما كتب النصارى ، فقد ظهر بالبحث أنها مقطوعة السند كذلك لا يتصل واحد منها بالوحى الصحيح ، الا بخيط هو أوهى من خيط العنكبوت وهى بعيدة كل البعد عن الالهام .

كما أن التاريخ يظهر أن هذه الاناجيل دونت فى زمن اشتد به الاضطهاد المسيحى من قبل الرومان واليهود ، وقد أثبت العلم أن تأليف هذه الاناجيل بدىء به بعد رفع المسيح بما لا يقل عن أربعين سنة والمعروف أن المسيح حدث ولم يكتب شيئا ، وقد بدأ التأليف بعدما

نال النسيان من العقول كل منال ؛ ويكفى دليلا على بطلانها أنهـا أربعة تنسب الى أصحابها ، وهى طيئة بالاضطراب والتناقض ، وفيهـا كثير من الافكار الغريبة أو البعيدة عن المسيحية . والتى تعبر عـن أهواء كاتبيها ، وفيها بعض النقاط التاريخية المشكوك فيها وبعـض القصص التى تدل على زيفها . . . . الخ .

رابعا : ان الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ، فهى حق مشاع وثـروة مشتركة لجميع الأمم على مختلف الأزمنه والأمكنه ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى البشرية فى وقت اشتدت الحاجة فيه الى منقذ وذلك بسبب ميل الناس وبعدهم عن الحـق وغياب المعالم الصحيحة للأديان السماوية السابقة ، بسبب ما أصابها من تحريف وتبديل وقد أثبت القرآن عالمية هذه الدعوة باعلانه الفريد (وما أرسلناك الا رحمة للعالمـين) فهو اعلان تشمل مساحته الزمنية جميع الاجيال ومساحتـه المكانية تسع العالم كله ، فهو ليس رحمة لجزيرة العرب كما زعم أصحاب الاهواء والميول من أعداء الاسلام ، الذين كتبـوا كتبهم وأخرجوها للعالم لتحقيق أهدافهم ، من غير تحقيق علمى ، ولا سند تاريخى وكلها ادعاءات بعيدة عن الحق والصواب.

كما أن فى السنة ، ومسلك النبى صلى الله عليه وسلـم وأصحابه من بعده ، واجماع المسلمين فى كل مكان مايدل على عالمية هذه الدعوة ، ويرد ماأثير حول عالميتها من أباطيل .

خامسا : ويترتب على ذلك أن يقوم دعاة الاسلام فى كل زمان ومكان بمواصلة نشر الدعوة وابلاغها للناس ، فهو واجب ملقى على دعاة الاسلام لكى يقتدوا بسيرة نبيهم المطهرة ، ويحققوا مضمون العالمية فى رسالتهم .

سادسا : أن الجزيرة العربية كانت أنسب البلاد لنزول هذه الدعوة فيها وليس معنى ذلك أنها دعوة خاصة بأهلها بل كان ذلك لأسباب وحكم بيناها فى مكانها من هذا البحث .

سابعا : ان الدعوة اليهودية دعوة قومية مقفلة ومغلقة على أصحابها ، وليست مفتوحة أمام غيرهم ، فهى مرتبطة بشعب اسرائيل دون غيره ، وأن هذا الانغلاق يمثل نوعا من الأنانية التى جبلت عليها نفوس اليهود .

أما النصرانيه فهى كذلك ديانه خاصة ببنى اسرائيل أيضا ولكنها خرجت عن تعاليمها وراحت تزج بالمبشرين فى كل مكان من أجل نشر دعوتها ، وخدمة مبادئها والتى تهدف الى مساعدة الاستعمار وتحقيق أهدافه .

كما أن دعوات الانبياء السابقين من آدم عليه السلام حتى عيسى كانت دعوات اقليمية محلية .

ثامنا : لما كانت الدعوة الاسلامية دعوة عالمية فى الزمان والمكان جاءت أنظمتها شاملة لجميع شئون الحياة ومتطلبات المجتمعات فى كل زمان ومكان فهى تشمل أمور العقيدة والعباده ، وما يتفرع عنها من أنظمة للحياة .

كما يظهر من الدراسة أن الاسلام هو أول من وضع هذه الأنظمة وبناها على أساس قويم وهو العقيدة الاسلامية .

كما يظهر أن الدعوة الاسلامية ليست مجرد دين ، وانما هى دين ودوله وأن الاسلام انتزع حق التشريع من البشر وردده الى الله سبحانه ، ولم يبق لواحد من البشر أو الجماعة ، أو لطبقة من الطبقات مجالا للتحكم فى الآخرين ، وسن الأنظمة لهم - وأن الحاكمية أصلا لله وحده وليس لغيره أن يشرع ابتداء وانما يجب على الجميع أن يحتكم الى شرع الله فى كل أموره ، حتى يجنوا ثمرة ذلك أمنا ورخاء وسعادة فى الدنيا والآخرة .

كما يظهر من الدراسة أن الاسلام اهتم بالفرد والمجتمع، وجعل بناءهما على أساسين متين من العقيدة الصحيحة ، والتشريع الحكيم الذى تذوب فى ظله كل الفوارق الطبقية ، وتزول النعرات الجنسيه ، ويرجع الناس كلهم الى أصل واحد ، وهو بذلك يعمل على تحطيم كل القيود التى كانت تكبل الروح الانسانى

والحياة الانسانية ، ورد الانسان الى المسار الصحيح لكيانه المادى والمعنوى .

كما اهتم الاسلام بالمرأة وحفظ لها حقوقها الشخصية والمالية والزوجية وحفظ لها كرامتها ورعاها وحفظ لها شرفها وعفافها ، بخلاف مكانتها فى ظل المجتمعات السابقة واللاحقة فهى دون ذلك بكثير .

ومن دراسة الجانب الاقتصادى يظهر أن الاسلام يعترف بالملكية الفردية ، ففى ذلك مواءمة الفطرة البشرية ، ثم يضع لها أسسا وقواعد وحدودا ، ويعترف بالفوارق فى الدخل بين الأفراد بخلاف المذاهب الاقتصادية الحديثة فهى بين افراط وتفريط فالرأسمالية الحديثة فتحت الباب على مصراعيه أمام الفرد فى التملك مما أدى الى طغيان المال عليهم لعدم وجود ضوابط للكسب والأنفاق .

والاشتراكية ، سلبت الفرد حق التملك فحرمته هذا الحق وجعلته بيد الدولة ، وعملت على توسيع الملكية العامه على حساب ملكية الفرد وتحت اشرافها يتم الانتاج والتوزيع (من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته) وبذلك عملت على تحطيم الحوافز الفردية التى لها شأن كبير فى زيادة الانتاج . أما الدعوة الاسلامية فكان لها نظامها الاقتصادى الفذ الذى يقوم على أساس متينة من كيفية الكسب ، وطرق الانفاق مما سبق عرضه .

والحمد لله الذى بنعمة تتم الصالحات ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مراجع البحث

فهرس المصادر والمراجع للبحث

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة تاريخها	الناشر
١	القرآن الكريم .			
٢	الكتاب المقدس - التوراة والانجيل .			
٣	الابطال	توماس كارليل / ترجمة محمد السباعي	ط٣ / ١٣٤٩	المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
٤	الاتقان في علوم القرآن	جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .	ط / ١٩٧٤	الهيئة المصرية العامة /
٥	اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء .	محمد الخضري بك	بدون	المكتبة التجارية الكبرى / مصر .
٦	أحكام أهل الذمة	ابن القيم الجوزية	ط١ / ١٣٨١	مطبعة جامعة دمشق .
٧	الاحكام السلطانية والولايات الدينية	لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري	ط / ١٣٩٨	دار الكتب العلمية / بيروت .
٨	الاحكام السلطانية	لابي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي .	ط٢ / ١٣٨٦	مصطفى البابي الحلبي .
٩	اخلاق النبي صلى وآدابه .	للحافظ ابي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر .	ط / ١٩٧٢م	مكتبة النهضة المصرية .
١٠	أديان الهند الكبرى	د . / أحمد شلبي .	ط٤ / ١٩٧٦	" "
١١	الأديان دراسة تاريخيه مقارنة	رشدي عليان - سعدون الساموك .	ط١ / ١٣٩٦	دار الحرية للطباعة / بغداد
١٢	الأديان في القرآن .	محمود بن الشريف .	ط٣ / ١٩٧٦	دار المعارف / مصر .
١٣	الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة .	عبد القادر شيبة الحمد		مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر / جدة .

م	الكتاب	اسم المؤلف	الطبعه	الناشر
١٤	أسد الغابـــه	عزالدين ابن الاثير أبى الحسن على بن محمد .	بدون	دار الشعب
١٥	اسرائيل حرفت الاناجيل والاسفار المقدسة .	أحمد عبد الوهاب	ط١ / ١٩٧٢	مكتبة وهبه / مصر .
١٦	الاسفار المقدسة .	على عبد الواحد وافى	ط٢ / ١٣٩٢	دار النهضة مصر .
١٧	الاسلام .	د . / أحمد شلبى	ط ٥ / ١٩٧٧	مكتبة النهضة المصرية .
١٨	الاسلام .	سعيد حوى	ط٢ / ١٣٩٩	دار الكتب العلمية بيروت .
١٩	الاسلام المفترى عليه بين الشيوعين والرأسماليين .	محمد الغزالى	ط٦ / ١٣٨١	مكتبة وهبه / مصر
٢٠	الاسلام دعوة عالمية	عباس محمود العقاد	ط ١ الموسوعه	دار الكتاب اللبنانى بيروت .
٢١	الاسلام ظهوره وانتشاره	حامد عبد القادر	ط٢ /	مكتبة نهضة مصر
٢٢	الاسلام فى القرن العشرين .	عباس محمود العقاد	ط / ١٩٧٠	دار الكتاب العربى بيروت .
٢٣	الاسلام فى وجه الزحف الأحمر .	محمد الغزالى	ط٦ / ١٣٩٣	المختار الاسلامى مصر .
٢٤	الاسلام فى عصر العلم	محمد أحمد الغمراوى	ط١ / ١٣٩٣	مطبعة السعادة
٢٥	الاسلام والمرأة .	سعيد الافغانى	ط٤ /	دار الفكر / بيروت
٢٦	الاسلام والمرأة المعاصرة	البهى الخولى	ط٣ /	دار القلم / الكويت
٢٧	الاسلام والاوضاع الاقتصادية	محمد الغزالى	ط٦ / ١٣٨٣	دار الكتب الحديثة / مصر .
٢٨	الاسلام وحقوق الانسان	د . / محمد خضر	ط / ١٣٨٨	بـــلا .
٢٩	الاصابة فى تميز الصحابة	لابن حجر العسقلانى	تحقيق على محمد البجاوى	مطبعة نهضة مصر

٣٠	الاصنام	لابى المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى	ط٢/١٣٤٣	مطبعة دارالكتب المصرية.
٣١	اصول الدعوة	عبدالكريم زيدان	ط٣/١٣٩٦	جمعية الامانى / بغداد
٣٢	الاضطهاد الدينى	توفيق الطويل	ط٣/١٣٦٦	دارالفكرالعربى / مصر.
٣٣	اضواء على المسيحية	متولى شلبى	ط٢/١٩٧٣	الدارالكويتيه
٣٤	اظهار الحق	رحمة الله خليل الرحمن الهندى	تحقيق عمر الدسوقى.	مكتبة الوحدة العربية.
٣٥	الاعتصام	للامام ابى اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد	ط١/١٣٣٢	مطبعة المنار/مصر
٣٦	اعجازالقرآن والبلاغة النبوية.	مصطفى صادق الرافعى	ط٩/١٣٩٣	دارالكتاب العربى بيروت.
٣٧	اعلام الموقعين.	ابن القيم الجوزية.	بدون	دار الجيل / بيروت.
٣٨	اعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام.	عمر رضا كحاله	ط٣/١٣٩٧	مؤسسة الرسالة
٣٩	الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.	شمس الدين محمد بن عبدالرحمن اللخاوى.	ط /١٣٩٩	دارالكتاب العربى بيروت.
٤٠	الاقتصاد الاسلامى	عيسى عبده.		
٤١	اقتصادنا	محمد باقر الصدر	ط/١٣٩٨	دار الكتاب اللبنانى.
٤٢	الاكتساب فى الرزق المستطاب	محمد الشيبانى	ط/١٩٣٨	مكتب نشر الثقافه
٤٣	الله	عباس محمود العقاد	ط١/١٩٧٠	دارالكتاب العربى / بيروت.
٤٤	الأم	محمد ابن ادريس الشافعى	ط /١٣٢١	الدارالمصرية للتأليف والترجمه.
٤٥	الأموال	لابى عبيد القاسم بن سلام	ط٢/١٣٩٥	مكتبة الكليات الازهرية.

٤٦	انتشار الاسلام	محمد كمال حسين	ط١/ ١٩٧٦	دار الفكر العربي / مصر.
٤٧	الانسان في القرآن	عبد الكريم الخطيب	ط١/ ١٩٧٩	" "
٤٨	الايمان أركانه حقيقته نواقضه	د. / محمد نعيم ياسين		
٤٩	الايمان والحياة.	د. / يوسف القرضاوي	ط٣/ ١٣٩٨	مؤسسة الرسالة بيروت.
٥٠	ايران في عهد الساسانيين.	أرثر كريستنسن.	ط/ ١٩٥٧.	مصر
٥١	بحث جديد عن القرآن	محمد صبيح.	ط٦/ ١٩٦٦	مطابع الطحاني / مصر.
٥٢	بحوث في تاريخ السنة المشرفة.	د. / أكرم ضياء العمري	ط٣/ ١٣٩٥	مؤسسة الرسالة بيروت.
٥٣	بدائع الصنائع.	علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني	تحقيق زكريا علي يوسف.	مطبعة الامام/ مصر.
٥٤	البداية والنهاية	عماد الدين بن كثير	ط٢/ وط/ ١٩٦٦	مكتبة المعارف بيروت.
٥٥	البرهان في علوم القرآن	للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.	ط/ ١٣٩١	دار المعرفة/ بيروت
٥٦	البرهان من القرآن	محمد أحمد مهدي	ط/ ١٣٨٥	منشورات حمد / بيروت.
٥٧	بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب.	محمود شكري الألوسي	بدون	دار المعرفة مصر.
٥٨	بناء الاقتصاد في الاسلام	زيدان أبو المكارم	ط١/ ١٣٩٤	مطبعة السنة المحمدية/ مصر.
٥٩	تاج العروس	محمد مرتضى الزبيدي	بدون	مكتبة الحياة/ بيروت.
٦٠	تاريخ بني اسرائيل في أسفارهم.	محمد عزة دروزة	ط١/ ١٣٨٩	المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٦١	تاريخ الخلفاء	الحافظ جلال الدين السيوطى	ط١ / ١٣٧١	مطبعة السعادة / مصر .
٦٢	تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية .	يوليوس فلهوزن	ط٢ / ١٩٦٨	لجنة التأليف والترجمة .
٦٣	تاريخ الرسل والملوك	لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى .	ط٢	دار المعارف مصر
٦٤	تاريخ العرب قبل الاسلام	جواد على .	ط / ١٩٧٥	مطبعة المجمع العلمى العراقى
٦٥	تاريخ اليهود فى بلاد العرب	د . / اسرائيل ولفنسون		
٦٦	التبيان فى آداب حملة القرآن .	أبى زكريا يحى بن شرف الدين النووى	ط١ / ١٣٧٩	الحلبى / مصر .
٦٧	تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .	ط٢ / ١٣٩٢	المكتبة العلمية المدينة المنوره
٦٨	تذكرة الحفاظ	للحافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبى	ط٣ بـ لا	دار احياء التراث العربى / بيروت
٦٩	تذكرة الدعاة	البهى الخولى	ط٥ / ١٣٩٧	دار القلم / بيروت
٧٠	الترغيب والترهيب	الامام الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى	ط٣ / ١٣٨٨	دار احياء التراث العربى / بيروت .
٧١	تعريفات الجرجانى	على بن محمد بن على السيد الزين أبى الحسن الحسنى	ط / ١٣٥٧	مصطفى البابى الحلبى / مصر .
٧٢	التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام .	محمد الغزالى	بدون	دار احياء التراث العربى
٧٣	تفسير الجلالين مع الفتوحات الالهية .	سليمان بن عمر العجيلى الشافعى / الجمل	بدون	الحلبى / مصر
٧٤	تفسير الخازن	على بن محمد الشهير بالخازن .	ط٢ / ١٣٧٥	" "
٧٥	تفسير الرازى	محمد الرازى فخر الدين بن العلامه ضياء الدين .	بدون	المطبعة المصرية ببولاق / مصر .

٧٦	تفسير روح المعانى .	السيد محمود الآلوسى البغدادى .	بدون	داراحياء التراث العربى / بيروت.
٧٧	تفسير القرآن العظيم	للامام الحافظ عماد الدين ابى الفداء بن كثير .	بدون	داراحياء الكتب العربية / مصر .
٧٨	تفسير الكشاف	لابى القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى .	"	دارالمعرفة / بيروت.
٧٩	تفسير المنار	محمد رشيد رضا	ط٢	" "
٨٠	تقييد العلم	للامام أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى .	ط٢ / ١٩٧٤	داراحياء السنة النبوية .
٨١	تلبيس ابليس	للامام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .	ط / ١٣٩٦	مؤسسة علوم القرآن / دمشق .
٨٢	تنظيم الاسلام للمجتمع	محمد أبوزهرة	ط / ١٩٧٥	دارالفكر العربى / مصر .
٨٣	تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلانى	بدون	دارصادر بيروت
٨٤	تهذيب الاسماء واللغات	للامام أبى زكريا محى الدين بن شرف النووى	بدون	دارالكتب العلمية بيروت.
٨٥	تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد .	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.	ط١	المكتب الاسلامى دمشق .
٨٦	جامع بيان العلم وفضله	لابن عبد البر		
٨٧	جامع البيان عن تأويل أى القرآن .	لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى .	ط٣ / ١٣٨٨	الحلبى / مصر .
٨٨	الجامع الكبير	للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى .	بدون	الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨٩	الجامع لاحكام القرآن	لابى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى .	ط٣ / ١٣٨٦	دار القلم / الكويت.
٩٠	جذور البلاء	عبد الله التل	ط٢ / ١٣٩٨	المكتب الاسلامى بيروت.

٩١	الجرح والتعديل	للامام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم .	ط١/ ١٣٧١	دار الكتب العلمية / بيروت.
٩٢	الجريمه والعقوبة فى الفقه الاسلامى .	محمد أبو زهرة	بدون	دار الفكر العربى
٩٣	جزيرة العرب	حافظ وهبه	ط٥/ ١٣٨٧	مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٩٤	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .	تقى الدين أحمد بن عبد الحليم .	ط / ١٣٧٩	مطبعة المدنى / مصر.
٩٥	حاشية رد المختار على الدر المختار.	محمد أمين المشهور بابن عابدين .	ط٢/ ١٣٨٦	الحلبى / مصر.
٩٦	حاضر العالم الاسلامى	لوثروب ستودارد الامريكى	ط٤/ ١٣٩٤	دار الفكر / بيروت.
٩٧	الحجاب	أبو الاعلى المودودى	ط/ ١٣٩٨	مؤسسة الرسالة بيروت.
٩٨	الحسبة فى الاسلام	أحمد بن تيمية	ط/ ١٣٦٨	مطبعة المؤيد
٩٩	حضارة العرب	غوستاف لوبون	ترجمة عادل زعيتر.	الحلبى / مصر
١٠٠	حضارة العرب فى العصور الاسلامية.	د . / مصطفى الرافعى	ط/ ١٩٧٨م	دار الكتاب اللبنانى
١٠١	حقائق الاسلام وأباطيل خصومه .	عباس محمود العقاد	ط١/ ١٩٧٠	دار الكتاب العربى بيروت .
١٠٢	حقوق النساء فى الاسلام	محمد رشيد رضا	ط/ ١٣٩٥	المكتب الاسلامى بيروت.
١٠٣	الحل الاسلامى فريضة وضرورة .	يوسف القرضاوى	ط/ ١٣٩٤	مؤسسة الرسالة
١٠٤	حلية الأولياء وطبقات الاصفياء .	للعلامه أبى نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهانى	بدون	مكتبة الخانجى مصر .
١٠٥	حياة محمد صلى الله عليه وسلم	محمد حسين هيكل	ط١٣/ ١٩٦٨	مكتبة النهضة المصرية.

١٠٦	خاتم النبيين	محمد أبوزهرة	ط١ / ١٩٧٢	دار الفكر العربى مصر.
١٠٧	الخراج	للامام يحى بن آدم القرشى	تحقيق أحمد محمد شاكر	دار المعرفة / بيروت.
١٠٨	الخواج	لابى يوسف يعقوب بن ابراهيم.	ط/ ١٣٩٩	" "
١٠٩	الخصائص العامه للاسلام	يوسف القرضاوى	ط١ / ١٣٩٧	مكتبة وهبه / مصر
١١٠	الخصائص الكبرى	الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى.	ط/ ١٣٨٧	دار الكتب الحديثة / مصر.
١١١	خلفاء الرسول	خالد محمد خالد	ط٢	
١١٢	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدى	ط٣ / ١٩٧١م	دار المعرفة للطباعه والنشر.
١١٣	دراسات اسلامية / فى العلاقات الاجتماعية والدولية	د. / محمد عبد الله دراز	ط/ ١٣٩٣	دار القلم / كويت
١١٤	دراسة فى السيرة	عماد الدين خليل	ط٣ / ١٣٩٨	مؤسسة الرسالة / بيروت.
١١٥	دراسات فى النظم العربيه والاسلاميه.	توفيق سلطان اليوزبكى	ط/ ١٣٩٧	مؤسسة دار الكتب للطباعه / الموصل
١١٦	دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة.	موريس بكاى	بدون	دار المعارف / مصر
١١٧	الدرر فى اختصار المغازى والسير.	يوسف بن عبد البر النمرى	ط/ ١٣٨٦	لجنة احياء التراث الاسلامى / مصر.
١١٨	الدعوة الى الاسلام.	سير توماس و - أرنولد	ط٣ / ١٩٧٠	مكتبة النهضة المصرية.
١١٩	الدعوة الى الاسلام.	أبوبكر زكرى	بدون	دار المعرفة / مصر
١٢٠	الدعوة الاسلامية فى الملكى منهاجها / غاياتها.	د. / روءوف شلبى	ط. مجمع البحوث الاسلامية.	
١٢١	الدعوة الاسلامية دعوة عالمية.	محمد الراوى	ط٢	الدار العربية بيروت.

١٢٢	الدعوة في عصر النبوة	د . أحمد أحمد غلوش	ط/ ١٣٩٢	مطبعة المدني /مصر
١٢٣	دفاع عن السنة	د . /محمد محمد أبوشهبة	ط. مجمع البحوث	مطبعة الازهر
١٢٤	دفاع عن الشريعة	علال الفاسي	ط٢/ ١٩٧٢	منشورات العصر الحديث/بيروت
١٢٥	دلائل النبوة	لابي نعيم/أحمد بن عبد الله الاصبهاني	بدون	عالم الكتب / بيروت.
١٢٦	الدين .	محمد عبد الله دراز	ط٢/ ١٣٦٠	دار القلم/كويت
١٢٧	الدين والدولة .	محمد البهي	ط١/ ١٣٩١	دار الفكر/بيروت
١٢٨	الدين والعلم .	المشير أحمد عزت باشا	ط/ ١٣٦٩	مطبعة لجنة التأليف والترجمة
١٢٩	زاد المعاد في هدى خير العباد .	لشمس الدين أبي عبد الله الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية .	ط/ ١٣٧١ تحقيق محمد حامد الفقي	مطبعة السنة المحمدية/مصر.
١٣٠	رحلة الأندلس/ حديث الفردوس الموعود .	د . /حسين مؤنس	ط١/ ١٩٦٣م	الشركة العربية للطباعة والنشر.
١٣١	الرسالة المحمدية	سليمان الندوي	ط٣/ ١٣٩٥	المطبعة السلفية/ مصر.
١٣٢	الرسول	سعيد حوى	ط٣/ ١٣٩٤	الشركة المتحدة للتوزيع/بيروت
١٣٣	روح الدين الاسلامي	عفيف عبد الفتاح طبارة	ط١٧/ ١٩٧٨	دار العلم للملايين/بيروت
١٣٤	سنن ابن ماجه	لابي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه .	ط/ ١٣٩٥	دار احياء التراث العربي/مصر.
١٣٥	سنن أبي داوود	للامام أبي داوود سليمان بن الاشعث	ط/ ١	الحلبي/مصر
١٣٦	سنن الترمذي	للامام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي	ط٢/ ١٣٩٥	الحلبي/ مصر.
١٣٧	سنن الدارقطني	للامام الكبير علي بن عمر الدارقطني .	ط/ ١٣٨٦	دار المحاسن للطباعة/مصر.

١٣٨	سنن الدارمى	لابى محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى .	ط/ ١٣٤٩	مطبعة الاعتدال / دمشق .
١٣٩	سنن النسائى	للقاضى أحمد بن شعيب بن على النسائى	ط١/ ١٣٨٣	الحلبى /مصر.
١٤٠	السنة.	محمد بن نصر المروزى	بدون	مطابع دار الفكر دمشق .
١٤١	السنة قبل التدوين	محمد عجاج الخطيب	ط٢/ ١٣٩١	دارالفكر/بيروت
١٤٢	السنة ومكانتهافى التشريع	د . /مصطفى السباعى	ط٢/ ١٣٩٦	المكتب الاسلامى بيروت.
١٤٣	سلاسل المناظرةالاسلامية النصرانية.	عبدالله العلمى الفزى الدمشقى .	ط١/ ١٣٩٠	بلا
١٤٤	السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية .	لابى العباس أحمد بن تيمية .	ط٤/ ١٩٦٩م	دارالكتاب العربى مصر.
١٤٥	السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامى	د . /أحمد شلبى	ط/ ١٩٦٤	مكتبة النهضة المصرية .
١٤٦	السياسة المالية فى الاسلام	عبدالكريم الخطيب.	ط٢/ ١٩٧٦م	دارالفكرالعربى
١٤٧	السيرة الحلبية.	على بن برهان الدين الحلبى	ط١/ ١٩٦٤م	الحلبى /مصر.
١٤٨	سيرة عمربن عبدالعزيز	أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالحكيم .	ط٥/ ١٣٧٨	دارالعلم / للملايين
١٤٩	السيرة النبوية	لابى الفداء اسماعيل بن كثير.	ط/ ١٣٩٦	دارالمعرفه/بيروت
١٥٠	السيرة النبوية	لابى الحسن الندوى	ط١/ ١٣٩٧	دار الشروق .
١٥١	السيرة النبوية دروس وعبر	د . /مصطفى السباعى	بدون	المكتب الاسلامى
١٥٢	السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة.	د . /محمد محمد أبوشهبة	ط/ ١٣٩٠	دار الطباعة المحمدية/مصر.
١٥٣	سيرة النبى	لابى محمد عبدالملك بن هشام.	بدون	مكتبة الجمهورية مصر.
١٥٤	شذ العرف فى فن الصرف	الشيخ أحمد الحملاوى	ط٥/ ١٣٤٥	مطبعة دار الكتب العربيه .

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
١٥٥	شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك.	بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي	ط/ ١٣٨٤	المكتبة التجارية الكبرى / مصر.
١٥٦	شرح العقيدة الواسطية	ابن تيمية	ط ٤	مؤسسة مكة للطباعة.
١٥٧	شرح موطأ الأمام مالك	لابي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني	ط ١/ ١٣٨٢	الحلبي / مصر.
١٥٨	شريعة الاسلام	د. / يوسف القرضاوي	ط ١/	
١٥٩	الشفا بتعريف حقوق المصطفى.	القاضي أبو الفضل عياض بن موسى الاندلسي	بدون	مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني
١٦٠	صحيح البخاري.	للامام محمد بن اسماعيل البخاري.		دار احياء التراث العربي.
١٦١	صحيح مسلم.	للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري.	ط ٢/ ١٣٩٨	دار الفكر / بيروت.
١٦٢	الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.	ابن القيم الجوزية	بدون	مطبعة المدني / القاهرة.
١٦٣	عبقرية عمر / الموسوعه	عباس محمود العقاد	ط ١/ ١٩٧٠	دار الكتاب العربي بيروت.
١٦٤	العدالة الاجتماعيه	سيد قطب.	ط / ١٣٩٤	دار الشروق / بيرو
١٦٥	عظمة الرسول	محمد عطية الابراشي	ط / ١٩٦٥م	دار القلم /
١٦٦	العقائد الاسلامية	سيد سابق	ط ٣/ ١٣٩٦	دار الكتب الحديث / مصر.
١٦٧	عقيدة المسلم	محمد الغزالي	ط ٤/ ١٣٧٥	دار الكتاب العربي بيروت.
١٦٨	عمدة القارئ / شرح صحيح البخاري.	بدر الدين ابو محمد محمود بن أحمد العتبي	بدون	ادارة الطباعة المنيرية / مصر.
١٦٩	الفتاوى الكبرى	أحمد بن تيمية	ط/ ١٣٨٢	مطابع الرياض
١٧٠	فتح الباري	لابن حجر العسقلاني	بدون	السلفية /
١٧١	فتح القدير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني.	"	دار المعرفة / بيروت
١٧٢	فتوح البلدان	لابي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.	ط/ ١٣٩٨	دار الكتب العلمية / بيروت.

م	الكتاب	المؤلف	الطبعه وتاريخها	الناشر
١٧٣	فجر الاسلام	أحمد أمين	ط١/ ١٩٦٩	دار الكتاب العربي / بيروت.
١٧٤	فصل الخطاب في سلامة القرآن.	أحمد السيد الكومي وزميله	ط٢/	دار احياء الكتب العربيه / مصر.
١٧٥	الفصل في الملل والاهواء والنحل.	للامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم.	ط٢/ ١٣٩٥	دار المعرفة / بيروت.
١٧٦	فقه السيرة.	د. / محمد سعيد رمضان البوطي.	ط٥/ ١٣٩٢	دار الفكر / بيروت.
١٧٧	فلسفة الفكر الديني	لويس غرديه / فرج قنواتي	ط١/ ١٩٦٧م	دار العلم للملايين / بيروت.
١٧٨	الفلسفة القرآنية.	عباس محمود العقاد.	ط١/ ١٩٧٠	دار الكتاب العربي / بيروت
١٧٩	الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان.	ابن القيم الجوزية.	بدون	دار الكتب العلمية / بيروت
١٨٠	في ظلال القرآن.	سيد قطب	ط١/ ١٣٩٣	دار الشروق.
١٨١	في المذاهب الاقتصادية	علال الفاسي	بدون	نشر لجنة تراث علال الفاسي.
١٨٢	القاموس المحيط.	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي	بدون	دار الجيل / بيروت.
١٨٣	قذائف الحق.	محمد الغزالي	بدون	المكتبة المصرية / بيروت.
١٨٤	القرآن واعجازه العلمي	محمد اسماعيل ابراهيم	بدون	دار الفكر العربي / مصر.
١٨٥	القرآن والمجتمع الحديث	عبد الرزاق نوفل.	ط١	مكتبة الانجلو المصر
١٨٦	القرآن يتحدى	أحمد عزالدين عبد الله خلف الله.	ط١/ ١٣٩٧	مطبعة السعادة / مصر.
١٨٧	قصة الحضارة	ول ديورانت	ط/ ١٩٤٩م	مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
١٨٨	الكامل في التاريخ	للعلامة عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الاثير.	ط/ ١٣٨٥	دار صادر / بيروت.

م	الكتاب	المؤلف	الطبعه وتاريخها	الناشر
١٨٩	كشف الخفاء ومزيل الالباس	الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى .	بدون	مكتبة التراث الاسلامى / حلب
١٩٠	كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .	مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفه .	بدون	مكتبة المثنى / بغداد .
١٩١	الكفاية	للامام الحافظ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت .	ط/١٣٥٧	منشورات المكتبة العلمية / المدينة
١٩٢	لسان العرب	لابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .	ط/١٣٧٥	دار صادر / بيروت
١٩٣	لماذا ظهر الاسلام فى جزيرة العرب .	أحمد موسى سالم	ط/١٩٧٧	دار الجيل / بيروت .
١٩٤	اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .	محمد فؤاد عبد الباقى	بدون	دار احياء الكتب العربية .
١٩٥	المال والحكم فى الاسلام	عبد القادر عوده	ط٤/١٩٧١	الدار السعودية للنشر .
١٩٦	مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير الجبهان .	ابراهيم السليمان	ط١/١٣٩٧	طبعة دار الافتاء .
١٩٧	مايقال عن الاسلام	عباس محمود العقاد	ط١/١٣٩١	دار الكتاب العربى / بيروت .
١٩٨	مبادىء الاسلام	أبو الاعلى المودودى	بدون	المكتب الاسلامى
١٩٩	المجتمع الاسلامى	مصطفى عبد الواحد	ط٢/١٣٩٤	دار الجيل / بيروت . مكتبة المثنى / القاهرة .
٢٠٠	المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين .	محمد بن حبان بن أحمد أبى حاتم .	ط/١٣٩٦	دار الوعى / حلب .
٢٠١	محاضرات فى النصرانية	محمد أبوزهرة	ط٣/١٣٨٥	مطبعة المدنى
٢٠٢	المحلى	ابن حزم	بدون	منشورات المكتب التجارى / بيروت .
٢٠٣	محمد الرسالة والرسول	د . / نظمى لوقا	ط٢/١٩٥٩	دار الكتاب العربى / مصر .

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
٢٠٤	محمد رسول الله	أتيين دينيه وزملائه	ط٢/١٩٥٨	مكتبة نهضة مصر.
٢٠٥	محمد رسولا نبيا	عبد الرزاق نوفل	ط١/١٣٨٠	مؤسسة المطبوعات الحديثة/ مصر.
٢٠٦	المخططات التلمودية	أنور الجندى	بدون	دار الاعتصام/ بيروت.
٢٠٧	مدخل الى القرآن الكريم	د. / محمد عبد الله دراز	ط٢/١٣٩٤	دار القلم/ الكويت
٢٠٨	المدخل الى النظرية الاقتصادية.	أحمد النجار	ط١/١٣٩٣	دار الفكر/ بيروت
٢٠٩	المدخل لدراسة القرآن الكريم.	د. / محمد محمد أبوشهبه	ط٢	دار الكتب/ القاهره
٢١٠	المرأة فى التصور الاسلامى	عبد المتعال محمد الجبرى	ط٢/١٣٩٦	مكتبة وهبه/ مصر
٢١١	المرأة من خلال الآيات القرآنية.	عصمة الدين كركر جرم الهيلة.	بدون	الشركة التونسية للتوزيع
٢١٢	المستدرك	للحافظ أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحاكم.	بدون	مكتبة ومطابع النصر الحديثة/ الرياض.
٢١٣	المستشرقون	نجيب العقيقى	ط٣/١٩٦٥	دار المعارف/ مصر.
٢١٤	المستصفى	أبو حامد محمد بن محمد الغزالى.	بدون	دار صادر/ بيروت.
٢١٥	المسند	للامام أحمد بن حنبل الشيبانى.	ط٢/١٣٩٨	المكتب الاسلامى بيروت.
٢١٦	المسيح فى القرآن	عبد الكريم الخطيب	ط١/١٣٨٥	دار الكتب الحديثة / مصر.
٢١٧	المسيحية.	د. / أحمد شلبى	ط٥/١٩٧٧	مكتبة النهضة المصرية.
٢١٨	المصاحف	لابن أبى داوود	ط١/١٩٣٦	المطبعة الرحمانية / مصر.
٢١٩	المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى.	العلامة أحمد بن محمد بن على المقرىء الفيومى	ج٦/١٩٢٥	المطبعة الاميرية/ القاهره.
٢٢٠	المصلحة فى التشريع الاسلامى ونجم الدين الطوفى	د. / مصطفى زيد	ط٢/١٣٨٤	دار الفكر العربى /

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
٢٢١	مطلع النور / الموسوعة	عباس محمود العقاد	ط١ / ١٩٧٠م	دار الكتاب العربي بيروت.
٢٢٢	معالم تاريخ الانسانية	هـ. جـ. ولز	ط/ ١٩٥٠م	مطبعة لجنة التأليف والترجمة
٢٢٣	مع المسيح في الاناجيل الأربعة.	فتحي عثمان	ط٢/ ١٩٦٦	الدار القومية للطباعة والنشر.
٢٢٤	المعجزة الكبرى القرآن	محمد أبوزهرة	ط. ١٣٩٠	دار الفكر العربي / مصر.
٢٢٥	المعجم الصغير	للحافظ أبي القاسم سليمان ابن أحمد الطبراني		
٢٢٦	المعجم الكبير	للحافظ أبي القاسم سليمان ابن أحمد الطبراني	بدون	الدار العربية للطباعة / بغداد.
٢٢٧	معجم العلوم الاجتماعية	لجنة من الاساتذة المصريين والعرب.	ط/ ١٩٧٥م	الهيئة المصرية العامة.
٢٢٨	معجم مقاييس اللغة	لابي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا.	ط٢/ ١٣٩٠	الحلبي / مصر.
٢٢٩	معرفة القراء الكبار	للامام شمس الدين أبي عبد الله الذهبي.	ط١	دار الكتب الحديثة / مصر.
٢٣٠	المغازي الاولى ومؤلفوها	المستشرق هورفتش	ط١/ ١٣٩٦	الحلبي / مصر.
٢٣١	مقومات الاقتصاد الاسلامي	عبد السميع المصري	ط١/ ١٣٩٥	مكتبة وهبه / مصر
٢٣٢	الملل والنحل	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.	ط٢/ ١٣٩٥	دار المعرفة بيروت.
٢٣٣	من بلاغة القرآن	أحمد أحمد بدوي	بدون	دار نهضة مصر.
٢٣٤	مناهل العرفان	محمد عبد العظيم الزرقاني	"	الحلبي / مصر.
٢٣٥	الموافقات	للامام أبي اسحق ابراهيم بن موسى.	"	مطبعة محمد علي صبيح / مصر.
٢٣٦	المواهب اللدنية	الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني	"	دار الكتب العلمية /
٢٣٧	موجز تاريخ العالم	هـ. جـ. ولز.	ط. / ١٩٥٨	مكتبة النهضة المصرية.
٢٣٨	الموسوعة الميسرة	اشراف محمد شفيق غربال	بدون	دار القلم.

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
٢٣٩	النبأ العظيم	د . محمد عبد الله دراز	ط٢ / ١٣٩٠	دار القلم / الكويت
٢٤٠	النبوة والانبياء	لابي الحسن الندوى	ط٥	" "
٢٤١	نبى الانسانية	أحمد حسين	بلا	مطابع الاهرام / مصر
٢٤٢	نصف قرن مع العروبة وقضية فلسطين .	أحمد حسين	ط بلا	المكتبة المصرية صيدا .
٢٤٣	نظام الاسلام الاقتصادى	محمد المبارك	ط١ / ١٣٩٢	دار الفكر / بيروت
٢٤٤	النظام الاقتصادى فى الاسلام مبادئه وأهدافه .	أحمد محمد المسال وزميله .	ط١ / ١٣٩٧	مكتبة وهبة / مصر
٢٤٥	النظم الاسلامية	د . حسن ابراهيم ، وعلى ابراهيم .	ط٣ / ١٩٦٢م	مكتبة النهضة المصرية .
٢٤٦	نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين .	محمد الخضرى بك	ط٥	دار الباز للنشر والتوزيع / مكه .
٢٤٧	الوفا بأحوال المصطفى	أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .	ط١ / ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .	دار الكتب الحديثة / مصر .
٢٤٨	اليهودية	د . أحمد شلبى	ط٤ / ١٩٧٤	مكتبة النهضة المصرية .

فهرس الموضوعات

- فهرس الموضوعات -

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
التمهيد	١
تعريف الدعوة لغة .	١
تعريف الدعوة اصطلاحا .	٣
حكم تبليغ الدعوه :	٤
الباب الاول : مصادر الدعوة الاسلامية	
مدخل الباب	١٢
الفصل الأول :-	
المبحث الأول :-	
المصدر الأول : القرآن الكريم .	
تعريفه	١٦
الرعاية الالهية للقرآن	١٧
مراحل تاريخ توثيق النص القرآني	٢٤
المرحلة الاولى : في العهد النبوى .	٢٤
أ - تدوين القرآن على يد كتبة متخصصين .	٢٤
ب - النهى عن كتابة الحديث مع القرآن .	٢٦
جـ - حث الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ كتاب الله وقراءته .	٢٨
المرحلة الثانية : في العهد الراشدى الأول	
عهد أبى بكر رضى الله عنه	٣٣
المرحلة الثالثة :-	
فى عهد عثمان رضى الله عنه .	٣٨
المرحلة الرابعة :-	
ضبط حركات الآيات وتنقيط الكلمات .	٤٠
شهادات بعض المستشرقين فى القرآن	٤١
نصوص القرآن تدل على أنه وحى من عند الله .	٤٥
شواهد أخرى	٤٨

٠٠/بعده

الموضوع	الصفحة
إعجاز القرآن ودلالته على أنه من عند الله	٥٣
(١) الاعجاز البياني .	٥٤
نماذج من الاعجاز البياني	٥٨
التحدى بالقرآن	٦٠
شبهة حول الاعجاز البياني .	٦١
(٢) الاعجاز العلمي .	٦٢
(٣) اشتمال القرآن على أخبار الأمم السابقة	٦٧
(٤) اخبار القرآن عن أمور تقع في المستقبل .	٦٩
(٥) الاعجاز التشريعي	٧١
المبحث الثاني : السنة النبوية .	
تعريف السنه لغة	٧٢
تعريف السنة في اصطلاح المحدثين	٧٢
الجهود المبذوله لحفظ السنة .	٧٦
١ ـ العناية بالسند والمتن	٧٩
٢ ـ اختصاص الأمة الاسلامية بالاسناد	٨٤
الفصل الثاني :ـ	
مصادر الدعوات الاخرى ـ المبحث الاول :ـ .	
التوراة ـ تعريفها .	٨٩
أسفارها ـ التكوين والخروج واللاويين ، والعدد ، والتثنية .	٨٩
التوراة في القرآن	٩٢
(الشهادات على تحريف التوراة) .	
١ ـ شهادة التاريخ والاسفار المقدسة	٩٦
٢ ـ شهادة العلماء المحققين على تحريف التوراة .	١٠٤
الأسفار الخمسة وتاريخ كل سفر منها :	١٠٩

.. / يعده .

الموضوع	الصفحة
ثالثا : شهادة القرآن بالتحريف ،	١١٣
ماورد في السنة النبوية من آثار تدل على التحريف .	١١٧
من مظاهر التحريف ودلائله .	١١٨
١ - عدم ذكر اليوم الآخر في التوراة الحالية .	١١٨
٢ - الكذب والافتراء على الله تعالى .	١٢٠
٣ - الكذب والافتراء على الانبيـــاء .	١٢٧
رابعا : وجود التناقض بين أسفار التوراة	١٣٧
خامسا : اباحة رذائل الاعمال التي تستنكرها المجتمعات البشرية	١٣٩
سادسا : وجود بعض العبارات في أسفار التوراة لا تصح نسبتهـــا الى موسى عليه السلام .	١٤١
نتائج هذا المبحث .	١٤٣
المبحث الثاني : مصادر النصرانية . (الاناجيل) .	
تعريف الانجيل .	١٤٥
الانجيل في القرآن	١٤٥
التحريف .	١٥٠
تاريخ الاناجيـــل	١٥٨
تعدد الاناجيـــل	١٦١
نظره في كل انجيل من الاناجيل الاربعة - والخلافات حوله :	
الأول : انجيل مرقص .	
أ - اللغة التي كتب بها .	١٦٦
ب - تدوينـــه .	١٦٧
جـ - الخلاف في كاتب الانجيل .	١٦٧
الثاني : انجيل متى .	
أ - اللغة التي كتب بهـا	١٧٠
ب - تاريخ تدوينـه .	١٧٢

../بعده .

الموضوع	الصفحة
الثالث : انجيل لوقا .	
أ ـ الخلاف فى شخصية المؤلف .	١٧٦
ب ـ لمن ألف هذا الانجيل .	١٧٧
جـ ـ تاريخ التدوين .	١٧٨
الرابع : انجيل يوحنا .	
أ ـ المؤلف	١٨١
ب ـ تدوين هذا الانجيل .	١٨٤
جـ ـ النتيجة .	١٨٤
نقض دعوى الالهام .	١٨٩
المبحث الثالث :ـ	
الروايات اللسانية عند اليهود والنصارى	١٩٧
النتائج العامه لهذا الباب .	٢٠٥
الباب الثانى : عالمية الدعوة الاسلامية .	
الفصل الأول وفيه أربعة مباحث .	
المبحث الأول : تعريف العالمية لغة .	٢٠٩
" " اصطلاحا .	٢١١
المبحث الثانى : أدلة عالمية الدعوة .	
أ ـ الكتاب .	٢١٣
ب ـ السنة .	٢١٨
جـ ـ الاجماع .	٢٢٠
د ـ نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده .	٢٢٠
فريه باطلة .	٢٣٠
المبحث الثالث : شمول الدعوة الاسلامية للجن أيضا .	٢٣٥
المبحث الرابع : مواصفات العالمية فى الدعوة والداعية	
" العالمية فى الدعوة .	٢٣٩

٠٠/بعده

الموضوع	الصفحة
مواصفات العالمية فى الداعية	٢٤٧
١- الجانب التاريخى .	٢٤٨
٢ - اتصال سند السيرة النبوية	٢٥١
دعوى باطلة .	٢٥٣
وضوح السيرة المحمدية وكمالها وشمولها .	٢٥٥
٣ - سيرة جامعه .	٢٥٦
٤ - حياته عملية .	٢٦٢
الفصل الثانى : اقليمية الدعوات السابقة .	
١ - دعوة نوح عليه السلام	٢٦٦
٢ - دعوة هود عليه السلام .	٢٦٧
٣ - دعوة صالح " "	٢٦٧
٤ - دعوة ابراهيم " "	٢٦٨
٥ - دعوة لوط " "	٢٦٨
٦ - دعوة شعيب " "	٢٦٨
٧ - دعوة يونس " "	٢٦٩
٨ - اليهودية - (موسى عليه السلام) .	٢٧٠
٩ - النصرانية (عيسى عليه السلام) .	٢٧٥
الفصل الثالث : شبهات حول عالمية الدعوة ، مناقشتها والرد عليها .	٢٧٨
الشبهة الاولى : ١) الدعوة خاصة بالعرب لان الرسول عربى ، والقرآن عربى والدعوة ظهرت فى بلاد العرب .	٢٧٨
٢) (استدلالهم ببعض الآيات القرآنية على تخصيص الاسلام بالعرب) .	٢٧٩
الشبهة الثانية : الحركة الاسلامية بدأت حركة قومية ثم انتقلت الى العالمية عندما اتيحت لها الظروف فى المدينة .	٢٨٠
الشبهة الثالثة : قصرهم النصوص الدالة على عالمية الدعوة وعمومها على العرب .	٢٨٣
١ - الرد على الشبهة الاولى .	٢٨٣
٢ - الرد على الشبهة الثانيه والثالثة	٣١٧

٠٠/بعده

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث : الشمول .	
تمهيد .	٣٢٦
شمول الشريعة لجوانب الحياة الانسانيه .	٣٢٧
الفصل الأول : جوانب الشمول فى الاسلام .	
المبحث الأول .	
الجانب السياسى : -	٣٣١
الأسس التى يقوم عليها النظام السياسى فى الاسلام .	٣٣٢
العدل (٣٣٣) الطاعة (٣٣٦) الشورى . (٣٣٧) .	
المبحث الثانى : تنظيم الاسلام للجوانب السياسية .	
أ - السياسة الداخلية .	٣٤٠
١ - تنظيم العلاقه بين الراعى والرعية .	٣٤٠
٢ - اعداد العدة وتنظيم شئون الامن .	٣٤٢
٣ - تنظيم القضاء .	٣٤٣
ب - السياسة الخارجية .	
١ - تنظيم الناحية الجهادية .	٣٤٥
٢ - تنظيم العلاقات الدولية .	٣٤٥
الفصل الثانى : النظام الاجتماعى .	
المبحث الاول :-	
مفهوم النظام الاجتماعى .	٣٤٩
أهمية النظم الاجتماعيه فى تكوين وبناء المجتمع .	٣٤٩
لمحة عن المجتمعات السابقة .	٣٥١
ضرورة قيام المجتمع المسلم .	٣٥٤
المبحث الثانى : دعائم المجتمع الاسلامى :-	
١ - العقيدة .	٣٥٨
مظاهر الشمول فى العقيدة الاسلامية .	٣٦١

٠٠/بعده .

الموضوع	الصفحة
٢ - ازالة الفوارق الطبقية من المجتمع الاسلامى وتثبيت مبدأ المساواة	٣٦٢
٣ - التكافل الاجتماعى .	٣٧١
- أ - الروحى	٣٧١
ب - المادى .	٣٧٨
المبحث الثالث : مكانة المرأة فى النظام الاجتماعى .	
نظرة الاسلام الى المرأه .	٣٨٦
١ - المرأه عند اليونان .	٣٨٦
٢ - المرأه عند الرومان .	٣٨٧
٣ - المرأه عند الفرس .	٣٨٧
٤ - المرأه عند الجاهليه .	٣٨٧
٥ - المرأه عند اليهود .	٣٨٩
٦ - المرأه فى المسيحية .	٣٩٢
تكوين الاسره ، والحث على الزواج ، وموقف الاسلام من دعوة الرهبنة .	٤٠٠
علاج الاسلام لمشاكل الاسرة .	٤٠٥
الفصل الثالث : النظام الاقتصادى .	٤٠٨
المبحث الأول : -	
تعريف النظام الاقتصادى .	٤٠٩
بعض ميزات الاقتصاد الاسلامى	٤٠٩
اهداف الاقتصاد الاسلامى .	٤٠٦
ثمرة هذا النظام .	٤٢٠
المبحث الثانى : الملكية فى الاسلام :-	
موقف الاسلام من الملكية .	٤٢٢
الملكية فى الاسلام ليست وسيلة لايقاع الضرر بالآخرين .	٤٢٣
طرق التملك فى الاسلام .	٤٢٥
أ - الطرق المشروعة .	٤٢٥
ب - الطرق غير المشروعة .	٤٢٧

٠٠/بعده

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : المال :-	
أ - نظرة الاسلام الى المال	٤٣٦
ب- تصوير القرآن للمال .	٤٣٦
المال فى نظر اليهودية والنصرانية .	٤٤٠
مبادىء الاسلام فى توزيع الثروات .	٤٤٢
أ - سلبية - تحريم كنز الاموال .	٤٤٣
تحريم الربا .	٤٤٣
نظرة الرسالات السابقة الى الربا	٤٤٥
تحريم الاحتكار .	٤٤٩
ب- الايجابية .	٤٥١
١ - الزكاة .	٤٥١
٢ - نظام الارث .	٤٥٢
٣ - الوصية .	٤٥٤
٤ - الفىء والغنيمة .	٤٥٦
المصادر المالية فى الاسلام .	
١ - الخراج .	٤٥٨
٢ - الجزية .	٤٦٠
٣ - الزكاة .	٤٦٣
٤ - الفىء .	٤٦٤
٥ - الغنيمة .	٤٦٥
٦ - عشور التجارة .	٤٦٦
المبحث الرابع : مهمة الدولة فى النظام الاقتصادى	٤٦٩
١ - تأمين العمل لأفرادها .	٤٧٠
٢ - تحقيق التوازن الاقتصادى .	٤٧١
٣ - تحقيق العدل .	٤٧١
٤ - محاربة الطرق غير المشروعة .	٤٧١
٥ - جمع أموال الزكاة .	٤٧٢
٦ - توزيع المال .	٤٧٢
٧ - الاستفادة من أموال الاغنياء عند الحاجة .	٤٧٣

٠٠/بعده٠

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس :-	
بين الاسلام والمذاهب الحديثة .	
١ - الملكية .	٤٧٥
٢ - الحرية الاقتصادية	٤٧٨
٣ - المشاكل الاقتصادية وحلولها	٤٨١
نتائج هذا الفصل :-	
فهرس المراجع .	٤٨٩
فهرس الموضوعات .	٥٠٥